
اعلان
تطلب الكتب الآتية من
مخزن التوريدات لمدارس الفرير
بباب سدرة بالاسكندرية
باب القراءة ثلاثة أجزاء
بحر الآداب أربعة أجزاء
سفينة النحاة أربعة أجزاء
سفينة البلغاء جزء
تاريخ الآداب العربية جزء
المجموعة الوفية جزء
سيرة القديس يوحنا دى لا سال
مختصر حياة القديس دى لا سال



تولى وضعه لفيف من الاساتذة

# الجزء الثاني

هاؤمُ اُقرأوا كتابي * فهْوَ يهدي للصوابِ

بحرُ آداب محيطٌ * وردهُ عذبُ الشراب

فيهِ من غالي اللآلي * كلُّ عقدٍ مستطاب

ولذا قلتُ معيدًا * هاؤم أُقرأوا كتابي



الطبعة السادسة — سنة ١٩٢٥ ميلادية

يطلب من مكتبة الفرير العمومية — باب سدره — بالاسكندرية

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

# الباب الأول

## في ذكر بعض الحقوق والواجبات

### تمهيد[١]



ألواجباتُ الَّتي يَلزَمُ الإنسانَ القِيامُ بها ثلاثةُ أقسام: أوَّلُها ما يقومُ به لربّهِ تعالى، وثانيها ما يقومُ بهِ لِنفسه، وثالثها ما يقوم بهِ لإخْوانه

١ هذه الصورة تمثل موسى الكليم نازلا من طور سيناء وأمامه جماعة بني

# فصل

## فى واجبات الانسان لله تعالى

مِنَ المُحالِ [١] أَلاَّ تكونَ للهِ تعالى علينا واجباتٌ وهو المُنعِمُ الأعظَمُ المُتَفَضِّلُ عَلَى عِبادِهِ فى كُلِّ لحظةٍ بضُروبِ النِّعَمِ : مَنَّ علينا بالوجودِ [٢] وحاطَنا [٣] بعِنايتِهِ وفضَّلَنا عَلَى كثيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ بنفسٍ أَبَدِيَّةٍ [٤] كمَّلَها بقوّةٍ عاقِلةٍ [٥] نُمَيِّزُ بها الحقَّ مِنَ الباطِلِ والضَّارَّ منَ النافِعِ ، وسخَّرَ لإرادتِنا [٦] سائِرَ المخلوقاتِ بَرِّيِّها [٧] وبَحرِيِّها ضعيفِها وقويِّها . كيفَ نجهَلُ ذلك ولا نعلَمُ أنَّهُ

---

اسرائيل وبيده اللوحان المكتوب فيهما وصايا الله العشر المتداولة بين اليهود والنصارى والمسلمين ، وهي خلاصة ما يلزم الانسان نحو خالقه ونحو نفسه وبني جنسه بحيث أن من استنار بنورها وطبق حياته على ما تضمنته كان من أهناءِ الناس في الدنيا وأسعدهم في الآخرة ١ المحال المستحيل وهو ما لا يمكن وجوده . ومن المحال جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، والمصدر المأخوذ مما بعده مبتدأ مؤخر والتقدير : عدم كون واجبات لله تعالى من المحال . وأصل ألا : أن لا ٢ من جاد وهذه الجملة وما بعدها بيان لضروب النعم ٣ حاطنا حفظنا ، وعناية الله هي الرعاية الدائمة التي يشمل بها مخلوقاته بحفظها وايصالها الى الغرض الذي خلقها لاجله ٤ أبدية أي غير قابلة الموت والفناء ٥ القوة العاقلة هي استعداد في نفس الانسان تدرك به حقائق الأمور وتفرق بين الخير والشر ٦ سخر لارادتنا ذلل لها ٧ بريها بدل من المخلوقات فتبعه في الجر

وعدَنا جنَّةً أودَعها [١] مِنَ اللذَّاتِ ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُن سمِعتْ ولا عقل تَصوَّرَ ولا عَلَى قلبِ خَطَرَ [٢] ، يدخُلُها مَن آمَنَ بهِ وأُتَّبِعَ أوامِرَهُ واُجتَنَبَ نواهيَه . هذا [٣] ولا ريبَ أنَّ مَنْ أنعمَ النَّظرَ [٤] فيما غمرَهُ اللهُ بهِ مِن تلك الخيراتِ [٥] أقرَّ توًّا بأنَّ لهُ عليهِ أقدسَ الواجبات ، فيُبادِرُ بأدائِها في حينِها حتَّى يَسلمَ من إسنادِ الجُحودِ إليهِ [٦] ويَستَزيدَ نِعماً جديدةً عليهِ

ثمَّ إنَّ تلك الواجباتِ تتَنوَّعُ إلى ثلاثةِ أنواع : أحدُها ما يجبُ لهُ عزَّ وجلَّ عَلَى الأذهانِ منْ الاُعتقاداتِ الصَّحيحةِ كالإقرارِ بوَحدانيتِهِ [٧] وأزليّتِهِ وأبديّتِهِ [٨] . وثانيها ما يجبُ له عَلَى الأبْدان كالصَّلاةِ والصّيامِ والتَّباعُدِ عن أسبابِ الخَطَرِ نفساً وجسماً . وثالثها ما يجبُ له عِندَ مُعامَلَةِ بعضِنا بعضاً من العدل والحِلْمِ والعَفوِ والرِّفقِ والإرشادِ إلى طُرُقِ النَّجاحِ والصَّلاح

---

١ أودعها جعل فيها ٢ ولا على قلب خطر أي ولا شعر به قلب أحد ٣ هذا مفعول به لفعل محذوف والتقدير : افهم هذا أي ما تقدم ٤ أنعم النظر حققه ٥ غمره الله به من تلك الخيرات أي أكثرها له ٦ من اسناد الجحود اليه أي من أن ينسب اليه انكار الجميل ٧ وحدانية الله هي كونه المتوحد الفرد الذي لا مثيل له ٨ أزلية الله هي كون وجوده لا أول له ، وأبديته هي كون وجوده لا آخر له

# فصل

## في واجبات الإنسان لنفسه

لا يَحسُنُ بالإنسان أنْ تكونَ همَّتُهُ [١] حيَوانيّةً وإنْ كانَ هو حيوانًا ولا إنسيّةً فقطْ وإن كانَ إنسانًا بل ينبغي أن يَقصِدَ بجميعِ قُواهُ أن يَحْيا حياةً إلٰهيّةً [٢] فيَتَتَبَّعُ أحوالَ نفسهِ حتّى إذا رآها جانِحةً [٣] إلى السَّيّئاتِ زجرَها بقوله : يا نفسُ أما تخافين العار ، أما تذكُرينَ ما بعدَ هذه الدار ، أما تتّقين الملكَ القهّار [٤] ، أما تعلَمين أنَّ عاقبةَ المُسيءِ النار وهكذا ، ثُمَّ يُحاسِبُها كلَّ ليلةٍ قبْلَ النَّوْمِ وينظرُ ما اُكتسَبَ في نَهارِهِ منْ حَسَنةٍ فيَشْكُرُ اللهَ علَيها وما اُرتكَبَ من سَيِّئةٍ فيَستغفِرُهُ منها ويعزِمُ بَتاتًا [٥] علَى عدَمِ العَودِ إليها ويُرتّبُ في نفسهِ ما يصنعُهُ في غدهِ منَ الحَسَناتِ ويسألُ اللهَ تعالى الإعانةَ علَى تَتميمهِ والِابتِعادَ عن المُنْكَرات

---

١ همة الانسان هي قصده وميله ٢ الهية أي حسب شريعة الله تعالى ٣ جانحة مائلة ٤ القهار من أسمائه تعالى ومعناه القادر على كل شيء ٥ بتاتاً نائب عن المفعول المطلق أي عزما لا رجوع فيه

فلا يلبثُ [١] إنْ هو سلكَ بنفسهِ ذلكَ النَّهْجَ القويمَ [٢] أنْ يرتدعَ [٣] عن المَساوئِ شيئاً فشيئاً ويتدرَّبَ [٤] على مكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الصّفاتِ حتَّى يُصبِحَ كثيرَ الحياءِ عظيمَ الوفاءِ يُحِبُّ في اللهِ ويُبغِضُ في اللهِ ويغضَبُ في اللهِ لا يخافُ في الحقِّ لَومةَ لائِمٍ

قال بعضُهُم : المؤْمِنُ [٥] مَشغُولٌ بالفِكَرِ [٦] والعِبَرِ والكافِرُ مشغولٌ بالحِرْصِ والأَكلِ ، المؤمنُ يائِسٌ من كُلِّ أَحدٍ إلاَّ من اللهِ والكافر راجٍ كلَّ أحدٍ إلاَّ الله ، المؤمن يُقدِّمُ مالهُ دونَ دِينهِ والكافرُ يُقدِّمُ دينَهُ دونَ ماله ، المؤمن يُحسِنُ ويبكي والكافر يُسيءُ ويضحك ، المؤمن يزرَعُ ويخشى الفسادَ والكافر يقلَعُ ويرجو الحصاد

---

١ يلبث يتأخر ٢ النهج هو الطريق الواضح ، والقويم المعتدل ٣ يرتدع يرجع ٤ يتدرب يتمرن ٥ المؤمن هو من اعتقد وجود الله وعمل بما يرضاه ، والكافر من خالف ذلك ٦ الفكر جمع فكرى وفكرة وهما اعمال الخاطر في الشيء ، والعبر جمع عبرة وهي كل ما يتعظ به

# فَصْلٌ

## في واجبات بعض الناس لبعض

إِعلَمْ أَنَّ اللهَ جَلَّ شأْنُهُ خلقَ الخلْقَ محتاجينَ وجعلَ الإنسانَ أكثرَ حاجةً من سائرِ الحيوانات لأنَّ منها ما يستقلُّ بنفسهِ عن جنسهِ والإِنسانُ مطبوعٌ على الافتقارِ إلى غيرهِ لتحصيلِ أغراضهِ وما يلزمُ لحفظِ حياتهِ وكمالِ عقلهِ من الأغذيةِ والمساكنِ والملابسِ والعُلومِ والآداب ، فكلٌّ واحدٍ من أفرادِ الآدميِّينَ ناقصٌ بنفسهِ وإِنَّما يجدُ كمالهُ عندَ إخوانه [١] ، ولذا قيل إِنَّ الإِنسانَ اجتماعيٌّ بالطَّبْع

فلوْ تأمَّلَ أحَدُنا في الثِّياب التي تقيهِ [٢] وجدَ أنَّها لا تصِلُ إليهِ إلاَّ بعدَ أَن تتداولها أيدي الكثيرِ منَ النّاسِ المختلفي

---

١ الاخوان جمع أخ بمعنى المشارك لغيره في نحو صناعته أو معاملة أو مودة ، وان كان بمعنى المشارك في الولادة جمع على اخوة وعلى هذا قولهم : رب اخوان الوداد أقرب من اخوة الولاد . وقد يستعمل كل من الجمعين موضع الآخر ٢ تقيه تحفظه

الحِرَف ، فإنَّها إنْ كانتْ منَ القُطْنِ مثلاً أُبتُدِئَ بزرعهِ ولم يزلْ يُتعهَّدُ بالسَّقْيِ وغيرهِ حتى تمَّ صلاحُهُ ، ثُمَّ جُنِيَ فحُلِجَ [١] فغُزِلَ فنُسِجَ ففُصِّلَ نخيط ، وهكذا بقيَّةُ وسائلِ المَعيشةِ تُوجبُ أُستِعانةَ بعضِ النَّاسِ ببعض . فعلى كلِّ إنسانٍ أنْ يُنْصِفَ غيرَهُ ويُعامِلَهُ بما يُحِبُّ أنْ يُعامَلَ هو بهِ كي يتمَّ الائتِناسُ وتحصُلَ الاُستِعانةُ المطلوبة

وقد أُوجِبَ عَلَى الراعي [٢] أنْ تكونَ نِسبتُهُ إلى رعيّتهِ نِسبةً أَبويّة ، وعَلَى الرَّعيّةِ أنْ تكونَ نسبتُهم إليهِ نسبةً بنويّة ، ونسبةُ بعضِهِم إلى بعضٍ نسبةً أخويّة ، فإنْ لم تُحفَظْ هذهِ النِّسَبُ عادتِ الأُلْفةُ نِفارًا إذْ يطلُبُ كلٌّ واحدٍ لنفسهِ ما يظنُّهُ خيرًا له وإنْ أضرَّ بغيرهِ ، فتبْطُلُ أسبابُ التَّعاوُنِ المُنْتِجِ للعُمْرانِ ويَؤُولُ [٣] الأمرُ إلى أُختِلالِ [٤] النّظامِ الذي رتَّبَهُ اللهُ تعالى لِخَلْقِهِ وتكونُ الحياةُ عذابًا أليما

فيَجبُ إذًا أنْ نَحْرِصَ عَلَى الأُنسِ ونجِدَّ [٥] في أُكْتِسابِهِ

---

١ الحلج هو اخراج البزر من القطن ٢ المراد بالراعي هنا هو من تولى أمر غيره من ملك وأمير ووالد ورئيس وهلم جرا ٣ يؤول يعود ٤ الاختلال الفساد ٥ نجد نجتهد

مع أبنـاء جنسنا ، وإنمـا تعوَّدَ النَّاسُ الدَّعوات والاجتماعات ليَستأنِسَ بعضُهُم ببعض . ولعَلَّ أصحابَ الشَّرائع أوجبُوا عَلَى النَّاسِ أنْ يجتَمِعوا للصَّلاةِ فى مكانٍ يسعُهُم في يومٍ مُعيَّنٍ من كلِّ أُسبُوعٍ لِتَتَجَدَّدَ المحبَّةُ والأُلفةُ بينَهُم ويغتَبِطُوا [1] بالدِّينِ الذي جَمَعَهُم عَلَى تقوى اللهِ وطاعته

## تابع لما قبله

نَحْنُ معَاشِرَ بني آدم جميعُنـا إِخوَة ، وكلٌّ منَّا للآخَرِ بمنزلةِ البُنْيـانِ يَشُدُّ بعضُهُ بعضاً بل بمَثابةِ [2] أعضاءِ الجِسْمِ إذا طرأَ عَلَى عُضْوٍ منها مرَضٌ تألَّمَ لهُ الجسمُ كلُّه . وعليـهِ فالواجِبُ عَلَى مَنْ يرى مِسكيناً أو ضعيفاً أو أعمَى أن يُحسِنَ إليهِ ويُعينَهُ عَلَى نَيْلِ مآربِهِ [3] ويُعَزِّيَهُ ويُرْشِدهُ إلى طَريقـهِ ولا ينفرُ منهُ إذا أُستعانَ بهِ ، فإنَّهُ تعالى يكرَهُ الذي يَدُعُّ السَّائلَ [4] ولا

---

١ يغتبطوا يتباهوا ويفرحوا ٢ بمثابة بمنزلة ٣ مآرب جمع مأرب ومأربة بتثليث الراء وهما الحاجة ٤ يدع السائل يدفعه دفعاً عنيفا

يحُضُّ عَلَى إِطعامِ الجائع ، وقد قِيل : فأمَّا اليتيمَ فلاَ تقْهَرْ وأما ٱلسَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ [١]

ومَنْ تأمَّلَ فى أحوالِ الدَّهرِ وتقَلُّباتهِ بأهلِهِ عرفَ أنْ لا غِنًى يدومُ ولا فقرٌ ولا صِحةٌ ولا سَقَم ولا عِزّ ولا ذُلّ ولا فَرَح ولا تَرَح ولا شَباب ولاهَرَم [٢] ، فيلزمُ كُلاًّ أنْ يعمَلَ في غناهُ لفقرهِ وفي صحتهِ لسقَمهِ وهَلُمَّ جرّا ، ولا يظُنَّ أنهُ يستمِرُّ فيما هو عليهِ . ومَن اغترَّ بإقبالِ دُنياهُ واستِقامةِ أُمورهِ كانَ غبيًّا [٣] لا يفهَمُ شيئاً من تصَرُّفِ الزَّمانِ في بني الإنسانِ إذْ رُبما يقَعُ قريباً في أيدي المَصائِبِ وأسْرِ الحوادثِ يتكَفَّفُ الناسَ [٤] ويُضْطَرُّ إلى ما فى أيديهم

ورُبَّ قائلٍ يقول : صَهْ [٥] يا هذا ودَعْ [٦] عنكَ تلكَ الأوهامَ أنا لا يُمكِنُ أنْ يُصيبَني الدَّهرُ بسهامهِ [٧] لِما أنا عليهِ من وفْرَةِ المالِ وكثرةِ الرِّجالِ ووُسْعةِ [٨] الأَحوال ، فأقولُ :

---

١ تنهر تزجر ٢ الهرم هو نهاية الكبر ٣ الغبي الجاهل ٤ يتكفف الناس يمد كفه اليهم طلبا للصدقة ٥ صه اسكت ٦ دع اترك ٧ السهام جمع سهم وهو النبلة ، والمراد منه هنا هو المصيبة ٨ الوسعة اسم بمعنى الاتساع

مهلاً [١] وتكرَّمْ عليَّ بدقيقةٍ من أوقاتكَ وماشِني هُنَيْهَةً [٢] في شوارعِ المدينةِ وانظُرْ إلى تلكَ المرْأَةِ التي تطلبُ لُقمةً لِصبيانها الجياع ، وتأمَّلْ في حالِ ذلكَ الشَّيخِ الكفيفِ [٣] البصَرِ وفي هذا الكَهْلِ [٤] القويِّ البِنْيةِ [٥] الفاقدِ الرِّجلَيْنِ الذي تظهرُ على مُحيّاهُ آثارُ العظمةِ وجلالةُ الشأنِ مِمَّا يدُلُّ على أنَّهُ لم يكنْ فقيرًا في سالِفِ الأزمان ، وقُلْ لي ناشَدتُكَ اللهَ [٦] ما حالُ هؤلاء ؟ أَلَمْ يكونوا فيما مضى مِثلكَ حديثي السِّنِّ مُتَوافِري الصِّحّةِ مُستكمِلي أسبابِ المعيشةِ فعصَفتْ [٧] بِهِمْ رِياحُ المصائِبِ ورَشَقَتْهُم [٨] بِنِبالِها من كُلِّ جانِبٍ حتى صاروا إلى ما ترى ، فترمَّلتِ المرأةُ ولم يقمْ شُغْلُها بكِفايتِها وكفايةِ أيتامِها فالْتجأتْ إلى سُؤالِ أهلِ الخير ، وأبيضَّتْ عينا الهرِمِ [٩] إثرَ [١٠] تراكُمِ النَّوائِبِ وتداوُلِ السِّنينَ ولمَّا لمْ يدَّخِرْ زادًا [١١]

---

١ مهلا اصبر ٢ ماشني هنيهة أي امش معي قليلا من الزمن ٣ الكفيف الأعمى ٤ الكهل هو من كان بين الثلاثين والخمسين من عمره ٥ بنية الانسان خلقة جسمه ٦ ناشدتك الله أي سألتك به مقسما عليك ٧ عصفت بهم رياح الخ أي هجمت عليهم المصائب ٨ رشقتهم بنبالها رمتهم بها ٩ ابيضت عينا الهرم أي ذهب بصره ١٠ اثر أي بعد ١١ يدخر زاداً أي يجمع مالا

لِمُسْتَقْبَلِهِ أَيَّامَ صِباهُ[١] أُجبِرَ عَلَى طلَبِ الإِحسانِ ، وأمَّا الكَهْلُ فكانَ ذَا تِجارةٍ عظيمةٍ فحَدَثَ لهُ فى بعضِ الأَسفارِ ما أدَّى إلى قَطْعِ رِجلِهِ فعَجَزَ عن مُباشَرةِ أشغالِهِ ووكَلَها إلى غيرِهِ فكَسَدَتْ[٢] عَلَى يديهِ لسوءِ إدارتهِ حتى أفلَسَ الرَّجُلُ[٣] بعدَ الغِنَى وَذَلَّ بعد العِزّ وأصبحَ عِبرةً للنَّاظرين

فتحَصَّنوا وقاكُمُ اللهُ[٤] مِحَنَ الزَّمانِ بفعلِ المعروفِ قياماً بواجبِ الشَّفقَةِ والرَّحمةِ وشَعائرِ الإنسانيَّة[٥] وتطهيراً لِنُفوسِكم منَ الرَّذائِلِ وَامتِثالاً لِوَصاياهُ تعالى التي أمَرَنا بها ووعَدَنا الثَّوابَ عليها فإِنهُ عزَّ وجلَّ فى عَوْنِ عبدهِ ما دَامَ العبدُ فى عونِ أخيهِ ولا يَضيعُ لديهِ جليلٌ ولا حقيرٌ ولا يعزُبُ[٦] عن عِلمهِ صغيرٌ ولا كبيرٌ فيُحاسِبُ عَلَى الفَتيلِ والنَّقيرِ[٧] ويُضاعِفُ الأَجْرَ للمُحْسنينَ وَيُخَلِّدُهم في دارِ النَّعيم ، لا يدَعُ أحَدًا من غيرِ أن

١ صباه صغره ٢ كسدت تجارته أي وقف سيرها ٣ أفلس الرجل ذهب ماله ٤ تحصنوا تحفظوا ، ووقاكم محن الزمان حفظكم منها ، والمحن جمع محنة وهي المصيبة ٥ شعائر جمع شعار بكسر الشين وهو العلامة ، والانسانية هي ما يفتخر به الانسان من محاسن الصفات وترادفها المروءة ٦ يعزب يبعد ٧ يحاسب يقيم الحساب ، والفتيل السحاة التي في شق النواة ، والنقير هو ما يخرج من نحو الخشب والحجر عند نقره أي أنه تعالى شديد الحساب حتى يطالب عبده بكل شيء ولو كان في نهاية الصغر

يُعطيَهُ ما أُستَحَقَّهُ مِنَ الجزاءِ عاجلاً أو آجلاً فإِنَّهُ مَن يعملْ مِثقالَ ذَرَّةٍ[1] خيرًا يَرَهُ والعكْسُ بالعكْسِ بل الحسنةُ عندَهُ بأضعافِها فَضلاً منهُ وَإِحسانا

وَأُعلموا أَنَّ مَن فرَّجَ عن أَخيهِ كُربةً من كُرَبِ الدنيا فَرَّجَ عنهُ العزيزُ الكريمُ كُربةً من كُرَبِ يومِ القِيامةِ وأَنَّ السَّعْيَ عَلَى المساكينِ مُحبَّبٌ إليهِ جلَّ شأْنُه . فأُتَقُوا اللهَ وأحسِنوا تكونوا مِنَ الفائِزينَ إنَّ اللهَ معَ الَّذينَ أُتقَوْا والَّذينَ هُمْ مُحسِنُون

---

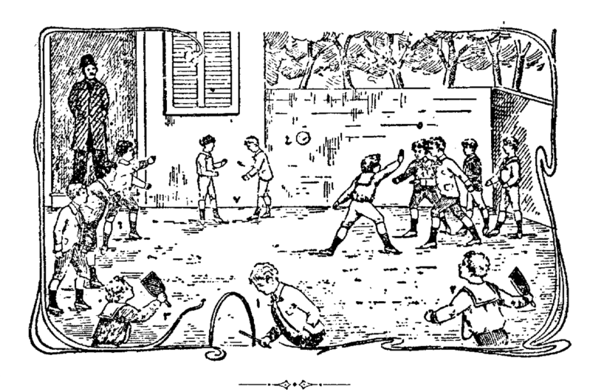
١ المثقال المقدار، والذرة واحدة الذر وهو الهباء المنثور في الهواء الذي تذريه الرياح



# الباب الثاني

## في مواضيع تهذيبية

### العود الى المدرسة [١]



يا بَنِيَّ أعلموا أَنَّ الإِنسانَ يُولَدُ طفلًا خِلْوًا [٢] من الإِدراكِ لا فَهْم له ولا عقل . ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلى حالةٍ لا يَرَى فيها إِلاَّ ما يكونُ قريبًا منهُ ولا يَدْري شيئًا مِنَ المَنافِعِ والمضارّ فيَستَهزِئُ بأُمّهِ

١ هذه الصورة منقولة من الجزء الاول صحيفة ٢١ فاطلبوا هناك ما قلته عنها وعن فوائد الرياضة لصحة الجسم وسلامة العقل ٢ خلواً خاليا

وأبيهِ ويلعبُ بالتُّرابِ ويُذريهِ [١] ويعبَثُ [٢] بالتِّبْرِ [٣] ويزْدَريهِ [٤] ولا يفرُقُ بينَ الحَسَنِ والقبيحِ ولا يُمَيِّزُ الباطِلَ مِنَ الصَّحيحِ ، ثم يرتقي إلى درجةٍ أُخرَى يعرِفُ فيهـا قليلًا مِمَّا يُريدُهُ ويُرادُ منهُ ، ولا يزالُ يصعدُ في سُلَّمِ التَّمييزِ حتى يُدرِكَ بعضَ فوائِدِ سمعِهِ وبصَرِهِ ولسانِهِ وعقلِهِ وغيرِهـا فيَشتَغِلُ حينئذٍ باُقتباسِ [٥] الآدابِ واُكتسـابِ العُلومِ التي تُرْشِدُهُ إلى خيرَي الدُّنيـا والآخرةِ وتجعلُهُ هادِيَ البالِ مُعَظَّمًا نافِعًا نفسَهُ وأَهلَهُ ووطَنه ، مُتَمتِّعًا بأَحسَنِ عِيشةٍ إلى أَن يأْتيَهُ أَجلُه فيخرُجَ من هذهِ الدنيا ويرى في الآخرةِ ما قدَّمتْهُ يداهُ فيُجازى بمُقتضاه [٦] ، ثم يأْتي بعدَهُ أولادُهُ فتكونُ حالُهُم كحالِهِ وهـكذا من بعدَهم

فإِذا تأَمَّلتُمْ هذا علِمتُمْ أنكم لا تستمرُّونَ عَلَى حالةٍ واحدة ، وكذا الدنيا وما فيهـا من حيَوانات ونباتاتٍ وجَماداتٍ كُلُّ ذلك مُتغـيِّر ، ولا شكَّ أنَّ كلَّ متغيرٍ مُعرَّضٌ للزَّوال . فلو نظَرتُم إلى البَدْرِ مثلًا لرأَيتموهُ يبدو في أوَّلِ الشَّهرِ هِلالًا صغيرًا ثم يتزايَدُ

---

١ يذريه يفرقه في الهواء ٢ يعبث يلعب ٣ التبر الذهب ٤ يزدريه يستخف به
٥ اقتباس اكتساب ٦ بمقتضاه بحسبه

شيئًا فشيئًا إلى أن يتمّ فيأخذ في النّقصان حتى لا يبقى له أثر .
وكذلك الزمان يتغيّر ويذهب فاليوم يأتي بعد اليوم والأسبوع
بعد الأسبوع والشهر بعد الشهر والعام بعد العام وكلّ هذا يمرّ
سريعًا بالنّظر إلى الواقع وإن طال في نظرنا ويفنى ولا يبقى إلّا
وجه ربّنا ذو الجلال والإكرام

بل لو نظرتم إلى أنفسكم لوجدتم أنكم أخذتم الإجازة
السّنويّة من نحو شهرين وقد مرّت أيّامها سراعًا [١] ورجعتم
إلى المدرسة كأنكم لم تتركوها أصلا . فتدبّروا هذا الكلام [٢]
واجعلوه نصب أعينكم [٣] في كلّ حين حتى لا تضيّعوا شيئًا من
هذه الأوقات الثّمينة التي تمرّ عليكم مرّ السّحاب وأنتم لا تشعرون ،
فاشغلوها بطلب العلوم وتحصيل الفوائد حتى يزيد عقلكم كما
تزيد أجسامكم وتكون حالكم في آخر هذه السّنة المدرسيّة
أحسن منها [٤] الآن

هذه نصيحة أخ صدوق قد جرّب الدّهر وما فيه بل

---

١ سراعا حال من الأيام وهي جمع سريع ٢ تدبروا هذا الكلام أي تفكروا وانظروا فيه ٣ نصب أعينكم أي أمامها ٤ منها أي مما هي عليه

مَوعِظَةُ والدٍ شَفوقٍ لا يريدُ إِلاَّ خيرَ بنيه ، فتمسَّكُوا بها أشَدَّ تمسُّكٍ وَإِلاّ تكونوا قد أخطأتُمُ الغرَضَ الذي جئتُمُ المدرسةَ من أجْلِهِ وقضَيتمُ عُمْرَكم فيما لا فائدةَ فيهِ وجلبتم لأنفُسِكُم الضَّرَرَ والعارَ والذُّلَّ والاحتقارَ وكان مستقبلُكمْ شَرًّا واستبدلتم بالحلْوِ مُرًّا فتعَضُّونَ أصابعَكم ندَماً عَلَى ما فاتَكم ولسانُ حالكم يقول :

ضيَّعتُ عمْرِيَ في الذي لم يُحمَدِ * وبأشرفِ الأعمالِ لم أتزوَّدِ[١]

فتركتُ تحصيلَ العُلومِ تكاسُلاً * ورغِبتُ في لهوي وطِيبِ المَرقدِ

فالآنَ أندُبُ حالتي متُجرِّعاً * غصصَ الخطوبِ بسوءِ حالي المُفسِدِ[٢]

يا مَن يرُدُّ عليَّ ما قد فاتني * هيهاتَ ليس يُرَدُّ أمسِ إلى الغدِ

فقدَتْ يدي زمنَ الشَّبابِ وهل ترى * لي مَطمعاً في الغابرِ المتُجدِّدِ

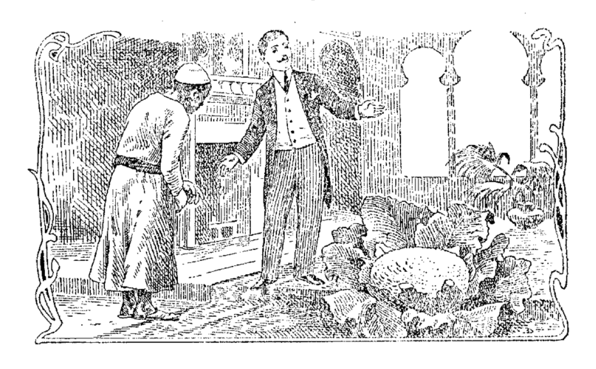
لو كانَ يرجِعُ كنتُ أعمَلُ غيرَ ما * قد فاتَ مني كي أفوزَ بمقصِدِي

فتيقَّظوا[٣] أيُّها الأبناءُ واعملوا في صِغَرِكم لتستريحوا وتُريحوا في كِبَرِكم إذ ليس للإنسانِ إلاَّ ما سعى وسَعيُهُ سوفَ يُرَى ثُمَّ يُجزاهُ الجزاءَ الأوفى[٤]

---

١ أتزود اتخذ زادا ، والمراد بالتزود هنا الاستعداد ٢ أندب أبكي ، ومتجرعا شارباً كرها ، والغصص جمع غصة وهي الهم ، والخطوب جمع خطب وهو الامر المكروه ٣ تيقظوا تنبهوا ٤ يجزاه الجزاء الاوفى نائب الفاعل في يجزاه يعود الى الانسان

## الطمع الوخيم



كَانَ لِبَعضِ البلادِ أميرٌ يَعتَني بالزِّراعةِ ويبذُلُ جهدَهُ فيما يُقَدِّمُها ويُنَشِّطُ أهلَها لِعلمهِ أنها قِوامُ[1] الحياة . فزرَعَ فلاَّحٌ كُرُنباً نما نُمُوًّا عجيباً زائدًا عَلَى غيرهِ مِمَّا زُرِعَ في سنته . ولمَّا تمَّ صلاحُهُ عمَدَ إلى أكبَرِ كرنبةٍ منهُ وأهداها إلى الأمير ، فتقبَّلَها قبولاً حسناً وهنَّأهُ بنجاحِ زرعِهِ ووصَلَهُ[2] بعشَرةِ دَنانيرَ . فخرجَ الفلاَّحُ من عندهِ شاكراً لِفَضلِهِ مسروراً بنَوالِه[3]

---

وهو في الاصل مفعول أول ، والهاء مفعول ثان ، والجزاء مفعول مطلق ليجزى ، والأوفى صفة ١ قوام نظام ٢ وصله بعشرة دنانير أعطاه اياها ٣ النوال العطية

وما لبثَ أن قصَّ ما جرى له عَلَى بعضِ جيرانِهِ فداخلَهُ الطَّمَعُ وقال في نفسه : إذا كان الأميرُ قد كافأَ فلانًا هٰذهِ المُكافأةَ عَلَى كرنبةٍ واحدةٍ فكيفَ تكونُ صِلَتي [١] إنْ أهديتُ إليهِ هديّةً نفيسة، وقام من ساعتِهِ إلى زريبتِهِ واختارَ منها كَبشاً سميناً . فلما مثَلَ بينَ يدي الأميرِ أدركَ مُرادَه وعلِمَ ما ساقَهُ إلى ذٰلك إلاَّ الطمعُ الوخيمُ، فقالَ له : مَهلاً حتى أُكافِئَكَ عَلَى هديتك ، وغاب عنهُ هُنَيهة

ففرِحَ الرَّجُلُ بما سمِعَهُ فرَحاً عظيماً وظنَّ أنَّ الأميرَ سيدفعُ إليهِ شيئاً يَزيدُ كثيرًا عَلَى ما أعطاه صاحِبَ الكرنبةِ بل يُغنيهِ هو وعِيالَهُ ما داموا في قيدِ الحياة . وبينما يُناجي [٢] نفسَهُ بهٰذهِ الأماني إذا بالأميرِ قد أتاهُ بالكرنبةِ المُهداةِ إليهِ من جارهِ وقد يبستْ وتَساقَطتْ أوراقُها وذبَلتْ أضلاعُها وأصبَحتْ لا تنفعُ شيئاً . فأخَذَها المغرورُ وقلبُهُ يَتَفَطَّرُ [٣] أسَفاً وتَحَقَّقَ أنَّ الطَّمَعَ لا يعودُ عَلَى صاحبِهِ إلاَّ بخَيبةِ الأمل

---

١ صلتي أي الهدية التي آخذها ٢ يناجي يحدث ٣ يتفطر يتقطع

## صبي بيع في السوق

أُختُطِفَ صبيٌّ نَصرانِيٌّ في عهد السُّلطان صَلاحِ الدِّينِ الأَيوبيّ ١ . فحزنتْ عليهِ أُمُّهُ حزنًا شديدًا ورفعتْ أمرَها إلى السلطان وهيَ تبكي وتندُبُ ولدَها . فرقَّ لها قلبُهُ ودمعتْ عيناهُ فأمرَ بالبَحثِ عن الولد ، وإِذا هو قد بِيعَ في سُوقِ القاهِرة فأرسَلَ في الحالِ بمَنْ دفعَ ثمَنَهُ إلى المشتَري ولم يزلْ واقِفًا حتى جيءَ بالغلام ، فسلَّمَهُ إلى أمّهِ وحملَها عَلَى فرَسٍ إلى قومِها مُكرَّمةً قريرةَ العين

---

١ ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢ هـ وتربى في كنف أبيه نجم الدين حتى ترعرع ، فدخل في خدمة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشأم ، وتدرب معه على أمور السياسة وطال فيها باعه ، ثم سيره مولاه الى مصر ليساعد واليها ، ولما كانت سنة ٥٦٧ مات العاضد لدين الله والى مصر في ذلك الزمان فقام صلاح الدين مقامه ولم يلبث أن استقل بها واستولى على بلاد الشأم والعراق واليمن واشتهر بمقاتلته الفرنج الطامعين في الاستيلاء على الأرض المقدسة ( La Terre Sainte ) لنزع قبر المسيح من أيدي المسلمين . ومن نوادره معهم أنه رأى يوما ملكهم قلب الاسد يقاتل راجلا فأرسل له جوادا يركبه مع رسالة يقول له فيها : مقامك أرفع عندي من أن أراك تقاتلني راجلا . مات بدمشق سنة ٥٨٩ . كان ربعة القامة كثيف اللحية حاد العينين شديد الذكاء كريم النفس رقيق القلب كثير الوفاء يأمن الناس ظلمه بعدله

## الرفق بالحيوانات يدفع كثيرا من الآفات



كَانتْ سَيِّدَةٌ غنيةٌ تتنزَّهُ علَى صَفّةِ نهرٍ [١] عظيم ، فنظَرتْ شِرْذِمةً [٢] منَ الأولادِ يجرُّون كلباً صغيراً علَى قنطرةٍ عاليةٍ كي يُلقوهُ مِن فوقِها في وسَطِ التيَّارِ [٣] ، فأشفقتْ علَى ذٰلك الحيوانِ الضعيفِ واُشترتْهُ منهُم وحملتْهُ إلى قصرِها . فاُستأنسَ بها ولازمَها ملازمةَ ظِلِّها

فاُتفقَ أنها لمَّا دخلتْ غُرفتَها ذاتَ ليلةٍ طفِقَ الكلبُ

---

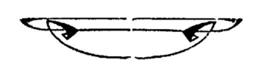
١ صفة النهر جانبه ٢ الشرذمة الجماعة ٣ التيار هو الموضع من الماء الأشد جريانا

يشمُّ تحتَ سريرِها وينبحُ . فرابَها [1] ذلك وشغلَ فِكرَها ، فأخذتِ المِصباحَ وجعلتْ تنظرُ تحتَ السَّرير ، وإذا لصٌّ مُستخفٍ هناكَ علَى غايةِ السّكون ينتظِرُ أن تنامَ فيقتلَها وينهبَ ما في قصرِها . فتقهقرَتْ [2] خفيةً كأنَّها لم ترَهُ وغلَّقتِ [3] الأبوابَ واستغاثتْ بأهلِها وخدَمِها ، فأسرعوا جميعاً إليها وقبضوا علَى اللّصِّ وسلموه إلى الشُّرَط [4] . فغلُّوهُ [5] بالسَّلاسِلِ وساقوهُ إلى السِّجنِ وسِيمَ [6] أشَدَّ العذاب . فقدَّمتِ السَّيِّدَةُ أطيبَ حمدٍ للهِ ولم تشُكَّ أنَّ سببَ نجاتِها هو إنقاذُها ذلك الكلبَ والإحسانُ إليهِ فإنَّ الرِّفقَ بالحيواناتِ يدفعُ كثيراً من الآفاتِ

مَن يصنعِ الخيرَ لم يعدَمْ جوازيَهُ * لا يذهبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ [7]

---

١ رابها أي أوقع في نفسها الخوف ٢ تقهقرت رجعت ٣ غلقت أقفلت ٤ الشرط هم الرجال المنوط بهم الضبط العام ويقال لهم في أيامنا البوليس ، واحده شرطي بسكون الراء ٥ غلوه قيدوه ٦ سيم كلف بتشديد اللام ٧ العرف هو المعروف



## الدواء الشافي

إِعتادَ شابٌّ غنيٌّ إِدمانَ[١] شُرْبِ العَرَقِ وأفرَطَ حتى أُصيبَ بمَرَضٍ كاد يذهَبُ بحياته . فعرَضَ نفسهُ عَلَى نِطاسيٍّ[٢] ، فقال له إِنْ لم تعدِلْ أيها الشابُّ عن تَعاطي العرقِ فأنذِرْ[٣] نفسكَ بالموتِ العاجلِ لأنَّ فيهِ سمًّا ناقِعاً[٤] ولاسيّما للشُّبَّان . فقال : منَ الأسَفِ أيها الطَّبيبُ الفاضلُ أنِّي لا أستَطيعُ أنْ أتركَ هٰذهِ العادةَ لأنِّي نشأتُ عليها ولازَمتُها حتى صارتْ لي طبيعةً لا يُمكنُني الإِقلاعُ[٥] عنها بل يستحيلُ أن أعيشَ بدون أن أشرَبَ منهُ كُلَّ يومٍ مِلءَ زُجاجة . فقال الطبيبُ : حيثُ الأمرُ كذٰلك سأنظُرُ لك طريقةً أُخرى تشفى بها إِن شاءَ الله ، فأْتِني غداً وقتَ الزَّوالِ يكُنْ خيرا

فأتاهُ الشابُّ في الميعاد . فقدَّمَ له الطبيبُ عُلبةً ظريفةً مَملوءةً حصًى نظيفاً بهيئةٍ حسنةٍ وزجاجةً بَهِيَّةَ المنظرِ صافيةَ

---

١ الادمان المداومة ٢ النطاسي هو الطبيب الحاذق الماهر في صناعته ٣ أنذر نبه بتشديد الباء وكسرها ٤ ناقع قاتل ٥ الاقلاع عن الأمر هو تركه

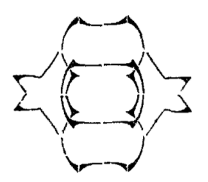
اللَّوْن ، وقال له لا تشرَبْ إلاَّ مِن هٰذهِ الزجاجةِ بعدَ أنْ تضعَ فيها كلَّ يومٍ حصاةً من هٰذا الحصى ولا تُخرِجْها فتضعُفَ بذٰلك وطْأةُ [١] السمّ . فتخيَّلَ الشَّابُّ أنَّ في تلك الحِجارةِ خاصّيَّةً تقيهِ أذى العرقِ ولم يُدرِكْ غرَضَ الطَّبيب ، وجعَلَ يعمَلُ بأمره . فكانَ شُرْبُهُ ينقُصُ يوماً فيوماً بقَدرِ ما يضَعُ في الزجاجةِ منَ الحجارةِ حتى امتلأَتْ بالحصى ، فأصبَحَ وقد تخلَّى عن عادتهِ وبَرِئَ من دائه

يُؤْخَذُ من هٰذهِ الحِكايةِ أنَّ مَن يتعهَّدُ نفسَهُ ويُصلِحُ منها كُلَّ يومٍ ولو عيباً لا يلبَثُ أن يَصيرَ رجلاً كاملا [٢]

---

١ الوطأة الشدة ٢ قال بعض الحكماء في هذا المعنى : لو كنا نقطع في كل عام رذيلة واحدة لصرنا كاملين سريعا . وقال الشاعر في الحث على اصلاح النفس من عيوبها

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ✲ فأنت بالنفس لا بالجسم انسان



## معاملة الخالق للمخلوق[1]



إِبتعدَتْ أُسْرةٌ عن رئيسها في بعضِ السِّنينَ وأَقامتْ في مَصيفٍ له[2] فاتَّفقَ ذاتَ يومٍ أنهُ بعثَ لها جملةَ تُحفٍ[3] معَ رسالةٍ يقولُ فيها بعد الدِّيباجة[4] : كونوا مُحِبّينَ لبعضِكم محسنينَ في أَعمالِكم مُطيعين لوكيلِنا فإِني أُحضِرُكم عندي وأُسكِنُكم

١ هذه الصورة تمثل الرجل قابضاً على الرسالة بيده اليسرى ومشيراً اليه تعالى بيده اليمنى . وأمامه الأولاد وهو يقول : اعلموا أنه تعالى الخ ٢ المصيف هو الموضع الذي يتخذه الانسان ليقيم فيه زمن الصيف وهو يكون في أحسن بقعة من حيث الهواء ونزهة الرياض ٣ التحف جمع تحفة وهي الهدية ٤ ديباجة الرسالة هي ما يتقدم المقصود

محلاً جميلاً وأُقدِّمُ لكم هدايا أعظمَ من التي أتحفتُكم بها اليومَ إن عملتُم برسالتي

ففرِحَ بذلك الأولادُ وقالوا : ما أحبَّ رئيسنا لنا وما أميلَهُ إلينا وأحنَّهُ علينا، قد بعثَ لنا ماسرَّ خواطرَنا وأقرَّ نواظرَنا فلهذا نحبُّهُ ونعظِّمُهُ ولو بعيدًا عنا لا نستطيعُ أن نشاهِدَهُ بل نستحضِرُ هيْبَتَهُ[١] في قلوبنا ونلاحِظُ أنه معنا كأنَّنا نراهُ فنستسهِلُ كُلَّ صعْبٍ ونعملُ بما أوصانا بهِ لنصيرَ أهلاً لكرامتهِ ونِعَمِهِ التي وعدَنا بها ، ولا نعصي له أمرًا لئلاَّ يغضَبَ علينا ولا يُعطينا ما نتمنَّاهُ

فاستحسنَ الوكيلُ ما رآه من حالِهم وقالَ لهم اُعلموا أنه تعالى يُعامِلُ عِبادَهُ بمثلِ ما عاملَنا به رئيسُنا فإنه يُنعِمُ علينا بنِعَمٍ كثيرةٍ لا يُحصيها العدُّ كالشَّمسِ والقمرِ وغلَّاتِ[٢] الأرضِ وحيواناتِها التي منها رَكوبُنا[٣] ومنها غذاؤُنا ومنها ملابسُنا

ثم إنَّ مثَلَ الكُتُبِ المقدَّسةِ التي جاءَ بها أنبياؤُه كمثلِ رِسالةِ رئيسِنا ، فقد بيَّنَ اللهُ فيها وصاياه وشرائعَهُ ووعدَنا جنَّةً

---

١ الهيبة العظمة ٢ الغلات جمع غلة وهي كل ما يستخرج من الأرض كالقمح والقطن والذرة وأثمار الاشجار وغير ذلك ٣ ركوبنا أي ما نتخذه ركوبة كالابل والخيل

الخُلْدِ إِن نحنُ تمسَّكْنا بها وأعَدَّ لنا هُناكَ معَ الأبرارِ[١] هدايا أُخرَ من جميعِ ما نراه ونتصوَّرُهُ في هٰذه الدنيا . ولٰكنْ إِن غفَلنا عنهُ وأهمَلنا شريعتَهُ واتَّبعنا أهواءَنا[٢] غضِبَ علينا وحرَمَنا النعيم وخلَّدَنا في الجحيم

## المرشد الامين بالتعظيم قمين

كانَ من عادةِ الوزيرِ نِظامِ المُلْكِ[٣] أنَّه إِذا دخَلَ عليهِ أكَابرُ المَملكةِ يقومُ لهُم ثُمَّ يعودُ فيجلِسُ في محلِّه ، وكَانَ له مُرشِدٌ إِذا دخلَ عليهِ يقومُ ويُجلِسُهُ في مكانهِ ويَجلِسُ هو بينَ يديه

فقِيلَ له في ذلك[٤] . فقالَ : إنَّ أُولٰئِكَ إِذا دخلوا عليَّ يَمدحونَني بما ليسَ فيَّ فيزيدُني كلامُهم عُجباً وكِبرًا وأَتمادى في المعاصي ، وأمَّا هٰذا فيُذكِرُني عيُوبي ويُرشِدُني إِلى الخير فتنكَسِرُ نفسي لذٰلك وأرجِعُ عن كثيرٍ مِمَّا أنا فيه

---

١ الابرار جمع بر بفتح الباء وتشديد الراء وهو المحسن ٢ أهواء جمع هوى وهو الميل الى الشر ٣ نظام الملك هو الحسن أبو علي الطوسي ، ولد سنة ٤٠٨ ه واشتغل بطلب العلم من صغره ثم اتصل بخدمة الأمراء والملوك وأخلص لهم النصح واجتهد في نشر الدين والعلوم . مات قتيلا سنة ٤٨٥ ه ٤ قيل له في ذلك أي سئل عن سببه

## لا تخف نجوت من القوم الظالمين[1]



دخلَ شابّان بزيِّ [2] أولادِ الامراءِ بيتَ رجلٍ في بغداد [3] ، وأخـذا يجمعانِ أمتعتَه . ولمّا شعرُا بيقظتـهِ همّا بقتلِهِ . فولّى

---

١ هذه الصورة تمثل هرون الرشيد رافعا يديه الى السماء عند ما رأى اللصين طريحين أمامه وبجانبيه وزيراه ٢ الزي هيئة الملابس ٣ بغداد مدينة شهيرة بالعراق ، اختطها أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ على ضفتي الدجلة وجعلها كرسي الخلافة العباسية ، فجاءت على ما يرام من حسن الموقع واتساع المكان وجفاف الهواء ونقاوته ، تحفها البساتين وغيطان النخيل من كل جهة غير أنها شديدة الحر في الصيف والبرد في الشتاء ، وكانت زمانا طويلا محط رحال العلماء ، وأسواقها رائجة يقصدها التجار من جميع البلاد الا أن رياح الفتن والحروب لم تزل بها حتى صيرتها كما هي الآن من رداءة المباني وضيق الشوارع واعوجاجها ووساختها وقلة عدد سكانها وتأخرهم

هارِباً إلى هرُونَ الرَّشيدِ [١] وقصَّ عليه قِصَّتَه . فقال له : لا تخَفْ نجوْتَ من القومِ الظالمين ، ثم خَفَّ الرشيدُ إلى بيتِه ومعهُ وزيران في كوكَبٍ [٢] من الجندِ حتى إذا وصَلَ إلى البيت أمَرَ بإطفاءِ نورِهِ وإيقاعِ القتلِ باللِّصَّين . ثم أوقَدَ الوزيران النورَ وتأمَّلَ الرَّشيدُ فيمَنْ قُتِل ، فإذا هما من لُصوصِ بغداد ، فرفَعَ يديه إلى السماءِ ونطَقَ بكلماتٍ لم يتحقَّقْها [٣] الحُضور . [٤] فقال له أحدُ الوزيرين : عسى أن يكونَ ما خطَرَ ببالِ أميرِ المؤمنينَ خيرًا فإنَّا نراهُ كأنَّهُ يشكُرُ اللهَ على نِعمةٍ أزَلَّها [٥] إليه . فقال : نعَم أشكُرُه على أنه أزالَ عني العارَ إذ خشِيتُ أن يكونَ هذانِ الخاسِرانِ الأمينَ والمأمونَ [٦] لأنهما شابَّانِ والشُّبَّانُ يهونُ

---

١ هرون الرشيد هو خامس الخلفاء العباسيين . ولد سنة ١٤٨ هـ فاجتهد أبوه المهدي في تربيته وتخريجه في جميع آداب عصره وعلومه ، فنشأ ذكيا فطنا بعيد الهمة لا تطمح نفسه الا الى المعالي وعظائم الأمور حتى اذا مات أخوه الهادي سنة ١٧٠ بويع له بالخلافة ، ولم يزل مجهدا النفس في مصالح الأمة حتى بلغت في عهده شوطا بعيدا من الحضارة والارتقاء . وكان جسيما وسيما أبيض اللون طويل القامة يحب العلم والعلماء ولا يبخس ذا حق حقه . توفي وعمره ٤٦ سنة وقد وخطه الشيب ٢ في كوكب أي مع جماعة ٣ يتحققها يفهمها ٤ الحضور جمع حاضر وهو ضد الغائب ٥ أزلها أهداها ٦ الأمين والمأمون هما من أولاد الرشيد تتابعا بعده على أريكة الخلافة

عليهم كلُّ أمرٍ ولو كانوا ملوكا ، ولذا أمرتُ بإطفاء النور لئلاّ تعدِلَ بي الشفقةُ الأبويّةُ عن إجراء العدل الواجب على الأمير في الرّعيّة ، ولكنْ حيثُ رأيتُ الآنَ أنهما غيرُهما يحُقُّ لي تقديمُ شكري الخالصِ لمن بيده مقاليدُ الأمور

## التهاون فى اليسير يجلب كل عسير

أرسلَ قائدُ جيشٍ جاسوساً [1] يستَطلِعُ [2] له أخبارَ عدوّه . فعمدَ الجاسوسُ إلى فرَسٍ يسبِقُ الرّيحَ وبالَغَ في اختبارهِ قبلَ أن يركَبَهُ ، فوجدَه مُوافِقاً غرَضَهُ مُستوفياً جميعَ ما يلزَمُهُ سِوى مِسمارٍ في إحدى نِعاله [3] ، فلم يعبأ بهِ [4] وقالَ في نفسه : فقدُ مسمارٍ من نَعلٍ لا يُؤثِّرُ شيئاً . ثم امتطاهُ [5] ومضى . وبينما هو يسيرُ إذ سقَطتْ تلك النعل ، فقال : لو كان أمامي الآنَ مَن يُركّبُها له لفعَلتُ ولكنْ لا بأسَ فإنه يمشي جيّدًا بدونه . واستمرَّ

---

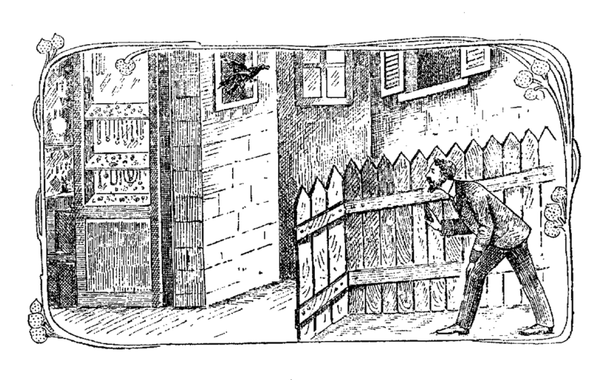
١ الجاسوس هو من يبحث عن الاخبار ثم يأتي بها من تهمه معرفتها ٢ يستطلع يكشف
٣ نعال جمع نعل وهي حديدة تركب في حافر الفرس حفظا له من الاحجار وغيرها
٤ لم يعبأ لم يبال ٥ امتطاه ركبه

فِي طَرِيقِهِ إِلَى أَنْ ذَهَبَ حَافِرُ الفَرَسِ فَعَجَزَ عَنِ المَسِيرِ . فَأَدْرَكَهُ الأَعْدَاءُ وَأَلْزَمُوهُ أَنْ يُطْلِعَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِ جَيْشِهِ [1] ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنَاصٌ [2] مِنْ ذٰلِكَ . فَقَصَدُوا الجَيْشَ وَأَحَاطُوا بِهِ إِحَاطَةَ السِّوَارِ بِالمِعْصَمِ [3] وَأَوْقَعُوا بِهِ القَتْلَ وَالنَّهْبَ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى البِلَادِ وَأَذَلُّوا العِبَادَ . فَعَلِمَ ذٰلِكَ المُهْمِلُ أَنَّ عَظِيمَ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ شِرَارِهَا وَأَنَّ كِبَارَ الأُمُورِ رُبَّمَا تَوَلَّدَتْ مِنْ صِغَارِهَا

١ عورات الجيش هي الاوجه التي اذا عرفها عدوه غلبه ٢ مناص مفر ٣ احاطة السوار بالمعصم أي احاطة تامة



## رب متهم وهو بريء



أوصت سيّدةٌ جوهريًّا بأنْ يصنعَ لها قِلادةً [١] فاخرةً مُرصَّعةً بحِجارةٍ كريمةٍ [٢] أعطتْه إياها . وكان لذلك الجوهريّ تِلميذٌ [٣] حديثُ السِّنّ مُولَعٌ برُؤيةِ الأشياءِ الثَّمينة . وبعد أيّامٍ فُقِدَ منها حجرانِ فاتَّهمَهُ معلِّمُهُ وذهبَ خُفيةً إلى غُرفتهِ ولم يزل يستقصي في الطَّلَبِ حتى وجدَهما هناكَ فوقَ صُندوقٍ مهجورٍ قد أكلَ عليهِ الدَّهرُ وشرِب [٤] ، فأخذهما فرِحا . فخُصِرتْ تُهمتُهُ

١ القلادة هي ما يجعل في العنق من الحلي ٢ بحجارة كريمة أي مما يتزين به كالياقوت والزمرد ٣ المراد بالتلميذ هنا هو طالب الصناعة كالنجارة والحدادة والحياكة ٤ قد أكل عليه الدهر وشرب أي طال عليه الزمان

بتاميذه . فأقبلَ عليه وأخرجَهُ مِن عندهِ مذموماً مدحوراً [١]
بعدَ أن صبَّ عليهِ منَ الشتائمِ أنهارا [٢]

ولمَّا كان بعضُ الأيَّامِ فُقِدَ حجرٌ آخرُ فبحثَ عنهُ وقلّبَ الدكَّانَ ظَهرًا لبطنٍ [٣] فلم يجدْهُ ولم يجدْ مَن يتَّهمُهُ حتى حارَ عقلُه . وما كانَ من أمرهِ إلَّا أن كمنَ ليقِفَ علَى حقيقةِ الحال . وإذا بعقعقٍ [٤] دخلَ من إحدى كُوى الدكانِ وأخذَ بمنقارهِ حجرًا وطارَ بهِ إلى الغرفة . فعلِمَ أنَّ تاميذَهُ بريء ، فندِمَ ندامةَ الكُسَعيّ [٥] . ثم أحضرَهُ واعتذَرَ إليهِ وأشهرَ براءَتَهُ وأعادَهُ إلى ما كان عليه من قبل

---

١ مدحورا مطرودا ٢ صب عليه الخ أي أكثر له من الشتائم ٣ قلب الدكان الخ أي لم يترك فيه محلا الا فتشه . والظهر ضد البطن ، ومن لطيف ما ورد في مادته قولهم : قلب له ظهر المجن أي تغير عليه وساء رأيه فيه بعد الوفاق ، ولا تجعل حاجتي ظهرا أي لا تنسها ، وفلان يأكل على ظهر يدي أي أنفق عليه ، وهو خفيف الظهر أي قليل العيال وثقيله أي كثيرهم ٤ العقعق ( la pie ) طير على حجم الحمام وشكل الغراب وهو ذو لونين أسود وأبيض وذنب طويل ومنقار عريض حاد كالسكين ، وصوته العقعقة . يهيءُ وكره بعيدا من الناس ولا يأوى الا الى المواضع المشرفة القاصية عنهم . وهو كالنمل في حرصه على جمع القوت لايام الشتاء . وكذا من طبعه الاختطاف لما يراه لامعا من الاشياء الثمينة كالحلي والجواهر والنقود واخفاؤها في موضع آخر ، فكم من عقد ثمين سرقه من يمين وشمال وترك صاحبه يبكيه زمنا طويلا . فلذا ضرب به المثل في السرقة . ويكاد لا يترك التصويت كأنه يتكلم دائما سواء كان ماشيا أو طائرا حتى ضرب به المثل في الثرثرة أيضا ٥ الكسعي هو رجل من العرب اسمه محارب بن قيس يضرب به المثل في شدة الندامة . وذلك أنه خرج في ليلة ليلاء الى

## الجزاء من جنس العمل

كَانَ بِبعضِ المُدُنِ رجُلٌ من ذوي اليَسارِ [١] قَد ناهَزَ [٢] المِائَةَ من عمرِهِ ، وله ولدٌ قد تجاوَزَ الثلاثينَ صرَّفَهُ [٣] في جميعِ أَموالِهِ . فشرَعَ الولدُ ذاتَ يومٍ يُصلِحُ البيتَ ويُزَيِّنُه ويستبدِلُ الأمتِعَةَ الحديثَةَ بالقديمة [٤] . ثم تعدَّى علَى والدِهِ مخافَةَ أن تشمئزَّ منهِ نفوسُ جُلسائِهِ فأبعدَهُ كُرهاً من البيتِ وأتى بِهِ إلى قريةٍ له أرضٌ فيها واستدعى ناظِرَها [٥] وقال له إني قد عقَدتُ النِيَّةَ علَى أن يقضيَ ذلك الهرِمُ ( مشيرًا إلى أبيه ) بقيَّةَ أيَّامهِ معك ،

قترة له على مورد حمر الوحش . فلما ورد حمار رماه فأصابه وظن أنه أخطأه لأن السهم كان قد مرق من الرمية وأورى في صوانة وراءها . ثم ورد حمار آخر ثم آخر الى خامس وكان مع كل واحد كما مضى من رميه . ثم خرج من المكمن غضبان وكسر قوسه على أول صخرة اعترضته ونام الى جانبها حتى أصبح . فاذا به رأى الحمر مصرعة وأسهمه مضرجة بدمائها فندم على كسر قوسه ندما شديدا وعض ابهامه فقطعها ثم أنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أن نفسي * تطاوعني اذاً لقطعت خمسي
تبين لى سفاه الرأي مني * لعمر الله حين كسرت قوسي
وقد كانت بمنزلة المفدى * لدي وعند صبياني وعرسي

١ اليسار الغنى ٢ ناهز قارب ٣ صرفه في جميع أمواله فوضها اليه ٤ يستبدل الأمتعة الخ أي يأتي بأمتعة حديثة بدل القديمة ، وعلى ذلك قوله : أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ٥ الناظر هو المنوط به حفظ المزروعات

فأوَكِّلُكَ بهِ تأمُرُه بما تشاءُ وتنهاهُ عمَّا تشاءُ وتأتيهِ بما تراه ضَروريًّا من المأكَلِ والمشرَبِ والملبَسِ وأنا أُعطيك بعدئذٍ قيمةَ أتعابِك وما تكونُ أنفقتَه في سبيله . فعندما سمِعَ الأبُ ذلك الكلامَ حزِنَ حزنًا شديدًا وحاوَلَ أن يُرجِعَ ابنَهُ عن عزمِهِ وأخذَ يُقلِّبُ كفَّيهِ وينتحِبُ وابنُهُ اللئيمُ أمامَهُ مستبِدٌّ الرأيِ كأنَّهُ قد طُبِعَ [١] عَلَى قلبِهِ وجُرِّدَ من كُلِّ رحمةٍ وعاطِفةٍ شريفةٍ عَلَى أبيهِ بل تركَهُ وعادَ ضاربًا صَفحًا [٢] عن ذكرِهِ . فبقيَ ذلكَ المنكودُ الحظِّ [٣] ورُوحُهُ تكاد تذهَبُ حَسرةً عَلَى سوءِ مآلِهِ وهو يندُبُ حالَهُ بكلامٍ يُقطِّعُ الأكبادَ ويُذيبُ الفؤادَ ولم تقبَلْ نفسُه مأكولًا ولا مشروبًا إلى أنِ اعترَتْهُ [٤] حُمّى أخذتْ تشتدُّ عليهِ يومًا فيوما . فبعَثَ الناظرُ إلى الابنِ رسولًا يُخبرُه بما أحدَقَ [٥] بأبيه من الخطَرِ . فإذا هو غريقٌ في بحارِ الملاهي والملذّاتِ ولم يُعِرِ الرسولَ أُذُنًا صاغيةً . وكان الناسُ يعُودونَ [٦] الوالدَ

---

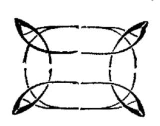
١ طبع غطي بتشديد الطاء ٢ ضاربا صفحا أي معرضا اعراضه ، وصفحا منصوب على المصدرية ٣ المنكود الحظ القليل البخت ٤ اعترته أصابته ٥ أحدق أحاط ٦ يعودون الوالد أي يزورونه في مرضه

ويُعزّونهُ عَلَى مُصابه ويستقبحونَ فِعلَ الولدِ ويتعجّبونَ غايةَ التَّعَجُّبِ من قِلّة عقْلِهِ وكثرةِ جهلِهِ وقساوةِ قلبه . فقال لهم يوماً ذلك الأَبُ المسكينُ : لا تتعجّبوا أيها القومُ فإني أسأتُ إلى والدي في صِغَري فعُوقبتُ بمثلها في كِبَري . ثم خرجتْ رُوحهُ تاركاً جميعَ الناسِ في حَيْرةٍ وعبرة

هٰذا ما كانَ من أمرِ الأب ، وأمَّا ٱلابنُ فإنّهُ أساءَ تدبيرَ أشغالِه فذهبتْ أموالُهُ أدراجَ الرّياحِ ولم يُرزَقْ أولادًا فانقرَضتْ بهِ تلك الشَّجَرةُ الخبيثة [1]

---

[1] انقرضت انقطعت والمراد من الشجرة نسل الرجل



## التلميذ والشاهبلوط



كانَ تلميذٌ يتشكَّى من أتعابِ الدُّروسِ ولا يُحرِّكُ هِمَّتَهُ إليها. فأخذَه أُستاذُه ذاتَ يومٍ إلى النُّزهة، فوجدا في طريقهما شاهبَلُّوطًا [١] لم يُنزَعْ عنهُ شوكُه. فهمَّ التِّلميذُ بالتقاطِه. فبادَرَه الأُستاذُ بقوله: إيَّاكَ وهذا، ألمْ ترَ ما يُحيطُ بهِ من

---

١ الشاهبلوط أو أبو فروة بلهجة العامة هو شجر عظيم الجرم جميل المنظر، يكثر في البلاد المعتدلة الهواء من أوربا وغيرها. وهو بطيء النمو لا يؤتي أكله الا بعد نحو عشر سنين من غرسه. يصنع من خشبه ألواح متينة للبيوت والبراميل وغير ذلك. يكون ثمره في قشرتين احداهما ذات شوكات طويلة حادة أشبه بريش القنفذ يجرد منها عند جنيه وقبل عرضه للتجارة. والاخرى تصحبه الى أن يطبخ. والشاهبلوط غذاء صحي طيب الا أنه بطيء الهضم وفيه بعض ثقل على المعدة

الشَّوكاتِ الحادّةِ كأنَّها إِبَر . فقال : نَعَمْ غيرَ أنَّ هُناكَ ثمرةً طيّبةً لذيذةً لا يُوصَلُ إليها إلاَّ بعدَ احتمالِ الآلامِ في نزعِ ما عليها

فقال الأُستاذ : صدقتَ ولٰكنْ لو تروَّيتَ فيما نطقتَ لرأيتَ لسانَك يُعرِّضُ [١] بشخصٍ هو في ثيابك . . . ألستَ أنتَ الذي تضجَّرَ من طلبِ العلمِ وأغفلَ حرثَه [٢] ؟ ألمْ تعلمْ أنَّ في العُلومِ لَذَّةً عظيمةً لا يشعرُ بها المرءُ إلاَّ بعد أن يذوقَ مُرَّ العذاب ؟ فاتَّعِظْ يا بُنَيَّ واصبرْ عَلَى تعبِ العلمِ فإنَّ طلبَهُ وإن كان عسيرًا لٰكنَّهُ يضمَنُ لك خيرًا كثيرا . ولله درُّ الشاعرِ حيثُ يقولُ مخاطِبًا نفسه :

ذريني [٣] أنَلْ ما لا يُنالُ منَ العُلا * فصَعبُ العلا في الصّعبِ والسَّهلُ في السَّهلِ
تُريدينَ إدراكَ المعالي [٤] رخيصةً * ولا بُدَّ دونَ الشَّهدِ من إِبَرِ النحلِ

---

١ يعرض بشخص أي يقصد ذمه بدون أن يصرح به وهذا الشخص الذي في ثيابك هو أنت ٢ أغفل أهمل . وحرثه درسه أي الاشتغال به ٣ ذريني دعيني ، والعلا الرفعة والشرف ، يقول : دعيني أجتهد لأنال من الرفعة والشرف ما لا يناله غيري لصعوبة الوصول اليه فان نهاية العلا بعيدة وأما أوله فقريب يناله كل انسان ٤ المعالي بمعنى الرفعة والشرف أيضا مفردها معلاة . ورخيصة أي بلا تعب منصوب على الحال من المعالي . ودون ظرف متعلق بمحذوف حال لابر مقدمة ، والابر جمع ابرة بمعنى شوكة النحل . يقول : أتريدين أن تدركي المعالي بلا تعب ولا شيء يدرك كذلك فان جاني العسل لا يصل اليه الا بعد أن يقاسي لسع النحل

## الماء الراكد

خرجَ طالِبُ عِلمٍ حديثُ السِّنِّ معَ جَدّهِ إلى بستانٍ مفروشٍ بأنواعِ الخضْراواتِ مُزدانٍ بأشجارٍ مُكلَّلةٍ بأزهارٍ مُختلِفةِ الألوانِ تُغرّدُ أطيارُهُ بأطربِ الألحان. فقرَّ فيهِ ناظِرُه وسُرَّ بهِ خاطرُه

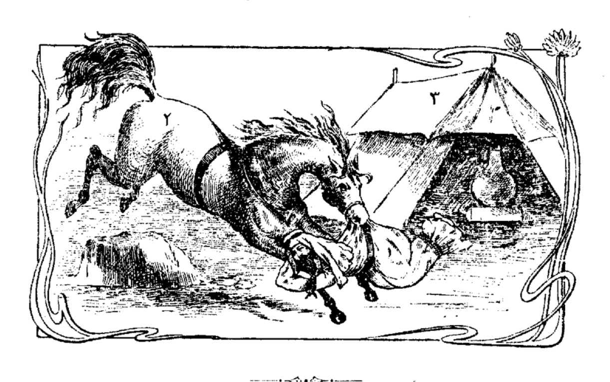
وبينما هو مُعجَبٌ بجمالِ الطَّبيعةِ[1] إذ حمَلتْ إليهِ الرّيحُ رائِحةً كريهة. فأخذَ يُقلّبُ عينيهِ جهةَ مَصدَرِها، فعلِمَ أنها مُنبَعِثةٌ من ماءٍ راكدٍ هناك. فسألَ جدَّهُ عن سببِ فسادِهِ. فقال: يا ولدي كلُّ ماءٍ عدِمَ الحركةَ لا يلبَثُ أن يأسَنَ[2]. وينتشِرَ منهُ أكرهُ الرَّوائح، وهكذا يكونُ التلميذُ إذا كسِلَ ولم ينشَطْ إلى الدُّروسِ فإنَّ عقلَهُ يفسُدُ وجسمَهُ يضعُفُ وتَسوءُ أخلاقُهُ وأحوالُه جميعا

فاحذَروا أيها التَّلاميذُ الوقوعَ في ذلك البلاء[3] وداوِموا الاجتِهادَ فإنَّ العُطلةَ[4] أصلُ كلِّ داءٍ وشقاء

---

١ المراد بالطبيعة هنا هو مجموع المخلوقات مع نظامها العجيب الدال على أن هناك صانعا قديرا يدبر كل شيء بحكمة ٢ يأسن يفسد ٣ البلاء المصيبة ٤ العطلة هي البقاء بلا عمل

## فرس الاعرابي




قامتِ الحربُ بينَ قبيلتَينِ منَ العرَبِ [١] ، وتأجّجتْ [٢] نيرانُها حتى سالتِ الدِّماءُ أنهارا . ولمّا وضَعتْ أوزارَها [٣] كَانَ فيمن أُسِرَ فارسٌ صِنديدٌ [٤] أبى تسليمَ سلاحهِ لاعتقادهِ أنَّ الموتَ أهونُ منَ الخُضوعِ للعَدوِّ وفرَّ مُمتَطياً متْنَ فرسٍ له . فاندفَعَ في إِثرهِ كوكبٌ من الفُرسانِ وما أدركوهُ إلاَّ بعدَ أن أكثروا

---

١ العرب هم ساكنو العربستان ( العربستان l'Arabie ) أو الذين لهم نسب في العرب وان كانوا مقيمين في خارجها . اطلبوا الكلام على العرب وبلادهم في الموضوع الآتي الذي تحت عنوان : ( استوصوا بأمكم خيرا ) ٢ تأججت التهبت ٣ وضعت أوزارها، الاوزار جمع وزر بكسر الواو وهو السلاح ويكنى بوضع الاوزار عن انقضاء الحرب لأن أهلها يضعون أسلحتهم حينئذ ٤ الصنديد هو السيد الشجاع

فيه الكلوم.[1] فشدّوا وثاقهُ[2] وحملوهُ إلى محلّتهم[3] صاغرًا[4]
وطرحوهُ في خيمةٍ كأنّه من سقطِ المَتاع
ولمّا كان الليلُ لم ينمِ الأعرابيُّ من شدّة آلامهِ وكثرةِ
همومه. فسمعَ في جوفِ الدُّجى[5] صَهيلَ[6] فرسهِ بين خيولِ

---

١ الكلوم جمع كلم كفهم وهو الجرح ٢ الوثاق بفتح الواو وكسرها هو ما يشد به الشيء من قيد وحبل ونحوهما ٣ المحلة هي الموضع الذي ينزله القوم مدة قضاء حاجة ٤ صاغرا ذليلا ٥ الدجى ظلمة الليل ٦ الصهيل صوت الخيل . كما أن الشحيج صوت للبغل . والخوار للبقر . والثغاء للغنم . واليعار للمعز . والزئير للأسد . والعواء للذئب . والضباح للثعلب . والنباح للكلب . والمواء للهرة . والضحك للقرد . والنزيب للظبي . والضغيب للأرنب . والزمار للنعامة . والقعقعة للصقر . والصفير للنسر . والهدير والهديل للحمام . والعندلة للعندليب . والقلقة للقلاق . والبطبطة للبط . والهدهدة للهدهد . والقطقطة للقطا . والصقاع والزقاء للديك . والنقنقة والقوقاء للدجاجة . والزقزقة للعصفور . والنغيق والنعيق للغراب . والوغى للجيش في الحرب . والخرير للماء الجاري . والازيز للمرجل عند الغليان . والغطغطة والغطمطة والغرغرة للقدر اذا غلت . والنشنشة للمقلى . والقرقرة للقارورة . والهزير للريح . والجعجعة للرحى . والوسواس للحلي . والقلقلة للقفل والمفتاح . والدرداب للطبل . والطنطنة للأوتار . والهيقعة للسيوف . والرنين للثكلى والقوس . والقصيف للرعد والبحر . والقعقعة للسلاح والقرطاس . والشخشخة والخشخشة للدرع والثوب الجديد . والحفيف للاغصان وجناح الطير وحركة الحية . والصليل والصلصلة للحديد واللجام والسيف والنقود والمسامير . والطنين للذباب والبعوض والطنبور . والأطيط للابل والرجل اذا أثقله ما عليه . والصرير للقلم والسرير والطست والباب والنعل . والصرصرة للبازي والأخطب . والدوي للنحل والأذن والمطر . والصئي للفيل والخنزير والفأرة واليربوع والعقرب . واللغط أصوات مبهمة لا تفهم

المحلة ، فعطفت عليه عواطفه واشتاقت إليه نفسه وودّ لو يودّعه. فجمع ما بقي من قوّته وجعل يزحف على ركبتيه ومرفقيه حتى بلغ إليه. فقال له وعينه عبرى وكبده حرّى [1] : آه يا رفيقي . . . كيف تصنع بك الأعداء بعدي . . . ومن من هؤلاء الأرذال [2] يقدّم لك لبن النياق [3] المصفّى وجيّد الشعير المنقّى ؟ وأنّى لك بعد الآن أن تسرح في الصحراء أخفّ من ريشة في الهواء . هاأنذا أسير ولكن لم تشاطرني أنت الضرّاء ولا تعود إلى ما تمليته [4] من السرّاء . . . لا يكون ذلك بل ارجع إلى الأرض التي ألفتها وتقلّبت في حجرها [5] وقل لحليلتي الخليلة [6]

فرجّي الخير وانتظري إيابي * إذا ما القارظ العنزيّ آبا [7]

ثم أمرح [8] مع أولادي وكل الشعير من أيديهم والعقها شكرا

---

١ الحرى مؤنث الحران وهو ضد البارد ٢ الأرذال جمع رذل وأرذل وهو الدون في جميع حالاته ٣ النياق جمع ناقة وهي أنثى الجمل ٤ تمليته أي تمتعت به طويلا ٥ تقلبت في حجرها أي نشأت فيها ٦ الحليلة الخليلة أي الزوجة الحبيبة ٧ صاحب البيت هو بشر ابن أبي خازم قاله لابنته عميرة عند موته وفيه اشارة الى المثل السائر : لا آتيك أو يؤوب القارظان . يضرب لكل غائب لا يرجى رجوعه . وأصله أن رجلين من بني عنزة خرجا يجتنيان القرظ وهو ورق شجر السلم يدبغ به فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر ، وجاء في البيت بصيغة المفرد للضرورة أو الحكاية عن أحدهما فقط ٨ المرح شدة الفرح

كلُّ ذلك والأعرابيُّ يقرِضُ بأسنانهِ عِقالَ فرسهِ حتى انقطعَ ، فوثبَ عَلَى أرجُلهِ ودارَ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمال كأنَّهُ ظَبْيٌ يتعرَّفُ جهةَ الأرضِ التي نشأ فيها . ثم وقفَ بغتةً حزينًا ناظِرًا إلى صاحبهِ مُوثقًا ولسانُ حالهِ [١] يقول : كيف أرجِعُ وحدي وأترُكُكَ مخذولاً [٢] بينَ أعدائك ؟ . . . كلاَّ . فطأطأَ هامتَه [٣] إليهِ وشمَّ جميعَ جسمهِ فوجدَ وسَطَهُ مشدودًا بمِنطَقةِ [٤] جلدٍ عريضة ، فعضَّ عليها ورفَعَه عنِ الأرضِ وانطلَقَ بهِ كالبَرقِ الخاطِفِ ولم يزلْ راكِضًا حتى أوصلَه إلى خيمتهِ وألقاهُ أمامَ زوجتهِ وأولادهِ وسقَطَ هو لا صوكَ بهِ ولا بوكَ [٥] . فعالجوه [٦] وإذا هو قد مات . فحزِنَ الأعرابيُّ أيَّ [٧] حزَن وبكتْهُ الحِجازُ والعِراقُ واليمَنَ [٨] ورثتْه الخُطباء وغنّتْ بمجدِهِ الشُّعراء حتى بقيتْ حكايتُهُ بينَ القبائلِ دهرًا طويلاً إذ لم يرَ ولن يرَى أحدٌ له مثيلا

---

١ موثقا منصوب على الحال من صاحب والضمير في حاله يرجع الى الفرس ٢ المخذول من لا ناصر له ٣ هامته رأسه ٤ المنطقة الحزام يشد به الوسط ، وقد بنوا من المنطقة فعلا فقالوا : تمنطق فلان اذا لبس المنطقة كما قالوا : تمدرع وتمندل وتمسكن من الدرع والمنديل والمسكين ، وربما قالوا : تمنطق أي تعاطى علم المنطق ، ومنه : من تمنطق فقد تزندق ٥ لا صوك به ولا بوك أي لا حراك به ٦ عالجوه قلبوه ٧ أي بمعنى أعظم وهو مفعول مطلق ٨ الحجاز والعراق واليمن أي أهلها في التركيب ايجاز بحذف المضاف

## ملكة التوفير

مَلَكةُ التَّوفيرِ تعوّدُ الإنسانِ حفظَ الزائدِ عَلَى ضَروريّاتِه وحاجيّاتِه[1] . وهي من أهمّ الملَكاتِ التي يُرَبّي عليها الأبُ أبنَهُ من صِغَرِه ، ويتوصَّلُ إليها بأن يُعطيَهُ آونةً بعدَ أُخرى قليلاً من النُّقودِ قِرشاً مثلاً كُلَّ أُسبوعٍ أو قِرشَينِ أو أكثَرَ كلَّما فعَلَ فِعلاً حميدًا أو نالَ من مُعلِّميهِ شهادةً تنطِقُ باجتهادِهِ وحُسنِ سُلوكِه . ويُعلِّمُه قيمةَ النُّقودِ بأن يُطلِعَه عَلَى مِقدارِ ما يبذُلُه المرءُ في سبيلِ تحصيلِها من المشقّاتِ وأن يشرحَ له فائِدتَها في هذهِ الحياةِ ومنزلتَها من قلوبِ النَّاسِ وأنها مفاتيحُ أبوابِ المطالِبِ ومَطايا الآمالِ[2] والرغائبِ . فالواجبُ ألاَّ يتصرّفَ فيها إلاَّ بِيَدِ الحِكمةِ والتَّدبيرِ وأن يقِفَ بها عندَ حدّ الوَسَطِ

---

[1] الضروريات هي ما لا يستغنى عنه كالاكل والشرب . والحاجيات هي ما يستغنى عنه بمشقة كالملابس والمساكن . ويليها الكماليات وهي ما يستغنى عنه بلا مشقة

[2] المطايا جمع مطية وهي الركوبة . والمراد بها هنا المال وشبه بها لأنه يوصل الانسان الى الآمال . ومما قيل في مدح المال قول الشاعر :

فاذا رأيت صعوبة في مطلب ❊ فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه ❊ حجر يلين قوة الاحجار

من التَّقتير والتَّبـذير ١ . ثم لا يكتفي بأن يُبلِغَه ذلك قولاً بل يُمَرِّنُه فعلا ، فيبتاعُ له صُندوقاً صغيرًا يضَعُ فيـه ما ينالهُ أوَّلاً فأولا ، ومتى وفَّرَ عشرةً أو عِشرينَ قرشاً يُشيرُ عليه بأن يُودِعَها بَنكاً ٢ من بُنوكِ التوفير . وكلما تَوافَرَ معـه خمسةٌ أُخرى يدعُه يضُمُّها إلى الأُولى وهـكذا حتى لا يمضيَ عليـه زمنٌ طويلٌ إلاَّ ويكونُ قـد أجتَمَعَ له عَدَدٌ غيرُ قليلٍ من الجُنيهات . فحينئـذٍ إمَّا أن يشتريَ له بها سَهماً ٣ أو أكثرَ في إحدى الشَّرِكَاتِ ٤ الأمينةِ أو أَرضاً بأسمِهِ يتعهَّدُها هو بنفسه . ولـكنْ لمَّا كان التوفيرُ وحدَهُ ربَّمـا يُعوِّدُه البُخلَ وجَبَ على الوالدِ أَنْ يُرشِدَه إلى أَن يُحصِّلَ ببعضِ ما يُوَفِّرُه أشياءَ تُفيدُهُ هو أو يتصدَّقُ بها عَلَى فقيرٍ أَو يُهديهـا إلى صَديقٍ له قصدَ الوداد. فيربو ٥ بذلك عَلَى صِفتَينِ شريفتَينِ الأقتِصادِ من جهـةٍ وأستعمالِ المالِ في وجهـهِ من جهةٍ أُخرى فلا يرقى مَعارجَ ٦ السِّنينَ مبذِّرًا ولا مُقتِّرًا وهـذهِ هيَ الضَّالَّةُ المنشودةُ ٧ والغايةُ المقصودةُ من حياتِنا الدُّنيا

---

١ التقتير هو تقليـل النفقات ، والتبذير هو الافراط فيهـا والاقتصاد الآتي ذكره هو التوسط بينهما ٢ البنك هو محل مخصوص توضع فيه الاموال أمانة أو لاستثمارها ٣ السهم هو الحصة في شركة ٤ الشركات جمع شركة بمعنى الجمعية ٥ يربو يكبر ٦ معارج جمع معرج وهو السلم ٧ الضالة المنشودة هي البغية المطلوبة

## الصدق منج



دخلَ جرجسُ واشِنطُونُ [١] مرَّةً حديقةَ أبيـهِ وهو في العاشِرةِ من عُمرِه . فوجـدَ فأْساً [٢] صغيرة ، فأخذَها وجعَلَ يلحو [٣] شجرةً

١ هو ذاك الرجل العظيم فخر أمريكا . ولد سنة ١٧٣٢ ولما ترعرع أرسل الى المدرسة فبرز في جميع العلوم وتفرد عن أقرانه بحسن السلوك وامتثال رؤسائه . ثم أسندت اليه عدة وظائف في خدمة بلاده وغيرها فقام بأعبائها قيام الرجال الامين الذي لا يريد الا الاصلاح حيثما كان . حتى وقع الخلاف بين الانجليز ومستعمراتهم في أمريكا سنة ١٧٧٤ . فكان هو اليد العاملة في تحزب سكان تلك المستعمرات وحملهم على السعي في حل ربقتهم وطلب استقلالهم . فقلدوه قيادة جيوشهم وقاوم قواد انجلترا ولم يزل بهم حتى قهرهم فالتزمت انجلترا أن تعترف باستقلال ولايات أمريكا . ثم لما اتحدت تلك الولايات المختلفة على شكل جمهورية عظيمة واحدة انتدب هو رئيسا عاما لجميعها واستمر في منصبه الى سنة ١٧٩٧ . ثم اعتزل وعاش بين أسرته ومزارعه بعيدا عن الاشغال السياسية . ومات بعد ذلك بسنتين مأسوفا عليه . واتخذ قدوة لساسة الرجال ورؤساء الأمم وعد من أحكمهم وأكملهم في جميع الصفات التي يتباهى بها عقلاء الاقوام وعظماؤهم ٢ الفأس هي آلة ذات هراوة قصيرة يقطع بها الخشب

٣ يلحو شجرة ينزع قشرها

بهيجةً من نوعِ الكرزِ النادرِ الوُجودِ كانَ أبوه يُعِزُّها ويفتخِرُ بحُصولهِ عليها . وفي غدِ ذلك اليومِ خرجَ الأبُ يتنزّهُ معَ ابنِهِ في الحديقة ، فوقعَ نظرُه عَلَى الشجرة ، فرآها مُؤْذِنةً [1] بالتّلَف ، فانقبَضَ صدرُه عندَ رؤيتها وداخلَه غضبٌ شديدٌ ظهرَتْ آثارُه عَلَى وجههِ ، فالتفَتَ إلى الولدِ قائلا : يا خسارة ؟ . . . مَن لي بالذي قد أتلفَ هذه الشجرةَ فأُجازيَهُ عَلَى فعلِه شرَّ الجزاء !

فأجابَه الولدُ باكياً آسِفا : أنا هو يا أبي . فدُهِشَ الأبُ من إقرارِ ولدهِ مختارًا وهو يرى هَولَ الوعيدِ وشدّةَ النكيرِ وحارَ في أمرهِ بينَ أن يجازيَهُ بذنبِهِ أو يمدَحَه عَلَى صدقه . وإذا بهِ قد رفعَ عينيهِ عَلَى ولدهِ الواقفِ أمامَه خاضعاً نادِما ، فمال إليه يقبّلُه قائلا : بُنيَّ إنَّ حُسنَ اعترافِك بذنبكَ أحبُّ إليَّ من ألفِ شجرةٍ فإني أوثِرُ [2] صِدقَك عَلَى كلِّ ما تملِكه يداي . فشبَّ الولدُ حارِصاً عَلَى الصّدقِ متمسِّكاً بهِ في جميعِ أحوالهِ حتى نال أسنى [3] المَناصِب [4] وذاعَ صِيتُه في المشارقِ والمغارب

[1] مؤذنة بالتلف قريبة منه [2] أوثر أفضل [3] أسنى أرفع [4] المناصب جمع منصب وهو ما يتولاه المرء من الخدمات المعينة كخدمة وزير أو مدير

## حلم الملوك

إِشترى الرَّشيدُ فَصًّا [١] ثميناً من الياقوتِ [٢] الأحمَرَ بِمِائَة أَلفِ دِينار [٣] . ثم ورِثَه المأمونُ وسلَّمَه يوماً إِلى صائغٍ كي يصوغَه على كيفيَةٍ مَثَّلَهـا له . فانصَرَفَ ولم يُحضِرْه . فاستَبطأه المأمونُ واستدعاه . فدخَلَ الصَّائغُ وهو يرتَعِدُ وقد امتُقِعَ لونُه [٤] . ففهِمَ المأمونُ بالفِراسـةِ [٥] أَنَّ الفصَّ قد كُسِرَ منهُ . فولّى عنـهُ وجهَه . فلمَّا سكَنَ جأشُه [٦] أَقبلَ عليه المأمونُ وقال له : أَينَ الفصّ . فأخرَجَ الرجلُ الفصَّ أَربعَ قِطَعٍ وقال بخوفٍ عظيم : سقَطَ من يدي على السِّندان [٧] . فقال له المأمون : لا بأسَ عليك يا هٰذا اجعَلْه أَربعةَ خَواتِمَ ولا تحمِلْ همًّا لِما كانَ ، وأَلطَفَ له في الـكلامِ حتى ظنَّ الحاضِرون أنه كان يشتهي الفصَّ هـٰكذا

---

(١) الفص هو ما يركب في الخاتم من الاحجار الـكريمة ٢ الياقوت حجر صلب شفاف مختلف الألوان فنه الاحمر والاصفر والاخضر والازرق وهو قليـل الوجود عالي الثمن ٣ الدينار من النقود القديمة كان يساوي نحو سبعة عشر فرنكا ٤ امتقع لونه أي تغير من حزن أو فزع أو ريبة ٥ الفراسة هي الاستدلال بالظاهر على الخفي ٦ الجأش القلب ٧ السندان هو آلة يطرق عليها الحديد ونحوه



## الفتاة المغرورة



خرجتْ فتاةٌ صباحَ يومٍ من أيَّامِ الرَّبيعِ قَصْدَ التَّنَزُّه ، فلم تزلْ سائرَةً حتى انتهتْ إلى أرْضٍ مُخْضَرَّةٍ يكثُرُ فيها الرَّياحين [١] فجعلتْ تجمعُ منها باقةً تُزَيِّنُ بها غرفتَها . وبينما هي علَى تلك الحال أتاها فلاَّحٌ يحرُثُ هناك وقال لها : ابتَعِدي أيَّتُها الفتاةُ عن هذا المكانِ فإنه مأوى الحشراتِ [٢] القتَّالة

فابتعدتِ الفتاةُ قليلاً وهي ترنو [٣] إليها آسفةً على تركِها ،

---

١ الرياحين جمع ريحان وهو كل نبات طيب الرائحة كالبنفسج والزنبق ٢ مأوى الحشرات أي ان الحشرات تسكنه ، والحشرات هي صغار دواب الأرض مما له سم كالعقارب والأفاعي ، وما لا سم له كالضباب والفيران ٣ ترنو تنظر ساكنة مشتاقة

فلم تمكثْ أن غلبَتْها نفسُها فاقترَبتْ ثانيةً وصارتْ كلَّما قطفتْ واحدةً عادتْ إلى أُخرى حتى وقع بصرُها على زهرةٍ ذات شكلٍ وجمالٍ رائعٍ [١] فمدّتْ يدَها إليها فوثبتْ عليها أفعى [٢] عظيمةٌ والْتفتْ على ذراعِها ولدَغتها لدغةً أليمة . فلم يمضِ على تلك الفتاةِ السَّيِّئةِ الطَّالعِ بعضُ ساعاتٍ حتى سرى السّمُّ في بدنِها فماتتْ شرَّ ممات وصار أمرُها عبرةً لكلّ من اتَّبعَ هواه ولم ينظرْ إلى عُقباه فإنه يُصادفُ هلاكَهُ فيما يتمنّاهُ ويخسرُ أولاهُ وأُخراه

---

## الفصول الأربعة

تنقسمُ السنةُ إلى أربعةِ فُصول ، وهي الرَّبيعُ والصَّيفُ والخريفُ والشّتاء ، وكلٌّ فصلٍ يستغرقُ ثلاثةَ أشهُر

فالرَّبيعُ يبتدئُ في الحادي والعشرينَ من شهرِ مارس ، وحينئذٍ يصفو الماءُ ويطيبُ الهواءُ وتُورقُ الأشجارُ وتتحلّى الأرضُ بأبهجِ حُلَلِها ، فتتزيَّنُ بالنّباتِ المختلِفِ الألوان وتبسِمُ

---

١ رائع زائد ٢ الأفعى حية خبيثة سامة جداً قلما ينفع من لسعتها ترياق

البَساتينُ عن أنواعِ الرّياحين كالوَردِ والبَنَفْسَجِ والياسَمين والزّنبَقِ والقَرَنفُلِ [1]، وتبني الطُّيورُ أوكارَها وتُنعِشُ الأفئدةَ برخيمِ أصواتِها، وتَحشِدُ النَّحلُ في خَليّتِها شَمعًا يُستضاءُ بِهِ وعسَلاً طيّبًا فيهِ غِذاءٌ وشِفاءٌ للعالَمين

والصَّيفُ يبتدئُ في الحادي والعشرينَ من شهرِ يُونيو، وفيه يشتدُّ الحرُّ ولا سيّما في الصَّحاري والنَّواحي القريبةِ من خطِّ الاستواء [2]، وتصعبُ الأشغالُ ويطلُبُ كلُّ حيٍّ محالَّ الظِّلّ الظَّليل

---

١ الورد شجيرة لها زهر باسمها مختلف ألوانه بين الأحمر والأبيض والأصفر ، الذكي الرائحة منه يعرف بالجوري وأما عادمها أو رديئها فيعرف بالفرنجي ، والورد أشهر الرياحين قاطبة فما من شاعر عربي وأعجمي الا تغنى بأوصافه وكنى به عن الكمال في المحاسن . ومن أمثال العامة فيه قولهم : لأجل الورد يسقى العليق ، يضرب لمن يكرم لغيره . والعليق نبات بري يتعلق بالأشجار وقولهم : لا ورد بلا شوك ، يراد به أن لا راحة بلا تعب . والبنفسج نوع من الرياحين العشبية ينمو في المواضع الظليلة الرطبة مستترا بين غيره من النباتات الا أن رائحته تنم عليه ولذا اتخذته الأمم رمزا الى التواضع والحياء والعفاف والفضل الرائع وهو في مقدمة النباتات التي تخرج من الأرض أول الربيع وتؤذن الناس باقبال الأيام المعتدلة أيام الهناء والسرور ، زهره سمنجوني اللون زكي الرائحة جميل المنظر . والياسمين شجرة عارشة ذات ورق صغير وزهر جميل أبيض غالباً وأصفر نادرا ، رائحته طيبة جداً . ومنه نوع مزدوج اسمه الفل بضم الفاء . والزنبق نوع من الرياحين له ساق عشبية طويلة كالحربة وورق مستطيل وزهر كبير ناصع البياض زكي الرائحة شديدها . والقرنفل سبق شرحه في صحيفة ٣١ من الجزء الاول ٢ خط الاستواء دائرة وهمية تقسم الارض نصفين على بعد واحد من القطبين الشمالي والجنوبي سمي بذلك لاستواء الليل والنهار عنده في جميع أيام السنة

والهواء البَليل . ويذبلُ النَّباتُ القليلُ الرَّيّ [١] ويموت ، وتُدْرِكُ بعضُ الأثمار ، ويُسافِرُ كِبارُ المُوَظَّفينَ إلى أُورُبّا [٢] أو يقصِدونَ المتنزَّهاتِ الجميلةَ طلباً لتجديدِ قُواهُم عَلَى الأعمال

والخريفُ يبتدئُ في الثاني والعشرين من شهر سِبتَمْبر ، وفيهِ تكثُرُ الأثمارُ وتتساقَطُ أوراقُ غالبِ الأشجار ويُفرَغُ من جمعِ خيراتِ الأرض

والشّتاءُ يبتدئُ في الثاني والعشرين من شهر دِسَمبر ، ويقصُرُ فيهِ النَّهارُ ويطولُ اللَّيلُ ويشتدُّ البردُ ويكثُرُ المطرُ وتكُفُّ الطُّيورُ عن تغريدِها وقد تُحجَبُ الشَّمسُ عن عُيونِنا لِتراكُمِ السَّحابِ أو الضَّباب [٣] أو تراكُمِهِما معا . ويتَعسَّرُ عَلَى النَّاس قضاءُ حوائجِهِم ويصيرونَ في عيشٍ ضَنكٍ ولا سيّما الفقراءُ فإنَّ فاقتَهُم تتفاقَمُ [٤] وضَرورتَهم تتعاظَمُ لعدَمِ وُجودِ ما يقوم بِكفايتِهِم ، ولٰكنَّ اللهَ يُلْقِي في قُلوبِ الأغنياءِ الشَّفقةَ فيساعدونَهم لوجهِهِ تعالى

١ الري السقي ٢ أوربا هي أصغر القارات الخمس وأوسعها حضارة ، مساحتها نحو ١٠ . . . . . . من الكيلومترات المربعة أي ثلث أفريقا . يحدها شمالا المحيط الجامد وشرقاً جبال أورال والنهر المسمى باسمها وبحر الخزر وجنوبا القوقاز والبحر الاسود والبحر المتوسط وغربا المحيط الأتلنتيكي وأكثر سكانها نصارى ٣ الضباب ندى كالدخان يغطي الأرض في بعض الغدوات ٤ تتفاقم تشتد

## وقروا كباركم يوقركم صغاركم



كان في بعضِ المدُن رجلٌ وجيهٌ [٥] ذو تجارةٍ واسِعةٍ قد رُزِقَ جُملةَ أولادٍ يُساعِدونَه في أشغالهِ ويَشُدُّونَ ظهْرَه [٦] عنـدَ الحاجة . ولمَّا فني شَبابُه وأخـذتْه أدواءُ [٧] الكِبَرِ كرَعشةِ الأعضاءِ وقِلّةِ البصَرِ وضُعفِ السَّمعِ أقامَ أكبرَ أولادِهِ مقـامَه في إدارةِ

١ أبو الطفل يفكر في قول ابنه متعجباً ٢ الأم على يمين الأب تنظر الى طفلها ٣ الطفل يخاطب أباه رافعاً نحوه يده اليمنى ومشيراً الى جده باليسرى ٤ الجد يأكل في صحنه الخشبي وهو منفرد عن المائدة العمومية ٥ الوجيه من كانت فيه الخصال الحميدة التي تحببه الى غيره ٦ يشدون ظهره أي يقوونه ٧ أدواء جمع داء وهو المرض

تِجارتِهِ حتى بلغَ من العُمرِ أرذَلَه [1] وأصبحَ إذا أكَلَ يتساقطُ من يدهِ الطَّعامُ والشَّراب . وكلَّما رأى ذلك ولدُه الأكبرُ استنكفَ منهُ وغفلَ عن الواجبِ نحوهُ ونسي أتعابَه إذ كان يُرَبِّيهِ صغيرًا وأرادَ أن يُجازيَه عن كِبَرٍ وحُسْنِ فِعلٍ كما جُوزيَ سِنِمَّار [2] . فقال له يوما : حيثُ إنّكَ لا تُحسِنُ تناوُلَ الطعامِ يجبُ أن تأكُلَ وحدَكَ في خَلوةٍ من الناس

فامتثلَ الشَّيخُ المِسكينُ أمرَ ولدِهِ الجَحودِ وانزوى [3] يأكُلُ

---

١ أرذل العمر آخره في حال الكبر والعجز ٢ سنمار رجل رومي بني قصراً بديعاً للنعمان الأكبر ابن امرئ القيس اللخمي في نحو سنة ٤٠٠ م وهو القصر المعروف بالخورنق على ساحل الفرات بظاهر الكوفة . فلما فرغ من بنائه ألقاه من أعلاه لئلا يبني مثله لغيره فخر ميتا . فضرب به المثل لكل من فعل خيراً فجوزي بضده . قال الشاعر :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

هذا ولما كان بعض الأيام أشرف النعمان على الخورنق ونظر الى الفرات تجاهه والى البر خلفه والى البساتين حوله فأعجبه ما أوتي من سعة الملك ونفوذ الأمر واقبال الوجوه عليه. فقال لاصحابه : هل أوتي أحد من الملوك مثل ما أوتيت . فقال له وزيره : أهذا الذي أوتيت شيء لم يزل ولن يزول أم شيء كان لمن قبلك فزال عنه وصار اليك وسيزول عنك . قال : بل كان لمن قبلي وصار الي وسيزول عني . فقال : أتسر بما لا بقاء له . فقال : وما الشيء الذي يبقى . قال : العمل الصالح فقال : وكيف أحصله . قال : تلبس المسوح وتفر من الناس وتلحق بجبل تعبد ربك فيه الى أن يأتيك أجلك . فقال : واذا فعلت ذلك فمالي . قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحة لا تسقم وملك جديد لا يبلى . فقال : وهل لك أن تساعدني على ذلك . قال : نعم . فترك مملكته من ساعته وتزهد هو ووزيره حتى قضيا نحبهما ٣ انزوى انفرد

وحدَه بقلبِ الكئيبِ [1] وعينِ الثَّكلى [2] ، وابنُه القاسي متمادٍ [3] في ضلالِه حريصٌ عَلَى تنفيذِ أمرِه . ثمَّ اتَّفقَ أنْ سقطَ من يدِ الأبِ صحنُه الذي كانَ يأكل فيهِ . فعنَّفَه [4] الابنُ عَلَى ذلك تعنيفاً شديداً وأحضرَ صحناً خشبياً وقدَّمَه لهُ قائلاً : حيثُ إنك لا تعتني بأدواتِك وكسرتَ صحنَك فقد أتيتُك بهذا الذي لا ينكسرُ أبدا

وكانَ لذلك الابن طفلٌ قد لاحَظَ جميعَ ما حصَلَ من أبيهِ نحوَ جدِّه ، فقال لهُ : يا أبي ألا يعودُ ينكسرُ صحنُ جدّي . فأخذ أبوه يتأمَّلُ في كلامِهِ واشتغلَ بهِ فكرُه ثم قال لهُ : ولِمَ سُؤَالُك هذا . قال : لكي أتيقَّنَ من الآنَ أنهُ يُمكنُني أن أُلزِمَك بالأكلِ فيهِ حينما أكونُ كبيرًا مثلَك وتكونُ هرماً مثلَ جدّي . فتعجَّبَ الابنُ العاقُّ من جوابِ ولدِهِ وشعُرَ أنهُ أساءَ إلى أبيهِ الكريم . فندِمَ على فعلِه وعلِمَ أنهُ لو استمرَّ عليهِ لا بدَّ أن يُقابلَه أولادُه بمثلِه . فسأله الصَّفحَ من ساعتِهِ وأعادَه إلى مجلسِهِ الأوَّل وجعلَ يبذُلُ غايةَ جُهْدِه وعنايتِه فيما يطيِّبُ خاطِرَه ، ولم يزلْ هكذا معه إلى أن استأثرَه [5] ربُّه تعالى

---

١ كئيب حزين ٢ عبرى باكية ٣ متماد مستمر ٤ عنفه لامه بشدة ٥ استأثره الله أي

ومَن يبرّ أباهُ طائعاً فرحاً ❊ يخدمْهُ أبناؤه في اليُسْرِ والعُسْرِ [١]

من عقَّ والدهُ والأمَّ من سفهٍ ❊ لم يلقَ من ولدٍ ما سرَّ فاعتبرِ [٢]

## العاقل مَن طيّب لسانه

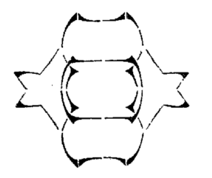
ذُكِرَ أنَّ مولى لُقمانَ [٣] دعا أحبَّاءَهُ إلى الغَداءِ عندَه . وأمرَ عبدَهُ أن يشتريَ لهُم أطيَبَ شيء . فاشترى ألسِنة ، ولما جلسَ الضُّيوفُ عَلَى المائدةِ كان جميعُ ما قُدِّمَ إليهم ألسِنة . فسئِمَت نفوسُهم من الأكل . فقال له مولاه : ألمْ آمرْكَ أن تشتريَ أطيَبَ شيء . قال : لا شيءَ أطيَبُ منَ اللّسانِ فإنه آلةٌ لتسبيحِ المعبودِ وتُرجُمانُ القُلوب به يُنشَرُ الصَّلاحُ وتُلقى العُلومُ وتُعمَّرُ البلادُ وتُساسُ العبادُ وتُضبَطُ الأُمور

---

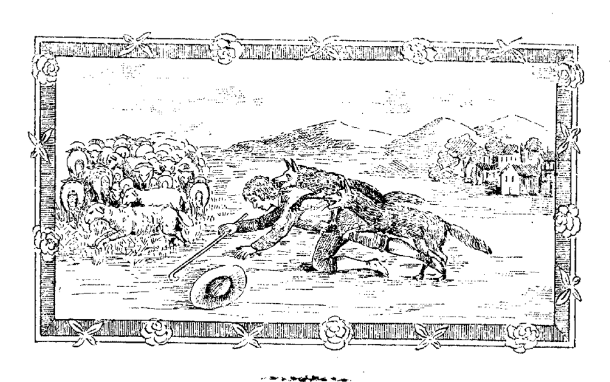
مات مرجواً له الرحمة ١ يبر يكرم ، واليسر الغني والعسر الفقر ٢ دق أهان ، والسفه خفة العقل ، واعتبر أي اتعظ بما سيحصل لك من أولادك لو أسأت الآن الى والديك

٣ لقمان ( Lokman ) هو عبد عربي متوغل في الجاهلية ينتهي نسبه الى عاد . وكان كثير التفكر صحيح الدين أحب الله فأحبه ومن عليه بالحكمة . تنسب اليه العرب غرراً من الحكم والامثال قالوا انه وعظ بها ابنه . وأخباره تشبه كثيرا أخبار ايزوب ( Esope ) اليوناني حتى زعم بعض المحققين أنهما رجل واحد والله أعلم

ثم قالَ له مولاه : حيثُ إنك قدِ اشتريتَ أطيبَ شيءٍ فأتِني غدًا بأخبثِ شيء . فأتاه بألسنةٍ أيضًا . فغضِبَ عليهِ سيّدُه غضبًا شديدًا وقال له : غـدًا سأبيعُك . . . ولـكنْ لا بُدَّ أن تقولَ لي الآنَ لماذا عُدتَ فما اشتريتَ إلاّ ألسِنة . قال : ألم يعلمْ سيّدي أنَّ اللّسانَ أخبثُ كلّ شيءٍ فإنه آلةٌ للشتّائمِ والشّقاق ، به تُخرَّبُ المُدُنُ وتُشهرُ الحروبُ ويُحكمُ علَى الأبرياء ، فقال : وكيف تُوفّقُ بينَ كلامِك اليومَ وكلامِك أمس . قال : يا سـيّدي لا أطيبَ من اللسانِ إذا طابَ ولا أخبثَ منـهُ إذا خبُث ، والعاقلُ مَن طيَّبَ لسانَه فإنه إن فعلَ كان من أكملِ الناس . فسُرَّ بهِ سيّدُه وعدَلَ عن بيعهِ



## من عرف كذبه لا يعتمد صدقه



يُروى أنّ ولداً خبيثاً كان يرْعى قطيعَ غنمٍ تجاهَ [١] أجمةٍ كثيفةِ الأشجارِ كثيرةِ السّباعِ أرادَ يوماً أن يسخرَ بمَن يُجاوِرُه من الفلاّحين ، فاتّخذَ لذلك طريقةً سيّئةً ، وهي أنه جعلَ يَستغيثُ بهم ويصيحُ قائلاً : ( الذّئابَ الذّئاب [٢] ) فبادَروا إليهِ من كل فجٍّ [٣] بعضُهُم بفؤوسٍ وبعضهم بعِصيّ . ولما لم يجدوا من شيءٍ رجَعوا إلى أشغالِهِم والولدُ الخبيثُ فرِحٌ يبتسِمُ لدُخولِ حيلتهِ عليهم

---

١ تجاه بتثليث التاء أمام ٢ الذئاب جمع ذئب وهو حيوان بري من السباع يشبه الكلب كل الشبه . يأكل الغنم والطيور بأنواعها واذا أجهده الجوع تعرض للانسان ٣ الفج الجهة

وفي اليومِ الثاني اُستأنفَ فَعلتَه فصاح أيضاً : ( الذئابَ الذئاب ) فأتى بعضُ الفلاحين . ولمّا لم يجدوا شيئاً فهموا أنَّ الولدَ قد اُتّخذ ذلك ذَريعةً [١] لِلاُسْتِهزاءِ بهم واُنصرفوا غُضابى عازمينَ ألاَّ يرجِعوا إليهِ مرَّةً أخرى

وفي اليومِ الثالثِ جاءَتْه الذئابُ كاشِرةً [٢] عن أنيابِها ، وعندَ ما أبصرَها مقبلةً نحوهُ أخَذَ يستغيثُ بالفلاّحينَ مكرِّرًا قولَه : ( الذئاب ) فلم يلتفِتوا إليهِ لظنِّهم أنهُ يكذِبُ علَى جاري عادته

إذا عُرِفُ الإنسانُ بالكذِبِ لم يزلْ * لدى الناسِ كذّاباً ولو كانَ صادِقا
وإنْ قال لم تسمعْ له جُلَساؤُه * وعدُّوهُ مُحتالاً من الحقِّ مارقا [٣]

ولمّا اُقتربتِ الذئابُ منَ الغنمِ ولّتْ منهزمةً إلى القرية . وأمّا الولدُ المنكودُ الحظِّ فلم يمكِنْهُ الهرَبُ لِما قدِ اُعتراه من شدّةِ الخوف ، فوثَبتْ عليه تلك الضّواري [٤] واُفترَستْه ، فذهبَ ضحيّةَ كذِبه

فاُعتبِرْ أيها القارئُ بذلك الكذّابِ الذي سعى لِحتفِهِ بظِلفهِ [٥] وحاقتْ [٦] بِهِ عاقبةُ مكره [٦]

---

١ ذريعة طريقة ٢ كاشرة كاشفة ٣ مارقا خارجا ٤ الضواري جمع ضارية وهي السباع من ذوات الاربع كالاسود والذئاب ٤ الحتف الموت والظلف القدم والعبارة مثل : أي انه تسبب في موت نفسه ٦ حاقت أحاطت ٧ المكر صرف الانسان عن مقصده بحيلة وهو نوعان محمود ان قصد فيه الخير ومذموم ان قصد فيه الشر

## المرأة الغاشّة

إعتادتْ أرملةٌ أن تمزُجَ اللبنَ بالماءِ وتبيعَهُ مغشوشا . وكان لها أبنٌ وحيدٌ يُنكِرُ صنيعَها ويلومها عليهِ . ولمّا لم ترْعَوِ [١] غادرَها وانتظمَ في سِلكِ الجيشِ البحريّ ، ولم يزلْ يترقّى فيه حتى عُهِدتْ إليهِ قيادةُ بارجة [٢] . واستمرّتْ أمُّه عَلَى فعلتِها حتى ماتتْ ودفنَها جيرانُها وأرسلوا إلى ابنِها ليستوليَ عَلَى تركتِها . فحضرَ وباعَ أمتعتَها وضمَّ ثمنَها إلى النُّقودِ التي وجدَها عندها وجعلَ الجميعَ في كيسٍ ورجعَ بهِ إلى البارجةِ ووضعَهُ بغُرفتهِ الخُصوصيّة

وبينما هو ذاتَ يومٍ قائمٌ بأعباءِ وظيفتهِ إذ أتاه جُنديٌّ يُخبرُه أنّ قِردًا [٣] قد دخلَ الغرفةَ من الشُّبّاكِ وأخذَ يرمي نقودًا

---

١ لم ترعو لم ترجع عن قبيح فعلها ٢ البارجة هي السفينة المعدة للقتال ٣ أي قردا كان ربي في البارجة ، والقرد حيوان يشبه الانسان شبهاً قوياً ولاسيما بعض أنواع منه كالجوريل (gorille) والاوران (orang) والشنبنزي (chimpanzé) ويختلف حجمه وكذا شعره طولا ولونا باختلاف أنواعه الكثيرة . فمنها ما تنيف قامته على قامة الانسان ، ومنها مالا يتجاوز حجمه حجم الجرذ الكبير ومنها ماله ذيل ، ومنها ما هو خال منه . ويقتات بكل ما يقتات به الانسان غير أنه يميل الى أكل الفواكه . وهو ذو خفة غريبة ونشاط عظيم فيمشي على الارض تارة على أربع وطورا على اثنتين ويتسلق الاشجار ويقفز من غصن الى آخر كأنه من ذوات الجناح . وله نباهة غريزية لا ينازعه فيها غيره من

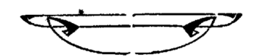
فِي البحرِ . فبادَرَ القائدُ إِليها فوجدَ القردَ قــد فتحَ الكيسَ ورمى نِصفَ ما فيــه . فلم يغضَبْ لذلك فإِنهُ أيقنَ أنَّ ما رماه هو ما اكتَسَبتْه أمُّه بغِشّها وأمَّا الباقي فهو قيمةُ الحليبِ الخالص

فسُرَّ بذلك وشكَرَ اللّهَ تعالى أن حفِظَه من الانتفاعِ بالمالِ الحرامِ وتحقَّقَ أنَّ ما يأتي من غيرِ وجــهٍ حلالٍ لا بُدَّ أنْ يذهبَ في الحالِ أو الاستقبال

وما جاءَ منَ الرِّيحِ * معَ الرِّيحِ غداً يُذرى

---

العجماوات وله من القدرة على محاكاة الآدميين في أعمالهم وحركاتهم ما يقضي بالعجب حتى اذا اعتنوا بتربيته ساعدهم مساعدة تامة ، وقد يقوم مقام الخادم في كثير من الأمور فتراه يوقد النار ويذهب ليستقي من الماء بجرة على رأسه أو كتفه أو يمسكها بيده ويفتح نوافذ الدار ويوصدها ويستقبل الزائرين ويسلم عليهم وقد يقعد في دكان صاحبه ويحفظه في غيبته وربما حضر الولائم فجلس على المائدة كواحد من المدعوين فيبسط الفوطة على صدره ويمسح بها شفتيه ويتناول الاطعمة والأشربة كلا بأداته المختصة به ، واذا نفد الطعام من صحنه زقح وأمر غلام المائدة أن يأتيه بغيره ، وقد كثرت الاقاصيص الدالة على فرط ذكائه وشدة تنبهه ، منها أن ملك النوبة أهدى الى المتوكل قردا خياطاً وآخر صائغا الى غير ذلك مما لا يكاد تحصره صفحات كتاب ولا يسعه وقت كاتب



## ربحي بقدر ربحك




يُروى أنَّ ملِكاً عظيمَ الشَّانِ [١] واسعَ السُّلطانِ [٢] كثيرَ الأعوانِ [٣] خرجَ ذاتَ يومٍ في جماعةٍ من حاشيتهِ [٤] يُريدُ التَّنزُّه والصَّيد. وبينما هو سائرٌ إذ رأى راعيَ غنمٍ يتهلَّلُ [٥] سُرورا. فعجِبَ مما رآهُ وأحبَّ أنْ يقِفَ علَى جليّةِ [٦] ما يبدو على محيّاه. فدنا منهُ وسلَّم عليه وقال له ببشاشة: كيف سرورُك معَ ما أنتَ فيه من قِلّةِ الرّبحِ وكثرةِ الأتعاب والأهوال [٧].

---

١ الشأن الخطب أي ما عظم من الاحوال والأمور ٢ السلطان بمعنى السلطة أي القدرة ٢ الاعوان جمع عون وهو الخادم ٤ حاشية الملك خواصه ٥ يتهلل يتلألأ ٦ جلية حقيقة ٧ الاهوال جمع هول وهو الخوف من أمر

فقال له وقد عرفه : أمَّا سُروري أيها الملكُ فهو بتتميمي جميعَ واجباتي وإعطائي كلاًّ ما له عليَّ وبذْلِ قُصارايَ [١] في إسعادي مَنْ حَوالَيّ ، وأمَّا ربحي فهو بقدرِ ربحِك إذ إنَّك ترعى الأُمَمَ وأنا أرعى الغنم وكلٌّ منَّا إنْ أحسَنَ فله النعيم وإنْ أساءَ فله الجحيم

فبُهِتَ [٢] الملِكُ من جوابِهِ وسار في سبيلِهِ وهو يقول : حقًّا أنَّ الملِكَ والرَّاعيَ سِيَّان [٣] أمامَ الملِكِ الدَّيَّان

يموتُ راعي الضَّأنِ في بَهْمِهِ * مِيتةَ ذي القَرنَينِ في مُلكِهِ [٤]

---

١ القصارى غاية الجهد ٢ بهت سكت متحيراً ٣ سيان متساويان ٤ البهم جمع بهمة وهي أولاد الضأن والمعز والبقر ، وذو القرنين لقب للملك الاسكندر الكبير ابن فيليب المقدوني ، قيل له ذلك لاتساع ملكه . والقرنان كناية عن الشرق والغرب . ولد سنة ٣٥٦ قبل المسيح فكتب أبوه الى أرسطوطاليس ( Aristote ) عند ولادته يقول : « أخبرك أن الآلهة قد رزقوني ابناً واني لأشكرهم على أن وهبوه لي في عهد رجل مثلك قدر ما أشكرهم على هبته اياي بل أكثر واني لآمل أن سيصير بحسن همتك وجميل التفاتك أهلا لي قادراً على ادارة شؤون الملك من بعدي » فأجابه أرسطوطاليس الى طلبه حتى اذا ما درج الولد من مهده وتهيأ عقله لبعض الادراك فوض اليه أمر تربيته . فأخذ في تعليمه منتقلا به من البسيط الى المركب ومن السهل الى الصعب حتى بلغ به ذروة المعارف وسما به الى لباب الآداب . فخرج التلميذ من بين يدي ذلك الأستاذ الخبير درة يتيمة لاند لها ولا عيب فيها سوى أنها هذبت بيد أبي الحكماء ورأس العلماء . ومن ثم كافه به الاسكندر وأحبه محبة أكيدة أظهرها له في غير فرصة ، ولم يزل على حبه والبناء عليه طول حياته . وفي سنة ٣٣٦ قتل فيليب غيلة فتبوأ هو كرسي الملك . وما عتم أن أظهر للناس ثمار تلك الخصال الكريمة التي حباه بها خالقه ونماها فيه أستاذه فانه في مدة اثنتي عشرة سنة بسط يد الاستيلاء على

## ما لزماننا عيب

نَعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا * وما لزماننا عيبٌ سِوانا

كثيرًا ما نسمعُ أُناسًا يشكُونَ سوءَ الحالِ وقِلّةَ البختِ ونحسَ الطَّالِعِ ويسبُّونَ الدهرَ بما أَخنى [١] عليهم وحالَ [٢] بينَهم وبينَ ما يشتَهون . غير أنك لو أنعمتَ النَّظرَ فيما هم عليهِ لرَأيتَهم حاصِلينَ على ما تستحقُّ أستعداداتُهم وتُؤَهِّلُهم له قُواهمُ العقليّةُ وعوائدُهمُ الاُجتماعيّة ... نعم هُناكَ مَن هُم على جانبٍ من الذّكاءِ قد اُقتضتِ الظروفُ أن يُقيموا عَلَى خُمول [٣] الذِّكرِ ومَضَضِ العَيشِ [٤] ولكن لو بالغتَ في فحصِهم لتبيَّنَ لكَ أنهم مُلوَّثونَ [٥] بنقائصَ ترتَّبَ عليها تأخُّرهم فإنك تَجدُ هٰذا ضعيفَ البِنيةِ قليلَ النَّشاطِ ، وذاكَ ليس له القدرُ الكافي من المعارفِ الضروريّةِ

---

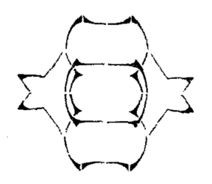
بلاد اليونان والفرس والشأم ومصر والهند . ثم وضع عصا فتوحاته في مدينة بابل وأخذ يهتم بتنظيم ممالكه وسن القوانين لها . وكانت لاتزال نفسه تحدثه بشن الغارة على بلاد جديدة لم يستول عليها بعد الا أن هاذم اللذات عاجله على حين غفلة وحال دون تلك الآمال الكبار فقضى سنة ٣٢٣ وعمره اثنتان وثلاثون سنة فسبحان الحي الباقي ١ أخنى جار ٢ حال أي قام كالحاجز ٣ الخمول الخفاء وعدم الشهرة ومنه قولهم : خمول الذكر في الحياة سلامة ٤ مضض العيش شدته ٥ ملوثون ملطخون

لمُباشَرةِ الأعمال ، وذلك ثرثارًا [١] طائشًا وآخرَ ليسَ بالأمينِ ولا هو موضعُ الثّقةِ ولا سهلُ العريكةِ إلى غيرِ ذلك مما جعلَه غيرَ مقبولٍ لدى الخاصّ والعامّ

فعلى كلّ امرئٍ أن يسعى جُهدَه في التَّخلّي عن النقائصِ والتَّحلي بما ينبغي من المحامدِ فيرى من دهرهِ ما لم يخطُرْ له ببال ، « إنّ اللهَ لا يُغيّرُ ما بِقَوْمٍ حتى يُغيّرُوا ما بأنفُسِهم » من سيّئِ الأحوال [٢]

---

١ الثرثار الكثير الكلام بلا فائدة ٢ ان الله لا يغير ما بقوم إلخ أي انه تعالى لا يعطي الناس مرادهم من الرفعة وطيب الحياة الا أن يصلحوا ما في أنفسهم من العيوب التي هي السبب الوحيد في تأخرهم وانحطاطهم



## من تدبر العواقب أمن النوائب



طالَ الزّمانُ عَلَى بعضِ المُلوكِ وهو يتّخِذُ وزيرًا يُفوّضُ إِليه تدبيرَ مملكتهِ سنةً كاملة . وعند انتهائِها يأمرُ سِرًّا أن تُجوَّعَ جملةُ كِلابٍ متوحّشةٍ ثم يُلقى إِليها فتمزّقُه

فاتّفقَ أن اتّخذَ وزيرًا ذا خبرةٍ ورَويّةٍ [1] يتدبّرُ العواقِبَ ولا يُقبِلُ على أمرٍ قبلَ أن يُمهّدَ [2] له سبيلَ النجاح . فبصُرَ بعاقبةِ أمرِه فسعى لها سعيَها [3] وهو حريصٌ على ما فيه نفعُ الراعي والرعيّةِ ورضاهما جميعا

---

١ الروية التفكير في الامور ٢ يمهد يسهل بتشديد الهاء ٣ سعى لها سعيها أي عمل ما يحسنها

ولمّا مضى عليه في الوزارةِ عَشرةُ أشهرٍ أحضرَ قيّمَ[١] الكلابِ وقال له : إني أريد أن تربحَ ذلك المالَ الذي تنقدُه[٢] مقابلةَ قيامِكَ بشأنِ[٣] الكلاب وتأتيني بها لأتولّى أنا ما تحتاجُ إليه . فجعلَ الوزيرُ يستأنسُها ويقدّمُ لها الطعامَ والشرابَ كلَّ يومٍ بنفسه حتّى تمّتِ السّنةُ والكلابُ قد ألِفتْه . فأمرَ بها الملكُ فأُحضِرتْ ورُميَ بالوزيرِ بينَ أيديها . فلما دنتْ منه عرفَتْه ، فدارتْ حوله فرحةً ولم تمسَسْهُ بسوء . فتعجّبَ الملكُ من ذلك وسأله عن سِرّه . فقال : إني خدَمتُ هذه الوُحوشَ شهرينِ وقد خدمتُكَ أنت سنةً كاملة فانْظُرْ ماذا ترى . فخجلَ الملكُ من جوابِهِ وقعَدَ عن تلك العادةِ وعرَضَ عليه أن يُبقيَه في الوزارة ، فأبى لِما قد رأى من قبيحِ فعلِه وعظيمِ لؤمِهِ وكَرِه الدُّنيا وانقطَعَ إلى[٤] خِدمةِ ملِكِ المُلوكِ الذي لا يُخيّبُ آمالَ مَن أنابَ إليه[٥] وخدمَه بقلبٍ سليم

---

١ قيم الشيء هو متوليه ٢ تنقده تأخذه ٣ بشأن بأمر ٤ انقطع الى كذا تفرغ له
٥ أناب الى الله أي رجع اليه وترك ما سواه

## ربّ حيلة أنفع من قبيلة

زَحَفَ كَمبيزُ[١] بنُ سِيرُوسَ مَلِكُ الفُرسِ إلى مِصر . فلمّا وطِئَ أرضَها خرجَ إليه بسامتيكُ الثالثُ في جيشهِ الجرّار. فخافَ كَمبيزُ فشلَ جنودِهِ بكثرةِ أعدائه وهو في أرضٍ بعيدةٍ لا وَزَرَ[٢] له فيها إلاّ سُيوفُه ولا مَدَدَ[٣] إلاّ خِبرتُه وفطنتُه . فعمدَ إلى حيلةٍ تمَّ له بها النصر ، وذلك أنه أمرَ أن يُجعلَ أمامَ جيشهِ صُفوفٌ من الحيواناتِ التي كانتْ تعبدُها أهلُ مصرَ حتى إذا التقى الجمعان وتحقّقَ أصحابُ بسامتيكَ أنّ معبوداتِهم في مُقدَّمةِ جيشِ عدوِّهم امتنَعوا عن القتالِ ولم يجسُروا أنْ يُرسِلوا سهماً لئلا يُصيبوا آلهتَهم على حين أنّ الفرسَ يسلقُونهم[٤] بمقذوفاتِهم[٥] المتواصِلةِ إلى أن تمكّنوا منهم واستولَوا على أُمّةٍ كانت من أقدمِ الأُممِ وأرفعِها مجداً وأتمِّها حضارة

١ خلف هذا الملك أباه على أريكة الفرس سنة ٥٣٠ قبل المسيح واشتهر بمشروعاته الحمقاء وفظائعه التي بلغت عنان السماء . مات في الشأم وهو مقفل من مصر الى بلاده سنة ٥٢٢ . بسامتيك خلف أباه أحميز الثاني سنة ٥٢٥ ولم يملك الاسنة فان كمبيز المذكور بعد أن ظهر عليه في تلك السنة جرده من شعار الملك وأطلق سبيله ولكنه لما رآه يسعى سراً لاسترجاع سلطته أمر بقتله ٢ الوزر الملجأ ٣ المدد العون ٤ يسلقونهم يضربونهم ٥ المقذوفات هى ما يرمى به من نحو السهام والحجارة

## من التجأ الى الله أعطاه فوق ما يتمناه



بَعثَ تاجرٌ من ساكني المُدُن ابنَه بمالٍ إلى عاملٍ له في الأرياف . وفيما هو ذاهبٌ به وقعَ منه ولم يشعُرْ بفقْدِه إلاّ قُربَ وُصولِه . فرجعَ في طريقِهِ فلم يجِدْه ، فجلسَ تحتَ شجرةٍ يبكي بدُموعٍ غزيرةٍ قائلا :

يا مَن يُرجّى في الشدائدِ كلِّها * يا مَن إليه المُشتكى والمفزَعُ [١]
ما لي سوى قرْعي لبابك حيلةٌ * فلَئِنْ رُدِدتُ فأيَّ بابٍ أقْرَعُ [٢]

فاتَّفقَ أنْ مرَّ به أميرٌ كان في الصَّيد ، فسأله عن سبب

---

١ المفزع الملجأ ٢ قرع الباب دقه ومنه المثل من قرع بابا ولجّ ولج

بكائه . فقال : أرسلني أبي إلى بعض النَّاسِ بمالٍ وقد ضاعَ مني

فأخرَجَ الأميرُ من جيبهِ كيساً صغيراً حسَناً فيهِ جملةُ نقودٍ من الذَّهَبِ وقدَّمَه إليهِ قائلا : أهذا كيسُك ؟ فنظرَ إليهِ الولدُ وقال : لا يامولاي . فأخرَجَ كيسًا آخرَ وقال : أهو هذا ؟ قال : نعم هو بعينهِ . فأعطاه الأميرُ إياه وأضافَ إليهِ كيسَه بما فيهِ جزاءَ صِدْقه وثقتِه بربّهِ تعالى

## رد لي ابني يا أبا الاشبال

من أغربِ ما جاء في الأخبارِ أنَّ أسداً [1] فرَّ من قفَصِهِ في

---

[1] الاسد هو حيوان كبير الرأس مدور الوجه واضح الجبين مستدير الاذنين براق العينين واسع الشدقين حاد الانياب مفتوح المنخرين عريض الصدر أثيث اللبد ضخم الفخذين معتدل الساقين متين الزندين مدجج البراثن بالمخالب القوية طويل الذيل ينتهي بخصلة شعر كبيرة جهير الصوت قليل الريق كثير الحرارة أبخر النكهة شجاع القلب هائل المنظر شديد العزيمة لا يهاب أحداً ولا ينهزم أبداً يقاوم الجيوش ويقهر سائر الوحوش فهو سيد السباع وأحسنها خلقة وأعظمها بنية وأشدها صدمة وأكثرها هيبة . لون خطمه ناصع البياض وباقي جسمه صحراوي . طوله من الانف الى العكوة يبلغ مترين وارتفاعه مترا ونصفا مدة حمل أنثاه ١٠٨ أيام ثم تضع الى خمسة أشبال وترضعهن ٦ أشهر ولا تفارقهن فيها ليلا ولا نهاراً خصوصا في أوائل ولادتها الا لضرورة كما اذا أجهدها العطش . والساعي وراء الرزق هو الاسد غالباً ولا يهجم على فريسته علنا بل يكمن لها بالقرب من طريق أو واحة أو نهر الى أن تمر به فيثب عليها بغتة ولو من نحو ستة أمتار وقلما يخطئها . ثم انه اذا أصاب شيئاً جاء به الى قرينته وان أعجزه

إحدى مُدُنِ إيطاليا ١ وأمَّ جمهوراً محتفلين بعيدٍ لهم . وحالما

ثقله يناديها بزئيره فتأتيه وتأكل معه بدون مضغ بل يلتهمان الطعام حتى يشبعا ثم يتركان ما بقي الا اذا كان لهما أولاد صغار فلا يأكلان منه قبلهن بل يقتسمان حمله اليهن ويزقانه لهن كيلا يعتري لثاتهن ضرر ، ولا يزالان يفعلان معهن هكذا حتى يكمل لهن شهران وحينئذ تأخذهن الام وتدربهن على المشي قليلا قليلا فاذا بلغن الشهر الثالث أو الرابع تخرج بهن الى ملاقاة أبيهن عند ما يرجع من الصيد . ثم في نحو الشهر الخامس يخرج بهن الابوان فيبطشان أمامهن بصغار المواشي ويقدمانها لهن ثم يحملانهن على البطش وحدهن ويكمنان لحراستهن من الطوارئ حتى ان هاجمهن وحش أو انسان يبرزان من المكمن ويذبان عنهن جهدهما الى أن ينقذاهن أو يموتا . ولا يزال الشبل آخذاً في النمو حتى يناهز أربع سنين فتكمل يومئذ أعضاؤه ويستطيع أن يفتك بأعظم حيوان ويدوم هكذا قوياً شديداً الى نحو الثلاثين من عمره ثم تأخذ قوته في الانحطاط وتسقط أسنانه ويكل بصره ويهزل جسمه فيقترب من القرى والمزارع ليخطف ما يقدر عليه من عجل أو خروف أو جدي أو امرأة أو ولد الى غير ذلك من الغنائم الضعيفة . ثم يزداد بلاؤه حتى يضطر الى الاكتفاء بأدنى الاطعمة كالجرذان والمناجذ وهكذا حتى تشتد عليه وطأة العياء والهزال فيقضي نحبه بذاته أو يفتك به الضباع وقد يعثر عليه الصيادون حينئذ فيقتلونه بسهولة وعلى كل حال قلما يعمر أكثر من أربعين سنة. ويكثر الاسد في بعض ضواحي آسيا وجبل الاطلس وصحاري أفريقا وبواطن بلادها فيصول هناك على أبناء السبيل رجالا وركابا حتى ان الواحد يستطيع أن يتعرض لقافلة بأجمعها أيا كان عددها ويقضي على ما أعجبه منها ثم يولي دون أن يتصدى للباقي الا اذا عورض فيستشيط غضبا ويقبل على الجماعة بحذافيرها كأنه السيل المنهمر أو الصاعقة السماوية ولا يزال يقتل ويذبح حتى يأتي على آخر حي فيها . هذا اذا كان واحدا أما اذا كان معه غيره فما ظنك بما يكون من الاهوال الصادرة من تلك الوحوش الهائجة أعاذنا الله من شرها ١ ايطاليا مملكة في جنوب أروبا ، يحدها شمالا فرنسا وسويسرا والنمسا ، وشرقا بحرا أدريا ويونيا ، وجنوبا وغربا البحر المتوسط . وهي بلاد زراعية حسنة المنظر جيدة الهواء صافية السماء كأن الطبيعة قد خلعت عليها ثوباً من جمالها وكمالها . عاصمتها روما وسكانها ٤٠،٠٠٠،٠٠٠ مليوناً . ظواهرهم جميلة وفيهم غيد وذكاء . ومن طبعهم الطرب وحب الانتقام . لهم يد البراعة في ( روائع الفنون ) التصوير والحفر والهندسة والموسيقا

أبصروهُ ملأَ الرُّعبُ[١] قلوبهم والتجأوا إلى الفرار

وإنّهم لكذلك إذ سقطَ رضيعٌ من ذِراعَيْ أمّه . فأخذه الأسدُ بأسنانِهِ وهمَّ بافتراسه . فصرخَتِ الأمُّ وترامتْ أمامَ الوَحش مادّةً إليه يديها والدموعُ تنحدِرُ على خدَّيها وهي تُكرِّرُ بصوتٍ عالٍ : رُدّلي ابني يا أبا الأشبال[٢] . فنظرَ الأسدُ إلى تلك المرأةِ الحزينةِ نظرةَ مُحِبٍ رقيقِ الفؤاد كأنه أدركَ أنها أمٌّ تستعطفهُ على عزيز عندها ، فدنا منها ووضعَ الولدَ بين ذِراعَيها سالماً لم يَمسَسْهُ بأذى ، ثم مضى في سبيله

فتأمّلْ أيها الولدُ في تلك الحادثةِ ترَ أمَّ هذا الطفلِ قد خاطرتْ بحياتِها لحفظِ حياتِه . فأمُّك كذلك مستعدّةٌ أن تتحمّلَ أعظمَ خطرٍ كي تجلبَ لك الرّاحةَ وتدفعَ عنك الضرَر ، فقابلْها بالشُّكرِ والإجلالِ وتلقَّ أوامرَها بالسّمعِ والامتثالِ جزاءً لها على ما فعلتْهُ معك في غابرِ[٣] الأزمان فما جزاءُ الإحسان إلاَّ الإحسان

١ الرعب الخوف ٢ الاشبال جمع شبل بكسر الشين وهو ولد الاسد ٣ غابر سالف

## النخل أثمر السنة مرتين



مرَّ أحدُ ملوكِ الفرسِ[١] بشيخٍ فانٍ يغرسُ نخلاً وقد بلغَ من عمرهِ الثمانين. فقال له مستغربا : أَتُؤَمِّلُ أَن تأكُلَ من ثمرِ هذا النَّخلِ وهو لا يحملُ إلاَّ بعدَ سنين ؟ فقال : أَيها الملكُ السعيدُ غرَسَ السابقون فأكلنا أَفلا نغرسُ ليأكلَ اللاّحقون ؟

---

١ الفرس جيل من الناس يكونون مملكة في غربي آسيا . يحدها شمالا القوقاز وبحر الخزر والتركستان . وشرقا الأفغانستان والبلوخستان . وجنوبا بحر عمان وبوغاز أرموز وخليج العجم . وغربا تركيا آسيا . وعاصمتها طهران وبلادها تكاد تكون قحلة تتخللها أودية قليلة الخصب وسكانها ٩,٠٠٠,٠٠٠ ملايين أغلبهم شيعة يتيهون في شعاب الفقر والانحطاط . وهم حسنو الخلق والخلق متوقدو الذهن ذوو تؤدة في الامور ولكنهم يرمون بحب الكسل والترف والابهة والرشوة والاستبداد

فقال الملك . واهاً لك ! وأعطاه دينارا . فأخذه وقال : أيها الملكُ الكريمُ ما أعجلَ ثمرَ هذا النخل ! فاستحسَنَ جوابَه وقال : زهْ [١] وأعطاه ديناراً آخرَ . فأخذه وقال : أيها الملكُ العظيمُ وأعجبُ من كلِّ شيءٍ أنَّ النَّخلَ أثمَرَ السَّنةَ مرَّتين ! فازدادَ الملكُ استِغرابًا وأعطاه ديناراً آخر

ثم جرَّ الحديثُ بينهما أذيالَه وجعلَ الملكُ يستَطلِعُ ما عندهُ [٢] من الأخبارِ في شأنِ المزروعاتِ كأنه يُباشِرُها [٣] من صِغرِه ، ولم يزلْ به حتى آذَنت الشمسُ [٤] . فهبَّ بالانصرافِ ودعا للشَّيخِ بطولِ البقاء وعَودِ اللِّقاء

١ زه كلمة فارسية يقولها المرء عند استحسانه شيئاً ٢ يستطلع ما عنده أي يسأله عما عنده ٣ يباشرها يتولاها بنفسه ٤ آذنت الشمس أي قربت من الغروب



## لطيفة فى عدل أنوشروان[١]

أرسَلَ ملِكُ الرُّوم[٢] رسولاً إلى أنُوشَرْوانَ ومعه هدايا يُريدُ بها أن يستألفَه[٣] ويستميلَ قلبَه . فلما أفضى[٤] إليه أقامَ عنده أيّاماً للوُقوفِ على غرائبِ مملكته

فبينما هو ذاتَ يومٍ فى الإيوانِ[٥] يتعجَّبُ من فخامةِ بنائِه

---

١ هو كسرى الأول (Chosroès I) ابن قباذ الساساني خلف أباه على عرش مملكة الفرس سنة ٥٣١ م وصرف همته الى اصلاح بلاده وتوسيع نطاقها ونشر العلوم وتنشيط طلابها . اضطهد من كان في مملكته من النصارى وأخرب كنائسهم وأحرق أناجيلهم وقتلهم حيثما وجدهم ولم يدخر وسعا لابادتهم ودرس آثارهم مما اضطرهم الى انكار عدله الذي شهد له به غيرهم من بقايا رعاياه ٢ كان ملك الروم فى ذلك الزمان يسطينيان الاول (Justinien I) ولد سنة ٤٨٣ وملك من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ ، عقد مع كسرى من أوائل ملكه معاهدة الا أن كسرى لم يلبث أن نقضها وشن الغارة عليه وغلبه ثم صالحه على أنه يدفع جزية فادحة ويتخلى له عن عدة أقاليم من بلاده ٣ يستألفه يطلب مودته ٤ أفضي وصل ٥ الايوان في الاصل شبه الغرفة الواسعة من البيت يجتمع فيه لاقامة المصالح أو النظر فيها ، ومنه سمي ايوان كسرى وهو قصر عجيب بناه ذلك الملك في المدائن وجعله سكنى له ولمن يأتي بعده من الاكاسرة ، ولما ملك المنصور أبو جعفر حاول هدمه . وادخال محتوياته في عمارة بغداد ، فقال له وزيره خالد بن برمك : يا أمير المؤمنين دعه فانه أثر عظيم يدل على فطنة الفرس وسعة قدرتهم وتقدمهم في المعارف فلم يصغ الى كلامه بل تمادى في هذه ، غير انه ماعتم أن رأى النفقات على ذلك أكثر من الفائدة فتركه . فقال له خالد وقتئذ : أرى الآن أن تتمم هدمه لئلا يقال انك عجزت عن حل ماأبرمه غيرك ، فلم يفعل بل هجره عاطلا خربا تبليه يد الدهور

وكمالِ رُوائِهِ [١] ومن أُبَّهـةِ كِسرى على عَرشـهِ إذ حانتْ [٢] منـه التفاتة فلَمَح في بعضِ جوانبـهِ أعوجاجا . فسألَ التُّرجُمانَ عن سببه . فقـال له . إنَّ هناك بيتاً لعَجوزٍ عزيزاً عليها قـد كرِهتْ بيعَه لأنهـا ورِثتْهُ عن آبائهـا ولم يرَ الملكُ إجبارَها فأبقاه في جانبِ الإِيوان ، فكانَ منه ما ترى . فقـالَ الرسول : إنَّ هـذا الأِعوجاجَ لَهو عينُ الاِسـتقامة وإنَّ ما فعَـلَه مِلكُ الزَّمانِ لم يُؤَرِّخْ لأحـدٍ فيما مضى من الدُّهورِ ولن يُؤَرَّخَ لغيرهِ إلى يومِ النُّشور [٣]

فوقَعَ كلامُه عنـد كِسرى موقِـعَ الاِستحسان وردّه إلى بلادهِ مغموراً بالإِحسان

١ روائه حسن منظره ٢ حانت حصلت ٣ النشور القيامة



## الدرويش في عاصمة الفرس



أتى دَرْويشٌ[١] يوماً عاصمةَ الفُرْسِ ووافقَ وُصُولُه إليها أُفولَ الشمس[٢]، ولم يكن يعرِفُ فيها دَيّارًا[٣] ولا دارا، فقصدَ أن يأويَ إلى أوّلِ بيتٍ يبدو له في طريقه. وإذا هو بقصرٍ عظيمٍ قديمٍ قد أخذَ صاحبهُ يُرَمِّمُهُ[٤] ويُوسِّعُهُ، فلما وصَلَ إليه الدَّرْويشُ اُستقبلَهُ الرّجلُ بالبشرِ والتّرحابِ[٥] وأقبلَ يُلاطِفُهُ بالكلام إلى أن أدركَ من حالهِ أنَّ قصْدَهُ المبيتُ عنده. فحاوَلَ

---

١ الدرويش هو الفقير الذاهب في الارض للعبادة ٢ أفول الشمس غيابها عن الابصار ٣ ديارا أي أحدا ٤ يرممه يصلحه ٥ البشر طلاقة الوجه وبشاشته، والترحاب هو الدعاء الى اتخاذ الراحة

أن يصرفه بطُرُقٍ مختلفةٍ وأعذارٍ منحرفة ، فاما لم تجزْ[1] على الدرويشِ الحِيَلُ عبسَ في وجهِهِ وقال له : ليس هذا القصرُ مأوًى لأبناءِ السَّبيل ، فاذهبْ وانظُرْ لك مبيتاً غيرَه

فقال له الدرويش : مَهلاً يا مولاي حتى أعرِضَ على مَسامِعِك بعضَ أسئلةٍ ثم أذهَب . قال : لك ذلك فاسرُدْ ما بدا لك. فقال : مَن كان يسكُنُ هذا القصرَ قبلك؟ قال : أبي . فقال ومَن كان فيه قبله ؟ قال : جدّي . فقال : ومَن يسكنه بعدكـ ؟ قال : أولادي . فقال : ومَن بعدهم ؟ قال : أولادُ أولادي . فقال : مولاي إذا كان كلٌّ من سكَنَ هذا القصرَ أو يسكُنُه لا يُقيمُ به دائماً فما هو إلّا مأوًى لأبناءِ السبيلِ حقيقةً، وحيثُ الأمرُ كذلك فليسَ لك حقٌّ في منعي، بلِ الأوْلى بك أن تُحسِنَ إلى البائسين[2] وتتصدَّقَ على المحتاجين ، تبني بذلك قصرًا يبقى لك في الآخرة

فاتَّعَظَ الرجلُ بكلامِ الدرويشِ وأحسَنَ ضيافتَه ولم يدَعْه يُغادِرُ بيتَه إلّا بعدَ أن مكَثَ فيه عدّةَ أيّامٍ بالسَّعةِ والاكرام

---

١ تجز تدخل وهو من جاز يجوز ٢ البائسين جمع بائس وهو من اشتدت حاجته وقلت لديه الوسائل

## استوصوا بأمكم خيرا

كانَ في بلادِ العربِ [١] رجلٌ حكيمٌ رُزِقَ أولادًا كثيرينَ عاشَ بينهم عيشةً راضيةً وهم يُجلونه ويحذونَ حذوَهُ [٢] في ٱلاُستقامة . فلما شعرَ بقربِ ٱرتحالهِ من دارِ الفناءِ إلى دارِ البقاءِ أحضرَ أولادَه وخاطبَهم أمامَ أمّهم ، قال :

يا أولادي إني راحلٌ إلى الدّارِ الآخرةِ وما أحضرتُكم إلاّ لأبلّغَكم وصيّتي هذه فٱحفظوها عني وٱجعلوها قبلتَكم تؤمّونها صباحَ مساءَ [٣] فإنها خيرُ ما ترثونه بعدي . فقالوا : وما هي وصيتُك يا أبانا شفاكَ الله ؟ قال : أنْ تتّقوا اللّهَ الذي

---

١ بلاد العرب هي شبه جزيرة في الجنوب الغربي لآسيا . يحدها في الشمال بلاد الشام وفي الشمال الشرقي خليج العجم وفي الجنوب الشرقي بحر عمان وفي الغربي البحر الاحمر . وهي بلاد حارة جداً أغلب أراضيها غامرة . وسكانها نحال الجسم سمر اللون سود العينين والشعر . يبلغ عددهم نحو ثلاثة ملايين . لهم صبر على العطش والجوع والتعب ويوصفون بشدة الذكاء وحب الضيافة الا أنهم مجبولون على السرقة والخديعة والخيانة وسفك الدماء واغتيال حقوق الناس . ينقسمون الى بدو وحضر . فالبدو هم الذين يسكنون الخيام وشغلهم السلب والنهب ورعي المواشي . والحضر هم الذين يسكنون القرى والمدن وشغلهم الزراعة وبعض التجارة . ٢ يحذون حذوه يقتدون به
٣ صباح مساء أي في كل صباح وفي كل مساء وهما مبنيتان على الفتح كخمسة عشر

يبقى ويفنى ما سِواه ويُوَقِّرَ[١] صغيرُكم كبيرَكم فإِنَّ هذا مِمّا وصَّى به اللهُ عبادَه ، وأن تُقبلوا على الأشغال النافعة إِقبالَ الظمآنِ على الماءِ العَذبِ فإِنها تُعلي قدرَكم وتكفُلُ لكم حُسنَ المستقبلِ بين أهلِ الزمان

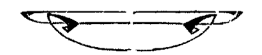
يا أولادي اُستَوصوا بأُمّكم خيرًا[٢] أحبُّوها وأكرِموها وأمِدّوها[٣] بجميعِ ما يلزَمُها في حياتِها حتى لا تذهبَ نفسُها حَسرةً على فقدي واُجعلوا أتعابَها من أجلِكم وأنتم صِغارٌ نُصبَ أعينِكم وأنتم كبار

يا أولادي آسوا المحتاجَ بالطَّعامِ[٤] وأفشوا السلامَ[٥] وأكثِروا مِنَ البشاشة ولينِ الجانبِ تنالوا الحمدَ منَ الأقاربِ والأجانب

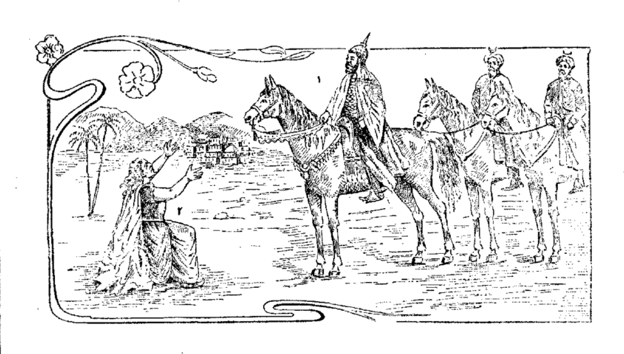
يا أولادي كونوا متَّحدينَ ولا تنازَعوا[٦] فتفشَلوا[٧] وتذهبَ رِيحُكم[٨] واُصبِروا إِنَّ اللهَ مع الصابرين

---

١ يوقر يحترم ٣ استوصوا بأمكم خيرا أي اقبلوا نصيحتها في الخير . وخيرا منصوب على أنه نائب عن المصدر أي استيصاء خير ٣ أمدوها أعينوها ٤ آسوا المحتاج بالطعام أي أعطوه اياه ٥ أفشوا السلام انشروه ٦ تنازعوا أي تتنازعوا حذف حرف المضارعة للتخفيف ٧ تفشلوا تضعفوا ٨ الريح القوة



## حادثة من عدل السلطان سليمان



كان سُلَيمانُ الثاني ١ كريمَ النفسِ عاليَ الهمّةِ مُحِبًّا للخيرِ رحيمَ القلبِ ينصرُ المظلومين ويُغيثُ الملهوفين ويؤمّنُ الخائفين

١ سليمان الثاني هو ابن السلطان سليم الأول وأكبر سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٩٠٠ ه ورباه أبوه أحسن تربية ثم أشركه في ادارة مملكته حتى اذا توفي الوالد سنة ٩٢٦ جلس هو على تخت السلطنة من غير أن يسفك قطرة دم ، وذلك لما كان عليه من حسن السيرة ومحبة الرعية له ومكانته من نفوسهم وثقتهم به . فتمثل لهم سلطانا عظيما مهيبا عادلا عاقلا خبيرا بضروب السياسة حريا بمناصب الرئاسة محباً للخيرات شغفاً بإجراء أنهار الصدقات . رفع مباني عديدة لايواء المبتوتين والقيام بشعائر الدين وأوقف لها ما يسد ريعه جميع النفقات . وأكثر من اهتمامه بتنظيم المملكة في الداخل والخارج ووسع نطاقها بجملة حروب شن غارتها على البلاد المجاورة له وخرج منها مؤيدا . مات سنة ٩٧٤

فمن مآثره أنه لما زحف إلى فتح عاصمة السّربيا[١] سنة ٩٢٧ هـ نزل ليلاً في نواحي قريةٍ من بلاد العدوّ، فتعدّى جماعة من جنوده على بيت عجوز وهي نائمة ونهبوا كلّ ما وصلت إليه أيديهم . فلما أصبحت المرأة ورأت ما حلّ ببيتها لم تشك في أنّ الجنود هم المختلسون لأمتعتها دون غيرهم . فذهبت إلى السّلطان وقد أشرف على الرحيل، فألقت بنفسها بين يدي حصانه وبكت وشكت أمرها . فرقّ لحالها وقال لها بلطف : عجباً لك يا خالة ! أقد بلغ بك النوم إلى حدّ لا تشعرين معه بفتح بابك وأخذ أمتعتك ؟ فقالت له : نعم يا مولاي فإني كنت مطمئنة بجوارك لعامي أن لا يُستباح ذمام[٢] أنت حافظه ولا تُضام[٣] امرأةٌ ضعيفةٌ في حماك[٤] وتحت لوائك الظافر . فوقع كلامها عنده أحسن موقع، فترجّل في الحال وأمر بإحضار ما سُرق منها ولم يزل واقفاً حتى جيء به جميعه فأسلمه إليها ثم انطلق

---

١ السربيا مملكة صغيرة في جنوب أوربا . عاصمتها بلغراد وسكانها أهل ذكاء ونشاط وانما حضارتهم لم تزل في مهدها . فتح بلادهم محمد الثاني سنة ٨٦٤ وألحقها بتركيا ما عدا بلغراد فانها تحصنت ولم يقدر على قهرها . حتى اذا كانت سنة ٩٢٧ استولى عليها سليمان الثاني ٢ لا يستباح ذمام أي لا يغتصب حق ٣ تضام تظلم ٤ الحمى الحفظ

## لا تأكلوا أموال الناس بالباطل

يُحكى أنَّ إبرٰهيم بنَ أدهمَ [١] مرَّ يوماً ببساتينِ بُخارى [٢] فنزَلَ في بعضِ أنهارِها . وإذا بتفَّاحةٍ يحمِلُها الماء . فقال : هذه لاقيمةَ لها فأكلَها . ثم وقعَ في خاطِرِه من ذلك وَسواس [٣] فعزَمَ أن يستحِلَّ صاحبَ البستان [٤] . فلما قرَعَ بابَهُ خرجتْ إليه جارية . فقالَ أُدعي لي صاحبَ البستان . فقالتْ إنه امرأة . فقالَ استأذني لي عليها . فجاءته فأخبرَها بخبرِ التفاحة . فقالت له إنَّ هٰذا البستانَ نصفُهُ لي ونصفُه للسلطان وقد تنزَّلتُ عن حقّي [٥]

وكان السلطانُ يومئذٍ ببلْخ [٦] فذهبَ إليه واعترضَه في موكِبه [٧] وأخبرَه الخبرَ واستحله . فانذهلَ [٨] السلطانُ من أمرِهِ وتعجَّبَ من رقّةِ ضميرِهِ ووصلَه بصِلة

---

١ كان هذا الرجل من سلالة ملوك خراسان تصوف وهو في مقتبل الشباب . كانت وفاته سنة ١٦١ هـ ٢ بخارى مدينة عظيمة من آسيا الوسطى يحيط بها سهول مخصبة وبساتين غناء تؤتي اكلا جنيا في جميع أيام السنة ٣ وسواس قلق ٤ أي يسأله أن يحل ذمته من قيمة التفاحة ٥ تنزلت عن حقي أي تركته ٦ بلخ مدينة صغيرة من آسيا الوسطى أيضاً في الجنوب الشرقي لبخارى على نحو أربعمئة كيلومتر منها ٧ الموكب الجماعة ٨ انذهل تحير

## حكم عجيب على أمر غريب



ترافعَ رجلانِ إلى قاض . فقال أحدُهما : إِني قد اشتريتُ من جاري هذا قِطعةَ أرضٍ لأبنيَ دارا . وفيما أحفرُ أساسَها إذْ عثرتُ على قدْرٍ[1] مملوءةٍ ذهبا ، فعرَضتُها عليهِ فأبى أخذَها ، ولمّا كنتُ لم أشترِ منه إلاّ الأرضَ فلا حقَّ لي في تملُّكِ القدرِ فأطلبُ إليك أيها القاضي أن تأمُرَه بأخذِها . فقال الآخرَ : إني لم أُوارِ تلك القدرَ[2] ولا عِلمَ لي بها وقد بعتُه الأرضَ بما فيها فصار الجميعُ مِلكَه ولا حقَّ لي في شيءٍ منه

---

١ القدر اناء يطبخ فيه ٢ لم أوار تلك القدر أي لم أدفنها

فتعجّبَ القاضي مما سمِعه في تلك المسألةِ وأطرق هنيهةً مُفكّرًا فيما يحكُمُ به بينهما ، ثم رفعَ رأسَه وقال : قد بلغني أنّ أبنَ أحدكما يُريدُ أن يقترنَ بأبنةِ الآخر ، وحيث كان الأمرُ كذلك فأجعلا الكنزَ جهازًا لهما وأذهبا بسلام فقد قُضِيَ [1] الأمرُ الذي فيه تترافعان . فرضيَ الرجلانِ بهذا الحُكم وأنصرَفا مسرورَين شاكرين

---

## الله للّه أن يحول الذهب حجارة

يُقالُ إنّ أحدَ التُّجّارِ الأغنياءِ لمّا كبرَ سِنُّه وضعفتْ قُوَّته تخلّى [2] عمّا لديهِ لأولادهِ بعدَ أن تعهَّدوا له أن يقوموا بأُمورهِ كافّة . فوفَوْا له حيناً ثم طفِقوا يُهمِلونه شيئاً فشيئاً حتى قستْ قُلوبُهم عليهِ وأصبَحوا يُطعِمونه كُرهاً ويُلبسونه كرها . فلما رأى ذلك من أُولئك العاقّين [3] عضّ بنانَ [4] النّادِم على ما فعَله وأستمرَّ يتجرَّعُ الغُصَصَ منهم [5] إلى ذاتِ يومٍ أتاهُ بعضُ أصحابِه القدماءِ

---

[1] قضي انتهى [2] تخلى تنزل [3] العاقين جمع عاق وهو العاصي والديه التارك الاحسان اليهما وضده البار [4] البنان اطراف الاصابع [5] يتجرع الغصص أى يتحمل كل أذية ، والغصص جمع غصة وهي ما يعترض في حلق البالع طعاما أو شرابا

بدَينٍ [١] عظيمٍ كانَ قد قطعَ الرجاءَ من استلامه ، فأحضرَ صُندوقًا متينًا أودعَه إياه

فلمَّا رأى الأولادُ أنَّ أباهم قد صار ذا مالٍ أخذوا يحترمونه ويُراعونَ خاطِرَه كي يتخلّى لهم عما بقيَ لديه . لكنَّه كان قد اتَّعظَ بما جرى له من قبل فلم يُعطِهم شيئًا . ثم عندَ وفاتِه أسرَعوا إلى الصُّندوقِ وفتَحوه قصْدَ أن يغنموا ما فيه [٢] فإذا هو مملوءٌ حجارةً فوقَها ورقةٌ مكتوبٌ فيها : « إنَّ للهِ أن يُحوِّلَ الذّهبَ حجارةً للبنينَ الذين يعقّونَ والديهم »

وذلك أنَّ الأبَ لمَّا آنسَ فِعلَهم تصدَّقَ سِرًّا بذلك المال على ملجإٍ لتربيةِ اليتامى ومُعالجَةِ الفُقراءِ وملأَ الصّندوقَ بالحجارةِ وكتَبَ الورقةَ ووضعَها عليها توبيخًا لأولادهِ اللئام

---

[١] الدين القرض [٢] يغنموا ما فيه أي يأخذوه بلا تعب



# بونابرت والحارس



كان بُونابَرتُ ١ حريصاً على حُسنِ النِّظامِ بينَ جنُوده ،

١ بونابرت هو نابوليون الاول . وما من اسم يمثل العظمة الجندية والابهة الملكية كهذا الاسم . ولد سنة ١٧٦٩ ثم دخل في الجيش واخذ يصعد على مدارج الارتقاء درجة فدرجة حتى صار عاهل ( عاهل empereur ) الفرنسيس سنة ١٨٠٤ فأصلح بلاده بعد خرابها بيد أهل الثورة ونظمها أحسن نظام وبلغ من سمو الشأن وسعة السلطان ما يجل عن وصفه البيان وتتوج بتاج من المجد في حومات الوغى لم يتتوج بنظيره أحد قبله ولا بعده . وقد حباه الباري تعالى بقوى فوق جميع قوى الرجال فكان يدير بنفسه جميع أعمال بلاده ويتصرف فيها تصرف المغني بأوتار عوده . وقد حالفه التوفيق اثنتين وعشرين سنة فجاب أوربا ومصر والشأم فاتحاً ظافراً لا مانع يحول دون آماله . ودوخ غير مرة ملوك أوربا المتحزبين عليه وهزم جيوشهم شر هزيمة وضم الى بلاده جميع بلاد ايطاليا واسبانيا والبرتغال وجزءا عظيما من المانيا والنمسا والروسيا وغيرها حتى أصبحت مملكته كمملكة شرلومان ( شرلومان Charlemagne ) بل اكثر رعايا وأوسع حدودا . ثم خذله حظه في واقعة « واترلو » سنة ١٨١٥ فانكسر فيها ونفي الى جزيرة القديسة هيلانة حيث قضى هناك ما بقي له من حياة مرة في منازل الضيق

شديدَ التنكيل بمَن [1] يتعدّاه ، كثيرَ المراقبةِ لحركاتِ أعدائه ، يجوسُ خِلالَ مُعسْكَرِه [2] ليلاً ونهارا فيُحيطُ بصِغارِ الأمورِ وكِبارِها ولا يدَعُ الجواسيسَ يقترِبون منه مهما استعمَلوا من طُرُقِ الخِداعِ وتظاهَروا به من صِدقِ الوداد

فاتّفَقَ ذاتَ ليلةٍ أنه فاجأ أحَدَ حُرّاسِ المَعسكَرِ نائماً بعدَ واقعةٍ [3] عنيفةٍ [4] اشتَدّتْ نيرانُها وطال أزمانُها ، فجرَّدَه من بُندُقيَّتِه ووقفَ للحراسةِ بدَلَه . ولما استيقظَ الحارسُ ورأى مولاه واقفاً أمامه ارتَعَدتْ فَريصتُه [5] من رؤيتِه وخَشيَ سوءَ العاقبةِ على

---

والهوان بعد تلك الابهة التي كانت ملء الزمان ومات سنة ١٨٢١ كمداً وغيظاً من شدة الخذلان وسوء معاملة من أنيط بحراسته ولسان حاله يقول :

هي الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من كيدي وفتكي
فلا يغرركمو مني ابتسام * فقولي مضحك والفعل مبكي

قال اللور رزبري ( اللور رزبري Lord Rosebery) ما معناه : لقد اجتمع في نابوليون من ذكاء العقل وعلو الهمة ومضاء العزيمة مالم يقاربه فيه أحد من جميع الذين أتانا التاريخ بذكر أعمالهم الى الآن اذ لم ير من قرن بين المهارة في الحروب وادارة البلاد الا هو حتى قال اللور ددلي ( اللور ددلي Lord Dudley ) انه أوقع الشك في كل ما جاء عن مجد السابقين ولم يبق مجالا لشهرة اللاحقين ١ التنكيل بمن العقاب لمن ٢ يجوس خلال معسكره أي انه يدور فيه للوقوف على محتوياته . والمعسكر هو الموضع الذى ينزل به الجنود ٣ الواقعة هي اللقاء بين فريقين عدوين وقتالهما وقلما تستمر الواقعة الواحدة اكثر من عدة ساعات ٤ عنيفة شديدة ٥ ارتعدت فريصته خاف . والفريصة هي اللحم بين الثدى والكتف لا تزال تضطرب عند الفزع

نفسه، فآنسَ منه ذلك بونابرتُ فبادَرَه بقوله : لا خوفَ عليك أيها البطَلُ إذ لا يستحيلُ النومُ على جُنديٍّ مثلك سِيمَ ما سيم من المشاقّ في الذَّودِ[1] عن الأوطان، ولكن من الآنَ إذا أردتَ أن تنامَ ينبغي أن تختارَ لنومك وقتاً أنسبَ من هذا، وعفا عنه

---

## لا يضيع المعروف

بعدَ أن أكملَ بعضُ الشبّان دُروسَهُ الطبّيّةَ جعلَ يُمارِسُ صِناعَته[2] . وكان من أمرهِ يوماً أنه دُعيَ إلى معالجةِ امرأةٍ طاعنةٍ في السّنّ[3]، فلما حضرَ أخبرَته أنها فقيرةٌ لا تملكُ أُجرةَ عيادته[4] فأجابها أنّ ذلك لا يمنعُه من أنْ يُداويها ويشفيها إنْ أمكن، وشرعَ في مُداواتها وبذلَ جهدَه حتى شفاها

ثم حدَثَ بعدَ بضعةِ[5] أشهرٍ أنها ورثتْ تَركةً عظيمةً من أحدِ أهاليها، فلم تكدْ تتملّكُها حتى أوصتْ بأكثرها إلى الطّبيبِ جزاءً له على حُسنِ صنيعهِ معها في زمنِ مرضِها وفقرها

---

١ الذود المدافعة ٢ يمارس صناعته يشتغل بها ٣ طاعنة في السن أي عجوز ٤ عيادته زيارته الطبية ٥ بضعة جملة

## السمك النادر الوجود



دعا رجلٌ من الأغنياء لفيفًا [١] من أخدانه [٢] إلى وليمةٍ شائقةٍ [٣] في مَصيفٍ له على ساحلِ البحر، ووَعدَهم أن يُقدِّمَ لهم نوعًا من السَّمَكِ نادرَ الوجودِ لذيذَ المَطعَمِ. فأتى المدعوُّون وجلسوا على المائدةِ وأمامَ كُلِّ واحدٍ ورقةٌ مكتوبٌ فيها أصنافُ الأطعمةِ

فلمّا جاءَتْ نوبةُ السمكِ أُحضِرتْ لهم جَفنةٌ [٤] مُغطّاة، وإذا بها نُقود، فتعجّبوا ... وهنالِكَ قامَ صاحبُ الدَّعوةِ قائلا :

---

١ لفيفا جماعة ٢ أخدان جمع خدن بكسر الخاء وهو الصاحب والصديق ٣ شائقة فاخرة
٤ الجفنة الاناء الكبير

يامَعشَرَ [١] الكرامِ عُذْرًا وسماحًا حيثُ لم آتِ بالسّمكِ الذي وعدتكم به ، وذلك لأنه قد غلا في هذه الأيّام غلُوًّا لم يكن في الحِسبان [٢] ، وقد تذكّرتُ رجلًا مريضًا يتقلّبُ هو وعيالُهُ على جمرِ الجوعِ وشدّةِ الفاقة [٣] ، فرأيتُ أنَّ ما يُنفقُ من المالِ لصحنٍ واحدٍ يكفي مؤونتهم [٤] ويحفظُ حياتهم ويصونُ عِرضَهم بضعةَ أشهرٍ . فاخترتُ أن أفديَ [٥] تلك النفوسَ بما لسنا في اضطرارٍ إليه

فاستصوبَ [٦] الحاضرون رأيَه وسرَّهمُ جدًّا كلامُه ووافقوه جميعًا بل أضافَ كلٌّ منهم إلى ما في الجفنةِ شيئًا من جيبه . فنجتْ بذلك العيالُ من مخالبِ الفقرِ والوبال [٧]

---

١ المعشر الجماعة ٢ الحسبان الظن ٣ الفاقة الفقر ٤ يكفي مؤونتهم يقوم بحوائجهم
٥ أفدي أنجي ٦ استصوب استحسن ٧ الوبال هو سوء العاقبة



## المداومة على العمل تبلغ غاية الأمل



جلسَ حكيمٌ يُرشِدُ أولادَهُ في بعضِ الليّالي ويُبيّنُ لهم أنَّ المداومةَ على الأعمالِ ترفعُ أصحابَهـا إلى أعلى درجاتِ الكمال وأنَّ الموانِعَ لا تقفُ في طريقِ الصَّابرِ وأيَّدَ دعواهُ بحادِثةٍ جديرَةٍ بأنْ يُعتنَى بهِـا . قال : كان في غابرِ الأزمانِ رجلٌ يطوفُ في البـلاد ومعه ثورٌ ضخمٌ يحمِلُه على كاهـلِه [١] في الأعيادِ والمواسمِ [٢] ويمشي به بينَ الجماهيرِ من النَّاسِ يُريهم قوّتَه ثم يضَعُه ويمُدُّ يدَه إلى من يُمِدُّه بهِبـةٍ تُعينُه على المَعيشة

---

١ الكاهل هو أعلى الظهر مما يلي العنق ٢ الموسم هو الاحتفال كيوم شم النسيم بمصر ووقت اجتماع الحجاج بمكة

فقال له بعضُ الحاضرين : كيف وصَلتَ إلى هذهِ الدرجةِ المُدهِشةِ من القوة . قال : إني كنتُ أحمِلُ هذا الثّورَ على كتفي مُذ كان عجلاً وأدورُ به في فِناءِ [١] داري جملةَ ساعاتٍ كلَّ يومٍ . فكان كلَّما ازدادَ ثِقلاً ازددتُ قوّةً بكثرةِ هذهِ التّمريناتِ التّدريجيّةِ حتى أصبحتُ لا أعجزُ عن حملهِ مع ضخامتهِ المُفرطة

وقلَّ مَن جدَّ في أمرٍ يُحاوِلُهُ * فاستصحبَ الصبرَ إلاّ فازَ بالظَّفَرِ

---

## من أعانه والدية مالت القلوب اليه

دعا رجُلٌ جماعةً من أصحابِهِ إلى وليمة . ولما اجتمَعوا وتجاذبوا أطرافَ الحديثِ أراهم ساعةَ ذهَبٍ منَ الطّرازِ [٢] الجديدِ وأعادَها إلى جيبه . وقبلَ انصرافِهم أراد أن يعلمَ الوقتَ فلم يجدْها . فقال : أيها السّادةُ كلِّفوا خاطِرَكم وابحثوا عنها فربّما يكونُ أحدُكم وضعَها سهواً في جيبه . فجعَلَ كلٌّ واحدٍ يقلبُ جيوبَهُ أمامَ إخوانِهِ إلاّ شابّاً امتنَعَ عن ذلك وأقسمَ بشرفِهِ أنّ الساعةَ ليستْ معه . ثم تفرّقوا وكلٌّ ظنّهُ السارق

---

١ الفناء هو الساحة أمام البيت    ٢ الطراز هو النمط أي النوع

وفي اليومِ الثاني طلَبه صاحبُ الدَّعوةِ وقال له : أُبَشِّرُكَ أني وجدتُ الساعةَ ساقطةً في بِطانةِ كِسوتي . . . ولكنْ أرغبُ الآنَ أن تُخبِرَني عن سببِ امتناعِكَ أمسِ من قَلبِ جيوبِكَ مع أنَّ الحاضِرينَ لم يمتنِعوا منه . فقال له : سيِّدي إنَّ السَّببَ في ذلك سِرٌّ لا أُبيحُه[١] غيرَكَ من العالمِين . . . وهو أنَّ أبي فقيرٌ ولا قدرةَ له على السَّعيِ فأنا أُقلِّلُ نفقاتي إلى غايةِ ما يُمكِنُ لأساعدَه على المعيشةِ وأعاونَه للقيامِ بلوازمِهِ ، وعندَ ما حضرتُ مائدتَكَ كان في جيبي رغيفانِ بلا أُدمٍ هما قوتُ يومي . فتصوَّرْ شدَّةَ خجَلي لو قلبتُ جيوبي وظهر شيءٌ منهما أمامَ المدعوِّين

فأُعجِبَ[٢] الرَّجلُ بذلك الشَّابِّ الكريم وأثنى على أدبِهِ[٣] وعظيمِ حنوِّهِ على والدِهِ وقال : « باركَ اللهُ فيك وأعانَك على برِّ أبيك » وأهدى إليه الساعةَ دليلاً على عِظَمِ اعتبارِهِ إياه وأكَّدَ عليه أن يتناولَ الغذاءَ بعدَ ذلك على مائدتِهِ كلَّ يوم لتسهُلَ عليه مساعدةُ والدِهِ بما يكتَسِبُهُ فإنَّ من يُعِينُ والديْه تميلُ القلوبُ إليه ويسعَدُ في داريْه

---

١ أبيحه غيرك أشهره لغيرك ٢ أعجب أي سر ٣ أثنى على أدبه أي مدحه

### لينفق ذو سعة من سعته

نرى كثيرين من الأغنياء ولا سيما في المُدُن العظيمة يُسرِفونَ[١] الأموالَ المُقنطرةَ[٢] جزافًا[٣] ولا همَّ لهم إلّا اتّباعُ أهوائهم والسَّعيُ وراءَ الملاهي والملذّات

وكم[٤] من سيّدةٍ تُفني ثروةَ[٥] بيتها في الملابس الفاخرة والأمتعة غير النافعة وتزيين أعناق نحو الكلاب بالقلائد المرصّعة بالجواهر الغالية .... وكم وكم من أناس مُعسرين يتضوّرونَ[٦] جوعًا ويتمنّون لو أكلوا من فضلات هؤلاء الموسرين الذين ما دروا أنّ المالَ إنّما هو لقضاءِ مصالحِ الحياة واكتسابِ الذكرِ الحسَنِ والذكرُ الحسنُ أشرفُ مقاصدِ بني الإنسان

أَلا فليرجعْ كلُّ مُسرفٍ عن غيّه وليُعطِ الفقيرَ من سعتهِ[٧] وليعلمْ أنَّ اللهَ لم يؤثِرْه[٨] بالأموال إلّا ليُنفقَها في طاعتهِ ورضاه وإلّا فلا يبعُدُ أن يحوّلَ ما عندهُ إلى سواه إنّ اللهَ يُعزُّ مَن يشاءُ ويُذلُّ مَن يشاءُ بيدهِ الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير

---

١ يسرفون ينفقون في غير الحق ٢ المقنطرة الكثيرة ٣ جزافا بغير حساب ٤ كم كثير ٥ الثروة كثرة المال ٦ يتضورون يتألمون ٧ من سعته أي مما يقدر عليه ٨ يؤثره يكرمه

## كيف تكون ملكاً اذا لم تتأدب وتتعلم



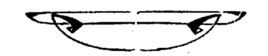
جاءَ عن مَلِكِ الإنجليز أنه لما كان يتعلَّمُ وهو صغيرٌ ضجرَ ذات يومٍ من الدَّرسِ فألقى الكتابَ من يمينهِ وأخذَ ينظرُ من الشبّاكِ . فقالتْ له مُربّيتُـه : هلُمَّ إلى درسِك فاحفظه . فقال . لا أريدُ أن أحفَظ. فقالتِ احفَظْ حالاً وإلاّ أوقفتُك ووجهُك شَطرَ [١] الحائط . فضرَبَ زجاجَ الشباكِ فكسره وقال : إني لاأحفَظُ ولا أقِفُ وإيّاكِ وهذا الكلام ! . . . ألم تعلَمي أني سأكونُ يوماً ملكَ بريطانيا [٢] العُظمى

١ شطر جهة ٢ بريطانيا أي مملكة الانجليز وهي أرخبيل عظيم غربي أوربا يكتنفها المحيط الاتلنتيكي وبحر الشمال والمنش ، وهي دولة قوية في البحار غير مدافعة ،

فلما رأتْ منه ذلك أرسلتْ إلى والدهِ وحدَّثته بما جرى . فألتفتَ إليه عابساً وقالَ له بشدّة : كيف تكونُ ملكاً إذا لم تتأدّبْ وتتعلمْ فاُخضعْ لِأمرِ مربّيتك واْحفظْ جميعَ ما عليك حتى تتهيأَ للمُلك ، ثم أتى بعصاً وضربه وأوقفه بزاويةِ الغُرفةِ وقالَ له : إيّاكَ أن تتحرّكَ بدون إذنِها وإلّا فالويلُ لك من غضَبي . فاُستمرّ بحالهِ حتى رضيتْ عنه ولم يعُدْ إلى مثلِ ذلك مرّةً أُخرى

---

هواؤها رطب جـــــداً بما يكثر فيها من الأمطار والضباب فلذا يغادرها الاغنياء في الشتاء . يربو سكانها على أربعين مليونا ، وعاصمتهم لندن ، والمشهور من طباعهم أنهم ذوو جد وتدبير وحزم وينفردون فى السياسة واستعمال الوسائط الناجحة لاستعمار البلاد . أما النادرة المذكورة في المتن فهي منسوبة الى ادوار السابع ، وهو ابن الأمير ألبير والملكة فكتوريا المتوفاة سنة ١٩٠١ . ولد سنة ١٨٤١ وعين لتربيته أكبر أساتذة زمانه . فتخرج على أيديهم رجلا كاملا متفردا بفضائله كما تفرد بسمو مداركه وعلو همته . تزوج بإسكندرة بنت كرستيان التاسع ملك الدنمرك سنة ١٨٦٣ ورزق منها عدة أولاد نجباء بين ذكور واناث . وعند وفاة والدته آل اليه تاج ملك انجترا كما تقتضيه شرائع بلاده . ولم يزل بعد يحذو حذو تلك الوالدة الكريمة في فعل الخير والحث عليه واظهار فضل الفضلاء وتعظيم مقام العلماء . أطال الله أيامه وأسعده هو والرعايا المتمتعين بالحرية تحت ألوية عدله



## من شبَّ على شيءٍ شابَ عليه

خرجَ بعضُ الحكماءِ ذاتَ يومٍ إلى الخلاءِ ومعهُ أحدُ أولاده. فسارا حتى وصلا غيضةً ناضرةَ الأشجارِ زاهيةِ الأزهارِ يانعةِ الأثمار [١] وبجانبها شجرةٌ صغيرةٌ قريبةٌ من الطريقِ قد أمالتْها الرِّيحُ وكادَ رأسُها يمسُّ الأرض

فقال الحكيمُ لولدهِ انظُرْ إلى تلك الشَّجرةِ المائلهِ واذهبْ فأرجِعْها إلى شكلها الأوّل. فذهبَ الولدُ وأخذَ يعالِجُها إلى أن عدّلَها. ثم انطلَقا حتى إذا قرُبا من جُمَّيزةٍ [٢] كبيرةٍ كثيرةِ العُقَدِ والاعوجاجِ قال الحكيم لابنِه انظُرْ يا بُنيَّ إلى هذهِ الشَّجرةِ ما أحوجَها إلى من يَصنعُ معها معروفاً فيُعَدِّلُها ويُزيلُ

---

١ ناضرة الأشجار الخ أي ان أشجارها شديدة الخضرة وأزهارها جميلة وأثمارها ناضجة ٢ الجميزة واحدة الجميز وهو شجر كبير من نوع التين كثير الفروع، ورقه أصغر من ورق التين وثمره في عظم الجوز. لونه مبيض ثم يشرب بحمرة عند نضجه. وهو يخرج في الخشب لا تحت الورق كغيره. وقبل أن ينضج بأيام يصعد رجل الى الشجر ويقطع رؤوس أثمارها فتحلو بذلك بعض الحلاوة على أنها لا تخلو من الطعم الخشبي أبدا. يصنع من خشبه الأبواب والشبابيك وغير ذلك من الآلات الجافية. وله صبر على الماء والشمس وبقاء على الدهر فلذا كان قدماء المصريين يتخذونه لتوابيت موتاهم. وقيل انه يصون الجثث من البلى والله أعلم

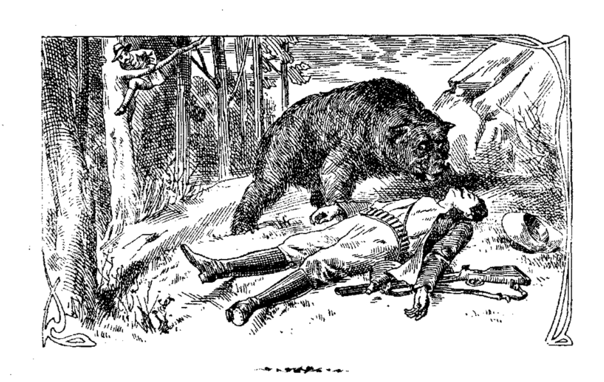
عنها عُيوبَها التي شانَتْها [١] وحطَّتْ من قيمتِها في أعيُنِ الناظرين ، فأنحُ نحوَها [٢] وافعَلْ بها كما فعلتَ بالتي قبلَها . فتبسَّمَ الولدُ عَجبًا وقال : إني لا أكرَهُ صُنعَ المعروفِ إلاّ أنَّ تلك الشجرة غيرُ قابلةٍ للتعديلِ لِكِبَرِها . . . نعمْ كان يُمكنُ ذٰلك في زمنِ صِغَرِها وأمَّا الآنَ فهو من المُحالِ ولوِ اُجتمَعَ عليها عُصبةٌ [٣] من الأبطال . فأُعجِبَ الحكيمُ بأبنِهِ وفرِحَ به لِما آنَسَ من شدَّةِ ذكائِهِ ورِقَّةِ جوابِهِ وقال : صدقتَ يا بُنَيَّ فإنَّ مَن شبَّ على شيءٍ شابَ عليه ، فالزَمِ الأدَبَ من صِغرِكَ يلزمْكَ في كِبَرِكَ

ثمَّ رجَعا مِن حيثُ أتيا والأبُ يُرَدِّدُ في نفسِهِ هٰذا الكلام : ما أسهَلَ تهذيبَ النفسِ في الصغر وما أصعبَه في الكبر

١ شانتها قبحتها ٢ انح نحوها أي أذهب اليها ٣ العصبة الجماعة



## أخبرني بما سارك به الوحش



قصد رجلان يوماً الصَّيدَ في أجَمةٍ شامخةِ[١] الأشجارِ مُلتفَّةِ الأغصان . فلما جنَّ الليلُ[٢] وأوشكا أن ينصرِفا لمَحا على بُعدٍ دُبًّا[٣]

---

١ شامخة عالية ٢ جن الليل أظلم ٣ الدب حيوان من السباع ذو رأس مستطيل ينتهي بأنف دقيق ، وأذنين قصيرتين ، وعينين صغيرتين حادتين ، وأرجل ذات براثن في آخر كل مخلب ، وذنب قصير جداً يكاد لا يظهر ، وجسم حنزاب تكسوه فروة أثيثة طويلة ناعمة تكون بيضاء أو سوداء أو سمراء أو شهباء على حسب الجهات التي يسكنها . وانما يصطاد طلباً لتلك الفرة . مشيه الاعتيادي بطيء وله قدرة غريبة على السباحة والصعود على الاشجار ، واذا دجن يتعلم بسهولة بعض الأمور كالرقص والصراع والمشي على رجليه ومسك نحو العصا بيديه . يعيش عادة في الجبال الوعرة والآجام الكثيفة المنعزلة والسواحل القطبية ويتخذ لنفسه وجارا يلوذ به أيام الشتاء ويكون حينئذ في شبه سبات أو تخدر مستمر فيذوب ما في جسمه من

ضَخما ، فجعلا يتحادثان في شأنه و يُعلّلان النّفسَ [١] بالحُصول عليه ، وذهبا وهما في ذلك الحديث حتى دخلا فندُقاً [٢] لبعض معارفهما وطلبا أجودَ مأكولٍ وأحسنَ مشروب . وأخذا يقصُفان [٣] تلك الليلة . ولمّا بدا حاجبُ الصّباحِ [٤] قالا لصاحب الفندق : إنّا سنبيعُ جلدَ دبٍّ عظيمٍ يفوقُ ثمنُه ما يلزمُ لوفاءِ مالك علينا فنُعطيك حقّك

ثم توجّها إلى بعض التُّجّار فوصفا له ذلك الجلدَ مدّعيَين وُجودَه عندهما . فقوّمه التّاجرُ بحسَب ما وصفاه له ووعدهما بدفع الثّمن عند استلامه . فتركاه وانطلقا إلى الأجمة . وفيما هما يتفقّدان [٥] الدبَّ إذ رأياه مقبلاً عليهما وهو يعجُّ عجيجاً [٦] هائلا ، فصوّبا [٧] بُنْدُقيتَيْهما ورماه أحدُهما ، فأخطأه فتسلّق [٨] بسُرعةٍ

---

الودك شيئاً فشيئاً ويمتزج بدمه في دورانه فيغذيه ويغنيه عن الطعام . يطول عمره الى أربعين سنة وربما ينيف عليها . تلد أنثاه في كل بطن من ديسم الى خمسة وتعتني بتربيتها اعتناء شديدا وتكون في زمن ارضاعها أوذع خلقاً منها في سائر الازمان خلافا للمعهود في غيرها من الحيوانات حتى الأهلية ١ يعللان النفس بالحصول عليه أي يتكلمان عنه كأنهما حصلا عليه فعلا ٢ الفندق محل للاكل والشرب والمبيت وهو اللوكندة بلهجة العامة ٣ يقصفان يأكلان ويشربان مع لهو وطرب ٤ لما بدا حاجب الصباح أي عند الصباح ٥ يتفقدان يفتشان ٦ العجيج صوت الدب ٧ صوبا وجها بتشديد الجيم ٨ تسلق شجرة صعد عليها

شجرةٍ كانت بجانبهِ فنجا . وأمّا الآخرُ فلم تخرُجْ نارُ سِلاحه ، فطرَحَ نفسَه على الأرضِ وتماوَت . فهجَمَ عليه الدبُّ وجعلَ يشُمُّه ويُقلِّبُه ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ حتى غلَبَ على ظنّهِ أنه ميّت ، ففارقَه بدونِ أن يؤذيَه لأنّ الدِّبابَ لا تتعرَّضُ للأموات

فنزَلَ مَن كان على الشجرةِ وأقبلَ إلى صاحبهِ وأخذَ يسخَرُ به قائلا : أخبِرني بما سارّكَ [1] به الوحش . فأجابه أنه قال : لا تتبِعْ فِراءَ الضَّواري وهي سارِحةٌ في الصَّحاري

---

**النفس في الاحسان**

من ألطفِ ما قُرِئَ في تاريخِ المُحسنينَ حكايةٌ عن فرَنكلانَ [2] الأمريكيّ ، وذلك أنّ رجلاً غريباً بعَثَ إليه

---

١ سارك حدثك سرا ٢ ولد ذلك العصامي « العصامي هو من كان شرفه بنفسه لا بآبائه ويقابله العظامي » سنة ١٧٠٦ من أسرة دون التوسط في الغنى فلم يمكنه في أوائل عمره الا أن يتلقى بعض مبادئ علمية ولكنه لم يزل يجهد نفسه في طلب العلم كلما سنحت له الفرص حتى كبر وقد جمع في جعبة عقله معارف كثيرة توصل بها الى الكتابة على مواضيع مختلفة واستطلاع أسرار السياسة والتبحر في البحث عن أحوال الطبيعيات حتى اخترع مانع الصواعق ( مانع الصواعق le paratonnerre آلة معدنية كالحربة توضع في أعالي المباني متصلة بركية في الارض حتى اذا نزلت صاعقة جذبتها بقوتها المغنطيسية وذهبت بها الى الركية فيبطل فيها عملها ) وتدارك بها أشرارا عديدة كانت تصيب الآدميين وغيرهم في جميع البلاد

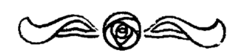
برسالةٍ يسألُه شيئًا من المـالِ يُمـكِّنُه من العَودِ إلى وطنه .
فأجابه بقوله :

أخي العزيز

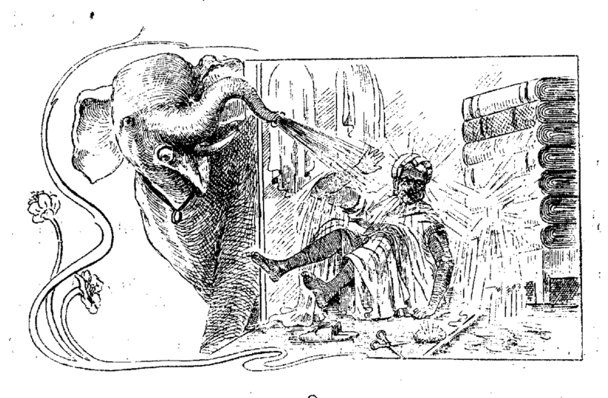
وبعدُ فقدِ اتّصَلَ بي خِطابُكَ المؤرَّخُ في كذا ، فتأثَّرتُ مما بك من الضّيقِ الماليّ وهاأنذا مُرسِلٌ لكَ عشَرَةَ جُنَيهاتٍ دَينًا عليك لا هِبةً [١] إليـك ، فبعدَ وُصولك إلى وطنِك سالمـًا لا تعـدَمُ واسِطةً تُحصِّلُ بها هٰذا المبلغ ، فإذا تَمَّ لك ذٰلك تبحَثُ عن شخصٍ يكونُ مِثلَ ما أنت عليه الآنَ وتدفعُه إليه شارِطًا عليه أن يدفعَها إلى مَن كانت حالُه مثلَ حالِهِ وهٰـكذا . وبذٰلك تكونُ أنت قد وفَيْتَ [٢] دينَك وأكونُ أنا بقليلٍ من المالِ قد أنقذتُ [٣] خلقًا كثيرينَ ممن قعدَ بهمُ الدهرُ [٤] دونَ الوُصولِ إلى أوطانِهِم

---

١ لا هبة لا هدية ٢ وفيت دينك أي قضيت ما كان عليك ٣ أنقذت نجيت
٤ قعد بهم الدهر أي منعتهم الحوادث



## وجزاء سيئة سيئة مثلها



كانَ في مدينةٍ من بلادِ الهِندِ [١] فيّالٌ يمرُّ كلَّ يومٍ بفيلتهِ [٢]

١ الهند شبه جزيرة عظيمة من مستعمرات الانجليز في جنوب آسيا ، وهي بلاد زراعية كثيرة المناجم وخيمة الهواء يسكنها ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة خمسهم يؤمنون بالله والبقية يعبدون الأصنام . عاصمتها كاكتا . أصحاب البلد الأصليون سمر اللون ولهم نصيب من الذكاء بيد أنهم ميالون الى أساطير الأولين وخرافات الخراصين

٢ الفيلة جمع فيل وهو حيوان من ذوات الأربع وآكلة النبات ، يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار في ضخامة عظيمة جدا . له أذنان عريضتان كالترس مع دقة ، وعينان صغيرتان ، وعنق قصيرة ، وأنف وهو المعروف بالخرطوم طويل ربما بلغ مترين في طرفه شبه يد يتناول بها جميع الأشياء ، ونابان ثابتتان في فكه الأسفل وتخرجان من فمه واحدة من اليمين والاخرى من اليسار وتطولان كثيراً حتى يبلغ وزنها مئة كيلو وهما له بمنزلة سلاحين قويين يدفع بهما أعداءه ، وذنب صغير ينتهي بخصلة شعر ، وأرجل قصيرة في كل واحدة خمس أصابع قوية . وثديان في صدره . جلده خشن ثخين عادم

على دُكّانِ خيّاط . فاعتادَ أحدُ الفِيَلةِ أن يمُدَّ خرطومَه في شُبّاكِ الدّكانِ فيعطيهِ الخياطُ بعضَ ما يجدُ عندَه من خضراواتٍ أو أثمارٍ أو غيرِهما من المأكولات .

فاتّفقَ مرّةً أنّ الخياطَ كانَ مُوغَرَ الصّدرِ[١] مُعكَّرَ الخاطر . فلما جاءَ الفيلُ ومدَّ خرطومَه على حسَبِ عادتِه وخزَه[٢] بإِبرتِه وَخزةً أليمةً ولم يُعطِه شيئاً . فأسرَّها[٣] الفيلُ في نفسِه وذهبَ حيثُ قصدَ به صاحبُه . وفيما هو راجِعٌ ملأَ خرطومَه ماءً من مُستَنقَعٍ[٤] كانَ في طريقِه ، وعند ما وصلَ إلى الخياطِ أفرغَ الماءَ

الشعر تقريبا . وهو يعمر الأقاليم الحارة من آسيا وأفريقا ويأوي نهارا الى الاجمات الجثيلة الرطبة القريبة من المياه ويخرج منها ليلا الى المراعي جماعة كقطيع الغنم يقودها أول الذكور في السن ويلحقها ثانيها ويمشي غيرهما في الوسط والصغار تحملها أمهاتها بخراطيمها . ويعيش الى مئة وخمسين سنة وأكثر ، وتحمل أنثاه اثنين وعشرين شهرا وأولادها تبلغ أشدها في العشرين من عمرها ، اذا أخذ يتعلم سريعا الاشارات والكلمات ويفهم بهما ما يراد منه فيفتح الأبواب ويغلقها ويتناول أصغر الاشياء كالابرة مثلا وينفع صاحبه كثيراً فيحمل وحده الأثقال من جهة الى أخرى ويضعها مهلا على الأرض واذا كانت مما يخاف تدحرجه أسندها بأحجار ونحوها ثم يرجع ليحمل غيرها وهكذا ، يصنع من نابيه أدوات ثمينة ككري البليار ( البليار le billard ) وأنصبة السكاكين وضلوع المراوح . ومن طبعه شدة الحقد كما يشهد بذلك الحادثة الواردة في المتن

١ موغر الصدر أي مغتاظ ٢ وخزه أي شوكه ٣ أسرها أي حفظ له هذه السيئة كي ينتقم منه بعدئذ ٤ المستنقع موضع يركد فيه الماء

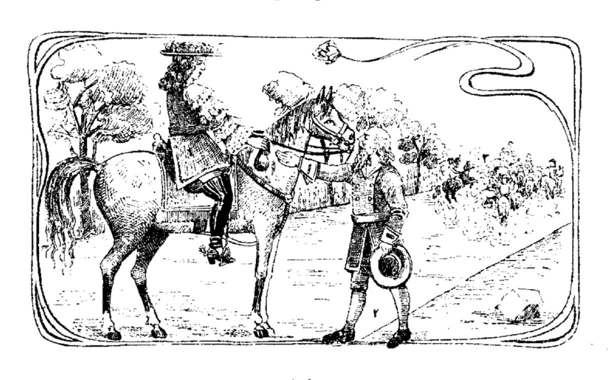
بقوّةٍ عليه وعلى ما في الدكانِ من الملابسِ فأتلفها . فعرَفَ الخياطُ من تلك الحادثةِ أنَّ التعدّيَ صِفةٌ شنيعةٌ تجلِبُ الإنتقامَ فإنّ البهائمَ ولو لم يكنْ لها عقلٌ يُرشِدُها الوَهمُ [1] إليه

## حسن الاعتذار قد نجاك من الدمار

آدَبَ [2] بعضُ مُلوكِ الهِندِ فِئةً [3] من خواصّه . فلما حضَروا ومُدّتِ الموائدُ أقبلَ خادِمٌ وعلى يدهِ قَصعةُ [4] طعام فعثَرتْ رجلُه فسقَطتْ قَطرةٌ منه على ثوبِ الملك فكَلَحَ [5] لها وجهُه فتحقّقَ الخادِمُ أنه قاتِلُه فكفأ [6] الجميعَ على رأسه . فقال له الملك : ويلَك ! ما هذا ؟ ... قد علمتُ أنّ سُقوطَ القطرةِ كان من غيرِ قصدٍ ولكنْ ما عُذرُك الآن ؟ قال : إنما فعلتُ ذلك مَخافةً على سُمعةِ الملك أن يقتلَني في هفوةٍ عن غيرِ عَمدٍ فأردتُ أن أعظّمَ ذنبي لتُعذَرَ في قتلي ولا ينسبُكَ النّاسُ إلى الجور . فقال له : حُسنُ الاعتذار قد نجّاك من الدَّمار [7]

١ الوهم ( l'instinct ) في الحيوانات ميل طبيعي يحملها على فعل كذا أو تركه من غير تفكير أصلا ٢ آدب فلانا أي دعاه الى وليمة ٣ فئة جماعة ٤ القصعة الاناء الكبير ٥ كلح وجهه عبس شديدا ٦ كفأ قلب ٧ الدمار الهلاك

## فعل الامير أمير الفعال



مما يُروى عن حُسنِ عَواطفِ الامَراءِ أنّ ضابطاً [١] فرَنسيًّا [٢]

---

١ الضابط كلمة تطلق في اصطلاح الجندية على كل من كان ذا رتبة فيها ٢ فرنسيا أي من بلاد فرنسا وهي جمهورية عظيمة غربي القارة الأوربية . يحدها في الشمال الغربي بحر المنش وبوغاز كالي وبحر الشمال وفي الشرقي البلجيك واللكسنبرج وألمانيا . وفي الشرق ألمانيا وسويسرا وايطاليا . وفي الجنوب الشرقي البحر المتوسط وفي الغربي اسبانيا . وفي الغرب المحيط الاتلنتيكي .وبلادها أجمل البلاد : أوديتها مزدانة بالمزروعات والأشجار البهية ذات الأثمار الدانية . وجبالها مكسوة بأنواع العشب ترعاه القطعان فتفيض على أصحابها الخيرات من أصواف ولحوم وألبان . وهي نسيجة وحدها في توافر أسباب المواصلات فيمكنك أن تصل الى أي جهة بأبخس ثمن في أقل زمن . وليس كمثل مدائنها نظاما وأمانا وجمالا حتى أن جميع ما وسعته الدنيا مما يقر النواظر ويسر الخواطر يوجد فيها مستوفيا كاملا . أما باريز عاصمتها فحدث عن البحر ولا حرج فانها فوق كل وصف فقد تراها في روائها وثرائها وهنائها كملكة تحتفل بوفودها أو عروس تتجلى في وشيها وعقودها . وعدد سكان فرنسا يقارب ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ مليونا . وهم أهل صبر

مُعيلاً [١] مفصولاً من الجُنديّةِ لِكبَرِ سِنّهِ وضُعفِ قوَّتِهِ قابَلَ في بعض الأيام فتىً [٢] من الأُسرةِ المالكةِ لم يتجاوَزِ الثانيةَ عشْرةَ من عمرهِ يتمشّى في الخلاء على بُعدٍ من حاشيته . فدنا منه ورفعَ إليه ورقةً كان شرَحَ فيها خِدمته الطويلةَ لوطنهِ أيّامَ شبيبتِهِ وبلاءه الحسَنَ في الأعداء وما قد أصبحَ فيه من الهرَمِ وكَثرةِ الأولادِ وقلةِ ذاتِ اليد . فرقَّ الأميرُ لحالِهِ وقال له ببشاشة : مِن الأسَفِ أيها الشيخُ الجليلُ أنْ ليس معي الآنَ شيء . . . ولكنِ اعملْ هِمّتك لمقابلتي غداً في المكانِ

---

وشدة فى الحروب لا يولون الأدبار لأن الموت عندهم أهون من الهزيمة والعار . وانهم يستوقدون ذكاء ويذوبون ظرفا ورقة ولا يزالون يأخذون الأمور بالمياسرة ويتساهلون فى المعاشرة ويخلصون المودة ويشفقون على الغريب ويبالغون فى تعظيم كل ذي فضل ؛ ومن طبعهم الاقتصاد فى معيشتهم الخصوصية ولا تكاد ترى من مشروع ذي بال يتم فى سائر الدول الا بأموالها . علومها راقية جداً وقلما تجد فرنسيا لا يحسن القراءة والكتابة والحساب ولهم القدم الراسخة فى عالم الأفكار الجديدة والمدنية الصحيحة فالحسن ما حسنوه والقبيح ما قبحوه كما قال الشاعر :

اذا قالت حذام فصدقوها ※ فان القول ما قالت حذام

١ المعيل هو من كثر عياله ٢ كان اسم هذا الفتى لوئيس ويلقب بالدوك دي برجونيا ( الدوك دي برجونيا le duc de Bourgogne )وهو حفيد لوئيس الرابع عشر وولي عهده . ولد سنة ١٦٨٢ وأدبه فنلون ( فنلون Fénelon ) مطران كمبريه ( كمبريه Cambrai ) فأحسن تأديبه حتى كانت فرنسا تعلق رجاءها به لما جبل عليه من محاسن الاخلاق التي نماها فيه مؤدبه . غير أنه اقتضر ولم يكن عمره الا ثلاثة وثلاثين ربيعا

الفلانيِّ عند خُروجي إلى الصّيدِ يكنْ خيرًا إن شاءَ الله

فلمّا كان الغـدُ ذهبَ الشيخُ إلى ذلكَ المكانِ حتى إذا نظرَه الأميرُ تأخّرَ قليـلاً عن رجالهِ وانتهزَ فُرصـةً لم يرَه فيها أحدٌ إلاّ اللهُ وأخرجَ صُرّةً من جيبهِ فيهـا نفقاتهُ الشّهريّة بتمامِها وتـكرّمَ له بهـا وأوصاه بكِتمان السرّ ، ثم لحقَ حاشيته . ولمـا أمسى مساءُ ذلك اليومِ أتّفقَ أنّ جدّه لوئيسَ الرابعَ عشرَ [١] دعاه إلى لعبـةِ الشّطرَنج [٢] ، وكان من شروطِهما فيهـا

---

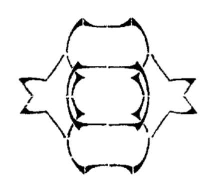
١ ولد لوئيس الرابع عشر ( Louis XIV ) سنة ١٦٣٨ ولما توفي أبوه لوئيس الثالث عشر سنة ١٦٤٣ خلفـه هو على سـدة الفرنسيس ، ولـكنه لم يدبر شـؤون المملكة بنفسه لصغره بل أدارتها عنه أمه مدة قصره واستوزرت الـكردينال مازارين ( مازارين Mazarin ) ثم لما تولاها هو أقر الوزير على منصبه وأكرمه ولم يزل يستشيره . وفي سنة ١٦٦١ مات الـكردينال فاستقل بالادارة ولم يترك أزمتها الى أن قبض سنة ١٧١٥ وعمره ٧٧ سـنة . كان حسن الهيئة شديد الهيبة مشغوفا بالتنوق فى جميع أموره محباً للترف كثير الاتباع نافذ العزيمـة حاضر الحجة مطلق السلطان مولعا بالحروب مؤيدا فيها قوي الارادة لا ترد أوامره ، يتحرك الى فعل الخيرات وينشط أصحاب الاجتهاد فى أمور ترفع الاوطان ويجازيهم بالمكافآت الجزيلة مما ينهض بالعزائم الى سماء العظائم حتى لقد نبغ فى عهده شبه جيوش جرارة من أفاضل الشعراء والعلماء والادباء والخطباء والفلاسفة وأرباب الفنون والصناعات وغير ذلك ممن تعمر بهم البلاد وتسعد بفوائدهم العباد ٢ الشطرنج (الشطرنج les échecs) لعبة مشهورة ، قيل ان مخترعها رجل من حكماء الهند عاش فى أوائل القرن الخامس للمسيـح

أنْ يدفعَ المغلوبُ نقديةً للغالب . فامتنعَ الفتى واعتذرَ بأعذارٍ واهية [١] . فتعجَّبَ الملكُ من إبائهِ الخارقِ لعادتِهِ وألحَّ عليه . فصارَ الفتى في ارتباكٍ شديدٍ لأنه لم يكنْ ليُريدَ أن يكذبَ ولا أن يُظهِرَ فِعلَه الجميل ، ولكن لما استمرَّ جدُّه مُصَمِّماً على [٢] اللَّعِبِ معه التزمَ أن يُقرَّ له بعدمِ وُجودِ النُّقود . فقال له : وماذا فعلتَ بما استلمتَه أمس ؟ قال : أعطيتُه جُنديًّا شيخاً قد أهلكَه الدَّهرُ والفقرُ بعد أن أهلكَ هو أعداءَ المملكة

فأُعجِبَ الملكُ بصُنعِ حفيدِه وعوَّضَه ممَّا تصدَّقَ بِهِ أضعافاً مضاعفة وزادَ راتبَه الشهريّ . ولما أصبحَ استحضرَ الجنديّ وعيَّنَ له رِزقاً [٣] يقومُ بلوازمِه هو وعيالِه

---

١ واهية ضعيفة ٢ صمم على كذا أي مضى عليه غير مصغ الى من يبعده عنه كأنه أصم ٣ الرزق هو الجراية التى تخرج للجندي



## بحسن الطلب ينال الأرب

قيلَ إنّ رجلاً من العُقلاءِ غصبَه بعضُ الوُلاةِ ضَيعـةً [١] له . فذهبَ إلى المنصورِ [٢] وقال له : أصلحَ اللهُ أميرَ المؤمنين أأذكرُ حاجتي أم أضربُ قبلَهـا مثلا . قالَ اُضربِ المثـل . فقال إنَّ الطّفلَ إذا نابَه [٣] ما يكرهُه فزِعَ [٤] إلى أُمّهِ لتنصُرَه ظنًّا أنْ لا ناصرَ له فوقَها ، وإذا ترَعرَعَ [٥] كان فزَعُه وشكواه إلى أبيه لعلمِهِ أنّ أباه أقوى من أمّهِ على نُصرته ، فإذا بلَغَ أشُدّه واسـتَوى [٦] رفَعَ أمرَه إلى الوالي لعلمِهِ أنه أقوى من

---

١ غصبه بعض الولاة ضيعة أي أخذها منه قهرا وظلما ٢ المنصور هو أبو جعفر ابن محمد ثاني خلفاء بني العباس . ولد بالشام سنة ٩٥ ه ورباه أبوه تربية حسنة لانه كان من سراة العرب فكبر الولد كما يكبر أولاد العظام . وكان أسمر اللون طويل القامة نحيف الجسم خفيف العارضين مفرق الوجه رحب الجبهة حاد البصر كأن عينيه لسانان يجمع بين أبهة الملوك وتواضع النساك بعيداً عن اللهو معتدل العطاء فصيحاً بليغاً مفوها جيد المشاركة في العلم والأدب شجاعا لا يرهب الموت يقظا لا يغفله عدوه. تولى الخلافة بعد أخيه عبد الله الملقب بالسفاح سنة ١٣٥ وأخذت روح العلم فى أيامه تدب فى جسم الامة فترجمت له بعض الكتب الاعجمية ككتاب أقليدس وكايلة ودمنة ووفقه الله أن عاصر عددا وافرا من الأئمة الاجلاء كالامام أبي حنيفة ومالك بن أنس . توفي سـنة ١٥٨ محرما بالحج وهو ابن ثلاث وستين سـنة ٣ نابه أصابه ٤ فزع اليه استغاث به ٥ ترعرع صار شابا ٦ استوى أي انتهى شبابه

أبيـه . فان كان الوالي هو الذي ظلمَه لاذَ بالسُّلطانِ لعامهِ أنه أقوى منه . ثم إِن لم يُنصِفْه السلطانُ عاذَ باللهِ تعـالى لعامهِ أنه أقوى ممن سواه ، وقد نزلتْ بي نازلةٌ [١] وليس فوقكَ أحدٌ إلاّ اللهُ فإن أنصـفتَني وإِلاّ تحوَّلتُ من بابِك إِلى من أنت بيـده . فقال : بل نُنصِفُك . فأطلعَه على حاجتـه فأمَرَ بأنْ يُـكتَبَ إِلى الوالي بردِّ الضيعةِ إِلى صاحبِها

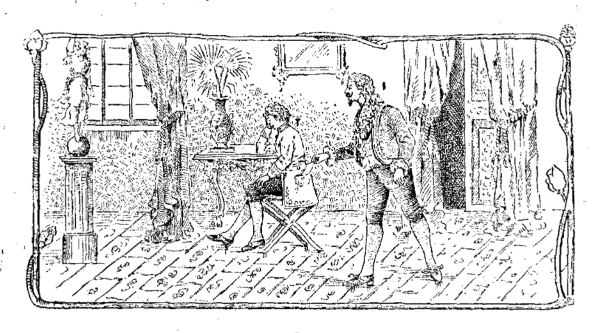
## ملحة في حفظ اللسان

جلَسَ رجلٌ تحت شجرة ، فسمِعَ فوقَهـا صوتَ طائر ، فرماه . فسقَطَ ميّتاً بين يديه . فقال : ما أحسَنَ حِفظَ اللسان بالطائرِ والإِنسان . قال الشاعر :

يموتُ الفتى من عَثرةٍ بلسانه * وليس يموتُ المرءُ من عثرةِ الرِّجلِ
فعثرتُه بالقولِ تذهِبُ رأسَـه * وعثرتُه بالرجل تشفى على مهـلِ [٢]

١ النازلة المصيبة ٢ قال حكيم وقد سئل عن سبب صمته : أصمت فأسلم. وأسمع فأعلم لأن حظ المرء في أذنه له وفي لسانه لغيره

## فردريك الثاني وحاجبه



يُروى أنّ فردريكَ الثاني [١] دقَّ الجرسَ يوماً يطلبُ حاجبه [٢] ، فأبطأَ الحاجب . فكرّرَ الدّقّ عِدّةَ مرّات . فلم يحضُر . فنهَضَ هو بنفسهِ وخرجَ إليه ، فرآه قد أثقلَه النّوم [٣] ، فلما قرُبَ منه

---

١ ولد فردريك الثاني سنة ١٧١٢ وظهر عليه منذ نعومة أظفاره ميل شديد الى العلم . وقضى معظم حياته في طلبه ورفع مناره حتى اذا بلغ الثانية والثلاثين من عمره وقد أصبح فريد عصره في العلوم والآداب واختبار الزمان وأهله خلف أباه فردريك جيليوم على أريكة مملكة بروسيا وأحسن سياستها كل الاحسان ورفعها الى ذروة المجد والسعادة ووسع دائرتها بحروب خرج منها لواؤه ظافرا . وكان كبيرا في عقله عالياً في همته موفقا في أعماله حميداً في أخلاقه يرق لحال المحتاجين ويرحم البائسين ويحض على مد يد المساعدة اليهم ولا يزال يتحين الفرص لاسداء المعروف وتخفيف الاثقال عن رعاياه واستمالة القلوب اليه . ترك من نفثات قلمه نثرا ونظما ما يدل على سعة باعه وجميل ابداعه . مات متوافر المجد والعمر سنة ١٧٨٦ ٢ الحاجب هو البواب ٣ أثقله النوم أي اشتد عليه حتى لا ينتبه بالصوت

ليُوقِظَه لَمَحَ رُقعـةً بارزةً من جيبه ، فظنَّها شَـكوةً من أحدِ رعاياه لم تُرفَعْ إليـه ، فتناوَلها وقرأها ، فإذا هي رسالةٌ واردةٌ على الحاجب من أُمِّه تشكرُه فيهـا على النُّقودِ التي بعثَها إليها إعانةً لها ، وفي آخرِ الرّسالةِ تدعو للملكِ بطولِ البقاءِ والظُّهورِ [١] على الأعداءِ وتطلُبُ لولدِها التوفيقَ في أعمـالهِ وأنْ يُعوِّضَـه اللهُ أضعافَ ما يُعطيها

فلمـا وقفَ الملكُ عليها رَقَّ لحالِهما ورجعَ إلى محلّهِ وأخذَ جملةَ نُقودٍ من الذّهَبِ وجاءَ بهـا إلى الغـلامِ قائراً [٢] ووضَعَها في جيبهِ معَ الرسالة ، ثم عاد وجلسَ في مكانهِ ودقَّ الجرسَ دقًّا قويًّا . فاستيقظَ الغـلامُ مُسرِعاً ودخلَ على الملكِ خائفاً . فقال له : أين كنتَ وقد ناديتُـك مراراً ؟ فازدادَ خوفُه وأدخلَ يدَه في جيبـهِ كأنه يبحثُ عن شيءٍ كما هي عادةُ المـدهوشِ فعثَرَ بالذَّهب ، فأخرجَ بعضَه وقدِ اشتدّتْ به الحيرةُ ثم نظرَ إلى الملكِ وصارَ يبكي . فقال له : ما بالُك تبكي ؟ فألقى بنفسـهِ

---

١ الظهور الانتصار ٢ قائرا أي ماشياً على أطراف قدميه لئلا يسمع صوتهما

على قدميهِ وقال له : يامولايَ إني وجدتُ نقوداً في جيبي لا أدري مَن وضعها وأخشى أن يكونَ عدوٌّ فعلَ بي ذلك قاصِداً ضرري وفضيحتي . فقال له الملك : لا تخف إني أعرفُ مَن فعلَ ذلك وهو رجلٌ سليمُ النيّةِ لم يقصِدْ بفعلِه أذيّة ، فأرسِلْ إلى أُمّك ما وجدتَه وقلْ لها إنّ الملكَ يتولّى أمرَها من الآن .

فتحوّلتْ أحزانُ الحاجبِ إلى أفراحٍ وألقى بنفسهِ على قدمَي الملكِ ثانيةً يشكرُه على نِعَمِه وحُسنِ تعطُّفاتِه ويدعو له بطولِ عمرِه ودَوامِ عِزّهِ ونَصرِه

---

## السلطان الغاصب

إغتَصَبَ سُلطانٌ قِطعةَ أرضٍ لِامرأةٍ فقيرةٍ من رعاياه . فشكتْه إلى القاضي . فرَقَّ فؤادُه لحالها واستقبحَ فِعلَ السُّلطانِ حيثُ إنّ الأَجدَرَ بالسّلاطينِ أن يُعَضّدوا رعيّتَهم وينصُروهم بدفعِ الظالمين وإغاثةِ المظلومين لا أنْ يكونوا همُ الظالمين ومُرتَكبي الجرائم ، ووعدَها أن يهتَمَّ بأمرِها . فذهبتْ

شاكرةً له جميلَ صُنعِهِ آملةً رُجوعَ الأرضِ عما قريب

هٰذا وامتنعَ القاضي أن يتكلَّمَ معَ السلطانِ في شأنِ المرأةِ رَدَحاً [١] من الزمانِ حتى غرسَ أرضَها بأشجارِ الفواكِهِ والأزهارِ وأجرى خِلالَها الجداولَ [٢] والانهارَ وخطَّطَها بالسِّككِ المنظَّمةِ وحوَّطَها بسُورٍ متينٍ وبنى وسَطَها قصرًا شاهقاً ونقلَ إليه حاشيتَه وكبارَ سَلْطَنَتِهِ . فأتاه القاضي يومَ ذاكَ راكباً حِماراً ومعه حَقيبة [٣] . فاستقبَلَه السلطانُ بما يُناسِبُ مقامَه من الاحترامِ ومازَحَه في الحقيبةِ بدونِ أن يسألَه عن المقصودِ منها . ثم قال له : لعلَّ السببَ الذي دعاكَ إلى تشريفِنا بالقُدومِ خير ؟ قال : إن شاء الله تعالى . فقال : وما هو ؟ قال : إني آتٍ لأَستأذِنَك أن أملأَ حقيبتي من تُرابِ هٰذهِ الحديقة . فاستغرَبَ السلطان هٰذا الطلَبَ ولٰكنه أذِنَ له . فخرَجَ القاضي وملأَ حقيبتَه ورجعَ إليه يسألُه أن يُتَمّمَ معروفَه ويُساعدَه في رَفعِها على دابَّته . فتبسَّمَ السلطانُ متعجِّباً ، غيرَ أنه قهَرَ نفسَه وتبِعَه

---

١ الردح المدة الطويلة ٢ الجداول جمع جدول وهو النهر الصغير ٣ الحقيبة هي الكيس الذي يوضع وراء الراكب للزاد ونحوه

إليها فما رفعها إلاّ قليلاً حتى أستثقلها وتركها . فقال له القاضي حينئذ : عجباً لك ! إنَّ هذه الحقيبةَ التي تستثقلها اليومَ ليس فيها إلاّ جزءٌ يسيرٌ من أجزاءِ الأرضِ التي أغتصبتها من إحدى رعاياك ، وإذا كنتَ لا تقدرُ أن ترفعها معَ مساعدتي فكيفَ تقدرُ أن تحملَ هذه الارضَ بما فيها وحدَك وأنت بين يدي الحاكمِ القهّارِ وصاحبتها آخذةٌ بعنقك

فخجلَ السلطانُ من كلامِ القاضي خجلاً شديداً وردَّ الأرضَ بما فيها للمرأةِ وأستحلَّها مما سلفَ من ذنبهِ وتابَ عن العودِ إلى مثله

## قدر لرجلك قبل الخطو موضعها

بلغَ المأمونَ أنَّ عشرةً من أكابرِ البصرةِ [1] يسعَونَ في

---

١ البصرة هي مدينة اختطها عمر بن الخطاب سنة ١٤ هـ على ضفة شط العرب. وما زالت آخذة في النمو والارتقاء حتى بلغت الدولة العباسية شأوها من المجد . فاذا هي أكثر المدن الاسلامية أدبا وعلما وصناعة وتجارة وأبهجها من حيث اتساق الابنية واتساع الاسواق ونظافة شوارعها . فكانت السفن ترد اليها موقرة بأنواع البضائع الهندية والصنائع الفرنجية والفارسية وتصدر عنها مفعمة بالعاج والنحاس والمرجان والقطن والصوف والحنطة والتبغ وكرائم الابل وأصائل الخيل وغير ذلك مما كسبا أهلها

زَرعِ الفِتَن بينَ أهاليها . فقُبِضَ عليهم في صُبحِ ذاتِ يومٍ وسِيقوا إلى صفةِ شَطِّ العَرَبِ [١] ليُقلَعَ بهم إلى بغداد . فرآهم طُفَيليٌّ [٢] هُنالِكَ فلم يظُنَّ إلّا أنهم اجتمعوا لنُزهةٍ آخرُها وليمةٌ فاخرة . فاختَلَطَ بهم ودخل الزَّورَقَ [٣] معهم . فلم يشعُرْ إلّا بتَقييدِهِم وتقييدِهِ أيضاً ، فعلِمَ حينئذٍ أنه وقَعَ في وَرطةٍ ورامَ أن يحتال للخلاص فلم يُمكِنْه . وسارَ بهمُ الزَّورقُ حتى وقَفَ بميناءِ بغدادَ وأُدخِلوا على الخليفة

فجعلَ يستَدعيهم بأسمائِهِم واحداً فواحداً ويسألُهم ويُذَكِّرُهم أفعالَهم وأقوالَهم ويسمَعُ أجوبَتَهم حتى تحقَّقَ جنايَتَهم ، فأمَرَ بضَربِ أعناقِهِم في الحال . فبعدَ ضربِ العشْرِ بقيَ الطفيليُّ واقفاً . فقال المأمونُ للوكيل : ومَن هٰذا ؟ قال : لاعِلمَ لي بحاله ،

---

حلة الثراء ورفعها على أجنحة السعادة حتى أوشك مجدها أن يفوت النجم علاء وبعدا وتفوق أموالها رمال القفار عدا . ثم دار الفلك دورانه وضرب الدهر ضرباته فامتدت اليها أيدي الكوارث والكروب وشبت فيها نيران الثورات والحروب ففسد نظامها وهدمت مبانيها وتفرق أهاليها ، ولا يكاد يقع نظر الناظر اليها في العصر الحاضر الا على مدينة صغيرة حقيرة ضيقة الاسواق قذرة الأزقة كاسدة التجارة ١ شط العرب نهر عظيم في غربي آسيا يتكون من اجتماع دجلة والفرات وينصب في خليج العجم بعد أن يجري على مسافة نحو مائتي كيلومتر ٢ الطفيلي هو الذي يأتي الولائم بدون أن يدعى اليها ٣ الزورق هو السفينة الصغيرة

غيرَ أني رأيتُه معهم في الزّورقِ فجئتُ به . فقال الطفيليّ : واللهِ يا أميرَ المؤمنينَ إني بريءٌ منهم ولا أعلمُ من أمرِهم شيئاً وإنما نظرتُهم مجتمِعينَ فظننتُ أنهم يذهبونَ إلى وليمةٍ فلحقتُ بهم . فضحِكَ المأمونُ وقال : لقد سلِمَ هذا الجاهلُ من القتلِ ولكنه يُؤدَّبُ لئلاّ يعودَ إلى مثلِ هذا الفعلِ المذموم ، وأنشد :

قدِّرْ لرجلِكَ قبلَ الخطوِ موضِعَها * فمَن علا زَلَقاً عن غِرّةٍ زَلَجا [1]

## كيف بلادكم

إنقطعَ رجلٌ عن قافلتِه [2] ، فضلَّ الطريقَ وهامَ [3] على وجهِهِ حتى وصلَ إلى خيمةٍ فيها عجوز [4] ، فسلَّمَ عليها وطلبَ إليها طعاما . فقالتْ لهُ امضِ إلى ذلكَ الوادي فاصطَدْ من الحيّاتِ [5] قدرَ

١ الزلق هو الموضع الذي لا تثبت عليه القدم ، والغرة الغفلة ، وزلج أي زلت قدمه
٢ القافلة هي جماعة من الناس المسافرين صحبة ٣ هام على وجهه أي ذهب لا يدري أين يتوجه ٤ العجوز هي المرأة المسنة لعجزها عن أكثر الامور ٥ الحيات جمع حية وهي اسم يطلق على جميع الحيوانات الفقرية الزاحفة ذات الذنب المستدق والجسم الحرشفي الاسطواني الخالي من الارجل فيتم مشيها بتعريجات أفقية متوالية بواسطة الحراشف القوية المستطيلة التي في بطنها . ولسانها طويل نضناض ذو شعبتين ، وعيناها براقتان حادتان عليهما غشاوة شفافة رقيقة تقوم مقام الجفن ، وأذناها خفيتان لا طبلة لهما ، وأنفها صغير في طرف فنطيستها .

كِفايتِك فأشويها لك . فقالَ : أنا لا أجسرُ أن أصطادَ الحيات .

وأما ألوانها فهي كثيرة تختلف باختلاف أنواعها . وحجمها يختلف كاللون اختلافا بينا فنها ما يكاد طوله لا يتجاوز شبرا في غلظ عود الكبريت كالنوع المسمى بالخيط ( الخيط le fil ) ومنها ما يبلغ طوله ثلاثة عشر مترا في غلظ جسد الانسان الضخم كالحية المعروفة بالبوأى ( البوأى le boa ) . وقد تنقسم الحيات باعتبار احتوائها على السم وعدمه الى قسمين سامة وغير سامة وتحت كل قسم منها أنواع شتى لكل نوع اسمه الخاص به ، أما السامة فهي ذات نابين في فكها الاعلى مجوفتين متصلتين بغدتين للسم وراء العينين تحت الجلد غير ظاهرتين يجري منهما السم الزعاف أثناء اللدغ فينصب في جرح اللديغ ويمتزج بدمه ويقضي على حياته ان لم يتدارك توا بالعلاج الناجع . وذلك كالافعى ( الافعى la vipére ) والصل ( الصل l'aspic ) . وأما غير السامة فهي الخالية من هاتين النابين وما يتبعهما كالحنش ( الحنش la couleuvre ) والبوأى . وتقتات الحيات بالمواد الحيوانية فالصغيرة منها تأكل الحشرات والجراذين والضفادع والعصافير وما شاكلها ، والكبيرة تصطاد الغزلان والذئاب والثعالب والأعيار والزرائف حتى الاسود والثيران التامة النمو وتزدردها ازدرادا بلا تمزيق ولا مضغ لانها متمتعة بمزية التمدد الذي يمكنها من ابتلاع أجسام أكبر من جسمها هي . وكيفية اصطيادها انها تترصد فريستها كمينة في نحو دوحة أو بين أعشاب كثيفة حتى اذا مرت وثبت عليها كالبرق الخاطف والتفت عليها وجعلت تضغطها ضغطا الى أن تموت ثم تبتلعها ابتلاعا كما مر بك . ومن ثم كانت لا يتم هضمها الا بعد أيام طويلة ولا سيما اذا كان في أكلها عظام عظام ولا تزال واقعة في خدر عميق لا ينتهي الا بانتهاء هضمها ، ويستطيع الانسان وهي على تلك الحال أن يتمكن منها بدون أقل خطر لانها اذ ذاك عادمة الحركة ، ويعتري الحيات نفس هذا التخدر في الشتاء لانها لا تطيق البرد القارس فلذا يقل عددها ويصغر حجمها في البلاد الباردة ويكثر ويعظم في الحارة ، فاذا أحست بمجيء الشتاء اختفت في بطون الكهوف البعيدة القرار أو تحت أكوام الحجارة الضخمة ولا تزال هكذا في خدر أشبه بالموت الى أن تشرق شمس الربيع

فقالت إني أكون معك فلا تخف . فمضيا وأخذا منها ما يلزمها ورجعا إلى الخيمة . فشوته العجوز . فلم ير الرجل بدًّا من الأكل خوف أن يموت من الجوع فأكل ثم عطش فطلب الماء . فقالت له العجوز أذهب إلى تلك العين فاشرب . فذهب فوجد الماء مرًّا مالحا ، غير أنه لم يجد من شربه بدًّا . فشرب وعاد إلى العجوز وقال لها إني أعجب منك يا خالة ومن مقامك في هذا المكان القفر واغتذائك من هذا الطعام الرديء

فقالت كيف بلادكم ؟ قال بلادنا فيها الدور الرحبة والفواكه اليانعة والمياه العذبة والأطعمة الطيّبة واللحوم الكثيرة الجيّدة . فقالت العجوز ألستم تحت يد سلطان يظلمكم وإذا كان عليكم ذنب أخذ أموالكم واستأصل أحوالكم [١] وأخرجكم من بيوتكم وأرضكم وأنتم صاغرون ؟ قال قد يكون ذلك . فقالت إذاً يعود ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف مع الظلم سمًّا ناقعاً وتعود أطعمتنا مع العدل درياقاً [٢] نافعا ، أما سمعت أنّ أجلّ النعم بعد الايمان الصحّة والأمان

---

١ استأصل أحوالكم أي أزال أصولكم ٢ الدرياق هو الدواء الشافي من السموم

## مثال في إيثار الغير على النفس




كان بسَوادِ ١ أُورَشَلِيمَ ٢ أخوانِ يملكانِ قِطعةَ أرضٍ على الشُّيوع . ٣ وكان أحدُهما مُعيلاً والآخرُ عزَبا ٤ . واتّفقَ في بعضِ السِّنينَ أن زرَعا الأَرضَ قمحا ، ولما حصَداه جعَلاه حزَما . ثم قسَماها قِسمَيْن مُتساويَيْن اُختَصَّ كلٌّ بقسمِهِ وترَكَه وانصرَفَ إلى بيته . حتى إذا عَتَمَ ٥ الليلُ خطرَ ببالِ العزبِ أنه ليسَ من العدلِ أَن تكونَ حِصّتُه في القمحِ وهو منفردٌ

١ سواد المدينة هو ماحولها من الريف والقرى ٢ أورشليم ( Jérusalem ) مدينة قديمة في جنوب بلاد الشأم ٣ على الشيوع أي غير منقسمة ٤ العزب هو من لا زوجة له ٥ عتم الليل مر منه قطعة

لحصّةِ أخيه المُعيل ، فقامَ من ساعتـهِ وانطلقَ إلى الحقلِ [١] وعَمَدَ إلى عِدّةٍ من حزمهِ وضمّها إلى قسمِ أخيه ، ثم عادَ ولم يرَه أحدٌ غيرُ الله . وفي خلالِ الليلِ استيقظَ أخوه فحدَّثتْه نفسُه أنَّ أخاه يحتاجُ إلى نفقـةٍ كثيرةٍ لأنه لم يزلْ حديثَ السّنِّ وليسَ له مَن يُشاطِرُه [٢] مشاقَّ الحيـاةِ ويُساعـدُه على تأديةِ لوازمِهِ ، فقامَ من ساعتِهِ وتمَّمَ ما هجسَ في صدره [٣]

وعندَ ما سَطعَ الفجرُ [٤] ذهبَ كلٌّ على انفرادِهِ إلى الحقلِ ليَرى ما أعطاه أخاه فيُسَرَّ به . فأخذَ منهـما العجَبُ مأخذَه حينما رأيا القسمينِ لم يزالا متساويَين ، وعزمَ كلٌّ واحـدٍ أن يعودَ إلى مثلِ فِعـلهِ الليـلةَ التالية . وما برحا يفعلانِ ذلك مُدّةَ ليالٍ والقسمانِ على حالهِما فإنّ عَددَ الحزمِ التي يحملُها كلٌّ أخٍ إلى أخيه كان نفسَ العددِ الذي يحملُه إليـه الآخَر ، إلى أن التقَيا ذاتَ ليـلةٍ وهما يتبادلانِ الحزم ، فعرَفا حينئـذٍ السّببَ الذي من أجـلِهِ لم تزِدْ حصّـةُ أحدِهما على حصةِ أخيهِ وتحقّقا

١ الحقل هو الارض المعدة للزرع والغرس ٢ يشاطره يقاسمه ٣ هجس في صدره أي خطر به ودار ٤ سطع الفجر ظهر ضوء النهار

كمالَ الصَّفاء والإخلاص بينهما ، فتعانقا وتعاهدا على حفظِ الودادِ ما بقيت فيهما صُبابةٌ من الحياة [١]

فأمطرَ اللهُ عليهما سحائبَ النِّعَمِ والرِّضوان وبارك عليهما وفي أرضهما حتى ألهمَ الناسَ بعدهما أن يبنوا فيها مسجداً [٢] لعبادتهِ تعالى

## شفيع المرء عمله

إستدعى ملكٌ عظيمٌ واليَه على جزيرةٍ [٣] كي يحاسبَه على أعماله . فلما شعرَ بذلك أصحابُه في الجزيرةِ انقسموا قسمين . قسمٌ كان الوالي يعتقدُ أنه هو العُدّةُ لكلّ شدّةٍ لم يُرِدْ أن يُصاحبَه في سفرهِ ولم يُبدِ له أدنى علامةٍ تدلُّ على الميلِ إليه ولم يُفكِّرْ في حالهِ بل تركَه عُرضةً للطَّوارئ كأنَّ وُجودَه

١ الصبابة البقية ٢ هو المسجد العظيم الذي بناه سليمان بن داود في أوائل ملكه أي نحو الف سنة قبل المسيح . وكان موقعه بظاهر أورشليم الا أن سليمان مد المدينة الى ما وراءه حتى أدخله في سورها ٣ الجزيرة هي جزء من الارض تحيط به المياه من جميع الجهات كجزيرة الروضة بمصر ، وان اتصلت احدى جهاته بالأرض سمي شبه جزيرة كالعربستان ، ومجموع الجزائر يسمى أرخبيلا

وَعدمَه لديه سواء . وقسمٌ لم يكنِ الوالي ليُعوّلَ عليه ولا لينظُرَ إليه نَظرَه إلى الأوّلِ بادرَ فصاحبَه . ولما سألَه الملكُ وأظهرَ ما فرطَ منه دافعَ عنه أشدَّ الدّفاعِ وسترَ قبائحَه وكشفَ محاسِنَه حتى رضيَ و بدّلَ سيّئاتِهِ حسنات [١]

ذلك مَثَلُكَ أيها الإنسانُ في حياتِك فإنَّ مَن تُقرِّبُهم إليك ينقسمونَ قسمَين . قسمٌ تخالُه الصَّديقَ الصّادِقَ فتُعِدُّه للشَّدائد ، وعند ما ينقَضي نَحبُك [٢] ويدعوك ربُّك ينتقلُ إلى غيرك ويُصبِحُ من أعدائك وهو الأهلُ والخُلّانُ والوظائفُ والأَموال . وقسمٌ يُصاحِبُك إلى دارِ البقاء ويُلازِمُك ملازمةَ الأصدقاء ويكونُ شفيعَك لدى ملكِ المُلوكِ وهو العملُ الصالح . . . فإنْ أكثرتَ منه وعرَفتَ قدرَه وأحسَنتَ جوارَه واعتمَدتَ عليهِ دافعَ عنك أشَدَّ الدِّفاعِ ونفَعتْك شَفاعتُه وتمّتْ إجابتُه فتحظى بالرَّحمةِ والرّضوان وتفوزُ بنعيمِ الجِنان وإلاّ فلا تجِدُ لك من شفيعٍ فتَبوءُ بالخُسران وتُخلَّدُ في عَذابِ النِّيران

---

١ بدل سيئاته حسنات أي انه لم ينظر الى سيئاته في جانب حسناته ٢ النحب الأجل

## خير الناس من أفاد الناس

كانَ لرجلٍ من أغنياءِ التُّجّار ولدٌ نجيبٌ [١] مرّنَه من صِغَرِهِ على التِّجارةِ ببلدِهِ حتى عرفَها جيّداً . ولما بلغَ أشُدَّه أرادَ أن يُعوِّدَه الأسفار . فجهّزَه [٢] تجهيزاً يليقُ بأمثالِهِ وأرسلَه . حتى إذا كانَ على مسيرةِ أيامٍ من بيتِ أبيه نزَلَ ببعضِ المُروجِ [٣] في ليلةٍ مُقمِرةٍ ، فأبصرَ ثعلباً [٤] طريحاً [٥] قد أخذَه الهرَمُ وضعُفَ عن

---

١ نجيب حميد ٢ جهزه أي هيأ له ما يلزمه ٣ المروج جمع مرج وهو الموضع الذي ترعى فيه المواشي ٤ الثعلب من الحيوانات الثديية التي تأكل اللحوم كالكلاب والذئاب وغيرهما ، وهو دقيق الخطم مدور الرأس منتشر الأذنين قصير العنق ذو ذنب طويل أسطواني الشكل متوافر الشعر متنفشة قوي البصر والشم والسمع سريع الجري فيري يجوب المسافات كأنه البرق الخاطف ، ويختلف لونه الى البياض وغيره ، وفروته من أحسن الفراء ، ينسل من وجاره ليلا فيصطاد الحيوانات الضعيفة كالحجل والسمانى والدجاج والأرنب ويأكل البيض والجبن والعنب وغيرها . تلد أنثاه مرة واحدة فقط في السنة وتضع الى ثمانية جراء وتعتني بتربيتها مزيد الاعتناء ، واذا أحست بعدو اكتشف محل أولادها أخرجتها منه ليلا ونقلتها الى وجار آخر ، وللثعلب حيل عجيبة فى طلب الرزق والتخلص من الاعداء واذا لم تنجح له حيلة اخترع غيرها بسرعة حتى ضرب به المثل فى المكر والخديعة وحسن التخلص من أكبر الورطات . ومن لطيف أمره أنه اذا جاع رمى نفسه على الارض متماوتا ورفع قوائمه فى الهواء وانتفخ فتظنه الطيور ميتا وتجتمع عليه من كل صوب لتأكله فيثب عليها حينئذ ويصيد منها ما يلحقه . واذا كثرت فيه البراغيث تناول بفمه قطعة صوف من جسمه ونزل فى الماء قليلا قليلا وعند ما تشعر البراغيث بقرب الماء اليها تصعد فرارا منه حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها هو اذ ذاك فى الماء ويخرج وليس معه الا نفسه ٥ طريحا مطروحا

الحَرَكة . فجعلَ يتفكّرُ في أمرِهِ ويقولُ : كيفَ يُرزَقُ هٰذا الحيوانُ المِسكين ؟ . . . لا أظُنُّ إلاّ أنه يموتُ جوعا

وبينما هو كذٰلك إذ أقبلَ أسدٌ وبفمِهِ صيدٌ ووقفَ قريباً من الثعلبِ وأكلَ مما معه إلى أن شبِعَ فانصرفَ ولم يرَ الغلامَ ولا الثعلب ، فعند ذٰلك طفقَ الثعلبُ يزحفُ زحفَ الكسيرِ [١] حتى انتهى إلى ما تركَه الأسد ، فأكلَ منه كفايتَه والغلامُ يتعجّبُ من صُنعِ اللهِ في خلقِه وما ساقَ إلى هٰذا الحيوانِ العاجزِ من الرّزق ، وقال في نفسه : إذا كانَ المولى سبحانه قد تكفّلَ لخلقِهِ بالأرزاقِ [٢] فلأيِّ شيءٍ احتمالُ المشاقِّ وركوبُ البحارِ واقتحامُ [٣] الأخطار ؟ ثم انثنى [٤] إلى والدِهِ وأخبرَه بما رآه وأنهُ بسببِهِ قد عدَلَ عن السَّفر . فقال له أبوه : يا بُنيَّ قد أخطأتَ النَّظرَ فإنما أردتُ أن تكونَ أسداً تأكلُ من فضَلاتِك الضِّعافُ الجِياعُ لا أن تكونَ ثعلباً جائعاً تنتظرُ قوتَك من فضلاتِ غيرِك . فقبِلَ الولدُ نصيحةَ أبيهِ وعادَ إلى

١ الكسير المكسور الاعضاء ٢ تكفل لخلقه بالارزاق أي ضمنها لهم ٣ الاقتحام هو القاء النفس فى الشيء الصعب ٤ انثنى رجع

ما كانَ فيه لِما عَلِمَ من أنّ رجلَ الحزمِ هو مَن يعتمِدُ في أمورِهِ
على نفسِهِ لا على أبناءِ جنسه

فإنما رَجُلُ الدنيا وواحِدُها * مَن لا يُعوّلُ في الدنيا على رجلِ

## هذا أضل الجميع

أحَبَّ الحجّاجُ [1] في بعضِ الأيامِ أن يقِفَ بذاتِهِ على أحوالِ رعيّته ، فخرَجَ متنكِّرًا [2] منفرِدًا بنفسه ، فصادَفَ شيخًا فقال له : من أينَ أيُّها الشيخ ؟ قال : من هنا وأشارَ له إلى قريةٍ قريبةٍ منهما . فقال : وما رأيُكم في الحُكّام . قال :

---

١ الحجاج هو أبو محمد بن يوسف الثقفي ، ولد بالطائف من أهل الفقر والخمول سنة ٤١ ه ولم يكد يترعرع حتى اشتهر بالفصاحة والخباثة والدهاء والتخلص من صعاب الامور . ولما نما أمره الى روح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان ألحقه بأهل حرسه . ثم اضطرب أهل العراق سنة ٧٥ وتحير عبد الملك فيمن يرسله واليا عليهم فما كان منه الا أن اختار الحجاج نقمة لهم فأخمد ثوراتهم وسيرهم على الصراط ولكنه كان ظالما أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب المنكرات التي لم يقدم عليها غيره ، وله في القتل والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها عن أحد . وهو الذي بنى مدينة واسط وأمر كتابه بوضع نقط للحروف دفعا للاشتباه ببعضها . ولما توفي عبد الملك وولي الوليد أبقاه وأقره على ما بيده ، ولم يزل واليا على العراق وخراسان الى أن مات بالآكلة سنة ٩٥ . وعند ما انتشرت بشرى انتهاء أجله بكى الناس فرحا وسجدوا لله شكرا ٢ متنكرا أي لابسا ثيابا غير ثيابه المعتادة حتى لا يعرف

إنهم أشرارٌ يظلِمونَ الرَّعيّةَ ويَختَلِسون أموالَهم حتى يموتَ الصغيرُ جُوعاً والكبيرُ أسَفاً وجزَعاً . فقال : وما فِكرُكَ أنت في الحجّاج ؟ . قال هٰذا أضَلُّ الجميع ، سوَّد اللهُ وجهَه وخيَّبَ مَن ولّاه علينا . . . لم يترُكْ لنا ماشيةً إلا مشى بها ، ولا ضَيعةً إلّا ضيَّعَها ، ولا عَقلاً إلّا عقَلَه[1] ، ولا خليلاً إلا أخَلَّ به[2] ، ولا جاراً إلّا جارَ عليه ، حتى مجَّتْه[3] جميعُ النفُوس

كلُّ ذٰلك والحجّاجُ يكظِمُ غيظَه ويُخفي أمرَه ، ثم قال : أتعرفُ مَن أنا ؟ قال : لا . فقال : أنا الحجاج . فخرَّ الرجلُ من الخوفِ مَغشيًّا عليه[4] . فلما أفاقَ[5] قال : أنا فِداؤكَ . . . أوَ تدري مَن أنا ؟ قال : لا . فقال : أنا مجنونٌ من بني عِجْلٍ[6] يمَسُّني[7] الشَّيطانُ كلَّ يومٍ مرّةً في مثلِ هٰذه الساعةِ فأُصرَعُ[8] ولا يؤاخِذُني أحدٌ بما يصدُرُ مني . فتعجَّبَ الحجاجُ من حُسنِ تخلُّصِه وانصرَفَ عنه وكتَمَ الحادِثةَ جُهدَه

---

١ عقلا الا عقله أي منعه من التفكر في الامور بظلمه وأوامره الصعبة ٢ أخل به أي أفسد عليه حاله ٣ مجته كرهته ٤ خر مغشياً أي وقع وقد نابه ما ذهب بعقله ٥ لما أفاق أي لما رجع اليه عقله ٦ بني عجل قبيلة من العرب ٧ يمسني يلبسني ٨ أصرع أي يصيبني الصرع وهو داء يمنع القوى النفسانية من أفعالها منعاً غير تام

## ليس في الإمكان ارضاء كل انسان



أراد لُقمانُ يوماً أن يعِظَ ابنَه . فمضى به إلى مدينةٍ ومعهما حِمارٌ يسوقانِه . وبينما هما سائرانِ إذ مرّا برجل . فقال لهما : إني لَأَعجَبُ من ضَعفِ [١] عقلِكما ! أتترُكانِ الحمارَ يمشي من غير راكب ؟ فلما سمِعا منه ذلك تقدَّمَ الوالدُ فركِبَ الحمار ، لكنه لم يكَدْ يستوي على ظَهرِهِ حتى رأتْهما امرأتان ، فقالتْ إحداهما : يالَقساوةِ هذا الشيخ ! يركَبُ مُطمَئِنًا كالأمير ويترُكُ ابنَه يجري وراءَه كعبدٍ حقير . فأردَفَ ابنَه [٢] ومضيا كذلك إلى

---

١ الضعف هو ضد القوة وقيل تفتح ضاده ان كان للمعنويات كما هنا وتضم ان كان للماديات ٢ أردف ابنه أي أركبه وراءه

أن قابلَهما جماعةٌ قافِلونَ [١] من المدينـة . فصاحَ أحـدُهم بأصحابِهِ اُنظُروا اُنظُروا إلى هٰذينِ الشّخصَينِ الضّخمَين ! يركَبانِ حمـاراً ضعيفاً كأنهما يُحاولان [٢] موتَه ! فنزَلَ الأبُ وبقيَ الولدُ وسارا حتى نظرَهما رجلٌ مُسِنّ ، فأخذَ يقولُ للولد : أُفٍّ لكَ يا قليلَ الأدَب . . . أما تخجلُ أن تركَبَ وتدعَ أباكَ الشيخَ يدِبُّ بعصاه خلفَكَ كأنه خادِمُك

فتأثّرَ الولدُ من قولِهِ وترجّلَ عاجِلاً والتفتَ إلى أبيهِ وقال : ماذا ينبغي أن نفعلَ يا أبي حتى نُرضيَ الناسَ ونسلَمَ من لومِهم ؟ أنَحمِلُ الحمارَ على لوحٍ وندخلُ بهِ المدينـة ؟ أم ندفِنُه في حفرةٍ ونستريح ؟ فقال : يا بُنيَّ إنما أردتُ بذلك عِظتَك . . . إعلَمْ أنه لا يُمكِنُ إرضاءُ جميعِ النـاسِ والتخلُّصُ من لومِهم بحالٍ من الأحوالِ لِاُختـلافِ عُقولِهم وتضارُبِ آرائهـم [٣] فإنك إنْ أرضَيتَ زيداً في أمرٍ أسخطتَ عمراً فيـه ، وإذا وافقتَ هٰذا خالفتَ ذاكَ ، فما على العاقلِ إلاّ أن يُجهِدَ نفسَه في إتمامِ واجباتِهِ

---

١ قافلون راجعون ٢ يحاولان يريدان ٣ تضارب آرائهم اختلاف تصوراتهم

علىٰ وجهِهِ الكمالِ من غيرِ أن يُبالِيَ بقيلٍ وقالٍ وإلاَّ فلا يَتَهيَّأُ له الإقدامُ على عَمَلٍ من الأعمال

---

## عفو كريم

مما يُؤْثَرُ [١] في العَفوِ والإحسانِ ويُعَدُّ من مُلَحِ [٢] الزَّمانِ أنه لمَّا كانَ العرَبُ ناشِرِينَ لواءَ سَطوتِهِم على إسبانيا [٣] وقَعَ

---

١ يؤثر ينقل ويروى ٢ الملح جمع ملحة وهي ماحسن من الاحاديث ٣ فتح العرب اسبانيا سنة ٧١١ م بخيانة رجل من أقطابها اسمه الكونت جوليان ، وذلك أن الرجل كان حنقا على ملكها رودريك . فطلب المسلمين انتقاماً منه وهدى طارق بن زياد الليثي من قواد الوليد الى سبيل دخولها ومهد له . ولم يزل طارق واخوانه يتوغلون فيها حتى دوخوها كلها ما عدا جبال الاسطوريا (montagnes des Asturies) فان بطلا من الاسبان يقال له بلاج ( Pélage ) تحصن بها مع جماعة من مواطنيه فلم يقدر أحد على اخضاعهم . ثم دارت الايام دورتها ولمَّ الاسبان شعثهم وتضافروا على صلاحهم واصلاحهم ، وبينما أمراء العرب ورؤساؤهم أطفال لهو وشقاق وشهوات بعد أن كانوا أسد الشرى ورجال الفتوحات اذ انتهز الاسبان فرصة ذلك التغافل العميق وانحدروا من قمم تلك الجبال وأخذوا يصلون أعداءهم حرباً بعد حرب حتى استرجعوا جميع مدائنهم واحدة فواحدة ولم يتركوا حصناً حتى استولوا عليه . فاضطر العرب الى التسليم وطلب الامان سنة ١٤٩٢ وجلوا عن تلك البلاد الحسناء ولله الارض يورثها من يشاء . واسبانيا مملكة في الجنوب الغربي لاوربا ، يحدها شمالا خليج الجسكونيا ودولة فرنسا ، وشرقاً وجنوباً البحر المتوسط . وغرباً الاتلنتيك والبرتغال . وسكانها ٢٠ مليوناً ، وعاصمتها مدريد

خلافٌ بينَ شابَّينِ إسبانيٍّ وعربيٍّ وأفضى بهما إلى برازٍ [١] قُتِلَ فيه العربيُّ وفرَّ الإسبانيُّ هارباً بنفسه ، ولم يزلْ هائماً على وجههِ حتى دخلَ حديقة ، فوجدَ فيها شيخاً من العرب ، فسقطَ على قدميهِ وأخبرَه بما كان منه ، وتعلقَ بردائهِ لائذاً بحِماه مستجيراً بهِ من عِداه . فروَّحَ الشيخُ قلبَه [٢] وجاءَ به إلى كوخٍ [٣] منفردٍ في الحديقة ، فأدخلَه فيهِ ووعدَه أن يُجيرَه . فما مضى غيرُ قليلٍ حتى سُمِعتْ جَلَبَةٌ [٤] عظيمةٌ وأقبلَ رجالٌ يحملونَ جثّةَ قتيل . فنظرَ إليها الشيخ ، وإذا هي جثةُ ولدِه ، فأخبروه أنَّ شابًّا إسبانيًّا اعتدى عليه فقتلَه ولجأَ إلى الفرارِ وهم يبحثونَ عنه للأخذ بالثأر ، ففهِمَ الأبُ أنّ القاتِلَ هو ذلك الشابُّ الذي دخلَ بُستانَه ولاذَ بحِماه ، فكادَ فؤادُه يتفتّتُ على ولده ، ولكنه تجلَّدَ [٥] وأخفى أمرَه وسكَّنَ جأشَ قومهِ وأنزوى في مخدعهِ يبكي على فقيدهِ إلى منتصفِ الليل ، فقامَ وقد هدأتِ

---

١ البراز قتال سلاحي بين خصمين ، وهو منكر عند جميع ذوي الآراء الصائبة
٢ روح قلبه أي طيبه ٣ الكوخ شبه بيت يتخذه البستاني ليحفظ فيه أدواته ٤ الجلبة اختلاط الاصوات ٥ تجلد تكلف الجلد أي الصبر

الاصواتُ وسادَ السُّكون على المخلوقاتِ ودخلَ الكوخَ فوجدَ القاتلَ قدِ اشتدَّ قلقه وزادَ اضطرابُه من حينِ أن سمعَ الجلبةَ ولم يعرفْ سببَها ، فأخبرَه الشيخُ بجليةِ الأمر . فلما علمَ أنّ القتيلَ ابنُ مَن هو تحتَ يدهِ تضاعفَ[١] قلقُه واضطرابُه ورأى الموتَ عِياناً[٢] ، فأخذَ الشيخُ يؤمنُه ويهدّئُ روعَه[٣] بقوله : يا هذا إنك قد دخلتَ في حمايَ واستجرتَ بي فأجرتُك وأنا لا أعرفُك فما كنتُ لِأنكثَ عهدي[٤] بعدَ أن أمّنتُك وعرفتُك . . . ولكن اغتنمْ فرصةَ الظلامِ واهربْ بنفسِك لأني لا آمنُ عليك شرَّ قومي إذ بلغهم أنك هنا ولا أُريدُ أن ينالَك عندي مكروه ، واللهُ تعالى وحدَه وليُّ ثأري ، ثم أطلقَ سبيلَه بعدَ أن أعطاه ما يستعينُ به من النقودِ وهداه إلى طريق غيرِ مورود[٥]

---

١ تضاعف ازداد ٢ عياناً أي بعينه ٣ الروع بضم الراء هو القلب وبفتحها هو الخوف ٤ نكث العهد أخلفه ٥ غير مورود أي غير مسلوك



## البدوي والخليفة والنديم

دخلَ رجلٌ منَ البَدوِ [١] على بعضِ الخلفاءِ وحدَّثَه على أمورٍ كثيرةٍ أجادَ فيها . فأعجِبَ بأدبِهِ وذكائِهِ وسعَةِ معارفِهِ ورغِبَ إليه [٢] أن يلزَمَ مجلسَه ولا يحرمَه أنسَه . وكان للخليفةِ نديمٌ [٣] لئيمُ الطَّبعِ خبيثُ الطويّة [٤] ، فحسَدَ البَدويَّ وأضمرَ له السُّوءَ وصارَ يتلطَّفُ به حتى أخذَه إلى منزلِهِ وطبخَ له طعاماً أكثَرَ فيه الثُّوم [٥] . وعِبَّ الأكلِ قال للبدويّ : إياكَ أن تقرُبَ من الخليفةِ فإنه يشُمُّ منك رائحةَ الثوم فيشمَئِزُّ منها . ثم بادرَ إلى الخليفةِ وقال له : إنّ البدويَّ يُذيعُ [٦] بينَ الناسِ أنك أبخَرُ [٧] وأنه هلكَ من رائحةِ فمِك

---

١ البدو الصحراء والبدوي هو المنسوب اليه ممن يأوي الى الخيام ٢ رغب اليه أي طلب منه برفق ٣ النديم هو الجليس ٤ الطوية النية ٥ الثوم نبات عشي من نوع البصل له ساق أسطوانية في غلظ الاصبع تطول دون نصف متر ، وأوراق ضيقة مستطيلة وأزهار بيضاء على هيئة باقة . ورأس في الارض في حجم قبضة الطفل يتكون من جملة فصوص صغيرة بيضية الشكل منضما بعضها الى بعض ذات رائحة قوية كريهة وطعم حريف تستعمل في طبخ الاطعمة فتفتح شهوة الآكل وتساعده على الهضم وتكسبه صحة طيبة ٦ يذيع ينشر ٧ الابخر هو الذي رائحة فمه كريهة

فلما دخلَ البدويُّ على الخليفةِ جعلَ كُمَّه على فمِهِ مخافةَ أن يشمَّ منه رائحةَ الثومِ . فعندَ ما رآه يفعلُ هـٰذا تحقَّقَ صِحَّةَ كلامِ النديمِ . فكتبَ كتاباً إلى أحدِ عُمّالِه يقول فيـه : « إذا وصلَ إليك كِتابي هـٰذا فاضرِبْ رقبةَ حامِلِه [١] » ودفعَ إليـه الـكتابَ وقال لهُ امضِ إلى فلانٍ وأْتِني بالجواب . فأخذَ البدويُّ الـكتابَ وخرجَ به . فبينما هو بالبابِ إذ لقيَه النديم ، فقال له : أين تُريد ؟ قال : أذهبُ بكتابِ أميرِ المؤمنينَ إلى عاملِهِ فلان . فقال النديمُ في نفسه : إنّ هـٰذا البدويَّ لَينالُ من هـٰذه البَعثةِ مالاً جزيلاً فلا بدَّ أن أحتالَ عليـهِ حتى أكونَ أنا بدلَه ، فقـال له : يا هـٰذا ما رأيُك فيمَن يُريحك من التَّعَبِ الذي يلحَقُك [٢] في ذَهابك ويتحِفُك بألفَي دينارٍ ؟ قال : لكَ الأمرُ ومهما رأيتَه فافعَل . فقال : هاتِ الـكتاب . فسلَّمه إليه وأعطاه النـديمُ ألفَيِ الدينار ، وسارَ بالـكتابِ إلى الجهةِ المقصودة . فلما قرأه العاملُ أمرَ بضَربِ رقبةِ الحامل

---

١ اضرب رقبة حامله أي اقتله ٢ يلحقك يصيبك

وبعدَ أيامٍ اتفقَ أن جرى ذِكرُ البدويّ في مجلسِ الخليفةِ وقيلَ إنه بالمدينةِ يلهو ويمرحُ بينَ وردٍ وريحانٍ وأصحابٍ وخلّانٍ. فتعجّبَ الخليفةُ مما سمِعه وأمرَ بالبدويّ فأُحضِرَ وسأله عن حاله. فأخبرَه بما كان من أمرِ الكتاب. فقال له: أأنت قلتَ للناس عني كيتَ وكيت؟ قال: معاذَ اللهِ يا أميرَ المؤمنين أن أتحدَّثَ بذلك، وقصّ عليه قِصَّته مع النديمِ يومَ أخذَه إلى بيته وأطعمَه الثوم. فاستغربَ الخليفةُ تلك الحادثةَ ولم يقضِ منها العجَبَ [1] وقال: سبحانَ اللهِ إنّ المكرَ السيّئَ لا يحيقُ إلاّ بأهلِهِ

## المنصور ومحمد بن جعفر

كان المنصورُ مُعجَباً بمحادثة محمّدِ بن جعفر [2]. ولِعظَمِ قَدرِه عندَه يفزَعُ الناسُ إليه في الشّفاعات. فثقُلتْ طَلَباتُه على المنصورِ وحجَبَه [3]، غيرَ أنه لم يطُلْ صبرُه على بِعاده، فأمرَ

١ لم يقض منها العجب أي لم يمكن الخليفة أن يوفي العجب حقه لعظم أمرها ٢ محمد ابن جعفر هو أبو عبد الله الهاشمي، كان أديباً فاضلاً فصيح اللسان كثير الاخبار والنوادر، يعجب به المنصور ويرغب في محادثته ولا يصبر على مفارقته ٣ حجبه أي نهاه عن الدخول عليه

الربيعَ [١] حاجبَه أن يُكلِّمَه في ذلك . فقالَ له : عُدْ إلى مجلسِ أميرِ المؤمنينَ ، ولكن إياكَ أن تُثقِّلَ عليه بالطلبات ، فرضيَ بذلك ، حتى إذا كانَ بعضُ الأيامِ توجَّهَ إلى مجلسه . فاعترَضَه قومٌ من قُرَيشَ [٢] معهم رِقاع . فسألوه إيصالَها إلى المنصور . فقصَّ عليهمُ القِصَّةَ فأبَوا إلاّ أن يُوصِلَها . فقال : ضَعوها في كمي

ثم دخلَ على المنصورِ وهو في قصرِهِ بالخَضراء [٣] ، فرحَّبَ به وقرَّبه من مجلسِهِ وجاذَبَه أطرافَ الحديث [٤] ، ثم قال له في عُرضِهِ [٥] : أما ترى إلى حُسنِ بغدادَ وما حولَها من البَساتينِ والقصورِ الفاخرةِ العاليـة ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين باركَ اللهُ لك فيما آتاكَ إذ ما بنتِ العربُ من ظُهورِ الإسلامِ ولا العجمُ في سالفِ الأيامِ أحصنَ ولا أبهجَ من مدينتِك . . . ولكن سمَّجَتْها [٦] في عيني خَصلة . فقال : وما هي يا أبا عبدَ الله ؟

---

١ الربيع هو أبو الفضل بن يونس الهاشمي . كان أول أمره حاجباً للمنصور ثم استوزره بعد أبي أيوب المورياني وكان المنصور شديد الميل اليه كثير الاعتماد عليه
٢ قريش قبيلة من العرب ٣ الخضراء موضع بهيج قريب من بغداد مشرف عليها كان فيه قصر عظيم أنيق لخلفاء بني العباس يقضون به قسما من فصل الصيف ٤ جاذبه أطراف الحديث أي تكلما معاً ٥ في عرض الحديث أي في أثنائه ٦ سمجتها قبحتها

قال : ليس لي ضَيعة . فتبسَّمَ المنصورُ وقال : هأنذا حسَّنتُها في عينِك بثلاثِ ضِياعٍ قد أقطعتُكها[١] . فقال : تاللهِ يا أميرَ المؤمنينَ إنك لشريفُ المواردِ كريمُ المصادر[٢] ، أسأله تعالى أن يجعلَ باقيَ عُمرِك أكثرَ من ماضيه . ثم إنه لما نهضَ لينصرِفَ بدتِ الرّقاعُ من كمِّه ، فبادَرَ يرُدُّهنَّ ويقولُ أرجعْنَ خائباتٍ خاسِراتٍ . فضحِكَ المنصورُ وقال : بحقّي عليك إلاّ أخبرتَني عن هٰذه الرقاع[٣] . فأعلمَه . فقال له : ما أتيتَ إلاّ كريماً ، وتمثّلَ بقولِ عبدِ اللهِ بن معٰوية[٤] الهاشميّ

لسنا وإن أحسابُنا كرُمتْ * يوماً على الأحسابِ نتَّكِلُ

نبني كما كانتْ أوائلُنا * تبني ونفعَلُ فوقَ ما فعلوا

ثم نظرَ في الرقاع واحدةً فواحدةً وقضى حوائجَ أصحابها

١ أقطعتكها أي جعلت ريعها رزقاً لك ٢ انك لشريف الموارد كريم المصادر أي ان الوصول الى خيرك حسن سهل والرجوع عنه بعد نيله محمود . والموارد جمع مورد وهو الطريق الموصل الى الماء . والمصادر جمع مصدر ضده ٣ بحقي عليك الا أخبرتني أي أسألك بما لي عليك أن تخبرني ٤ كان هذا الرجل من دهاة عصره وظرفائه وكتابه المجيدين نثراً ونظماً ، ادعى الخلافة سنة ١٢٧ هـ فتحزب له النـاس وأقبلوا اليه من الأطراف وحشد الجيوش واستولى على جهات كثيرة لبني أمية وجعل الحرب سجالا بينه وبينهم ، ولم يزل أمره يتفاقم وجيوشه تنتصر الى أن ولي مروان الحمار الخلافة فقبض عليه القائد أبو مسلم الخراساني وقتله سنة ١٣٠

## أشرف الأعمال



كان لرجلٍ غنيٍّ ثلاثةُ أولاد . فلما بلغَ من الكِبَرِ عِتيًّا [١] وأحسَّ بدُنوِّ أجلِهِ أحضرَهم وقسمَ أموالَه بالسَّويّةِ بينهم ما خلا ألماسةً كبيرةً عاليةَ الثمنِ فإنه أبقاها عنده وقال لأولاده : هٰذه الجوهرةُ أجعلُها لِمَن [٢] أتى منكم بأشرفِ الأعمالِ إلى يومِنا هٰذا . فأخذَ كلٌّ يفكِّرُ فيما عملِه كي ينالَ المكافأة

فقال كبيرُهُم استودَعني [٣] رجلٌ غريبٌ مالاً كثيراً ولم يأخُذْ عليَّ وثيقةً [٤] ولم يُشهِدْ أحداً وغابَ مدةً طويلة . ثم

١ بلغ من الكبر عتيا أي فني من الكبر ٢ أجعلها لمن أي أعطيها من ٣ استودعني مالا أي وضعه عندي كي أحفظه له ٤ وثيقة كتابة

عادَ وطَلَبه فرَدَدتُه عليـهِ من غيرِ مُمـاطَلَةٍ ولا محاولةٍ [١] على حينِ حاجتي إِليـه وليس في إِنـكارهِ عليَّ من بأْس [٢] . فقالَ الأَب : حسَنًا فعَلتَ يا ولدي

وقال الثـاني : أنا كنتُ ماشياً على ضـفّةِ نهر ، فنظرتُ طفلاً وقَعَ فيـهِ وقد أشـفى [٣] على الغَرَق ، فقـذَفتُ [٤] بنفسي في المـاءِ وأخـذتُ أُغالِبُ [٥] التيّارَ حتى تمكَّنتُ بعـدَ الجهدِ الجهيدِ من إِنقاذهِ وسلَّمتُه إِلى أمّهِ وقد أَوشكتْ أن تموتَ جزَعًا عليه . فقال الأبُ : هـٰذا عمَلٌ تَستَحِقُّ عليهِ الشكر

وقال الثالثُ وهو أصغرُهم : كان لي عدوٌّ شـديدُ الحَنَقِ [٦] عليَّ ويُريدُ قتلي ، وفيما أنا سائرٌ ذاتَ يومٍ إِذ رأَيتُه نائمًـا على شَفيرِ [٧] هُوّةٍ [٨] هائلةٍ بحيثُ إِذا تحرَّكَ أدنى حركةٍ ولو بنفسهِ يسقُطُ فيها فيموتُ أشـنَعَ ميتة ، وسوَّلتْ [٩] لي نفسي أن أترُكَه كي يهلِكَ فأتخلَّصَ من شرّه ، ولـٰكني قهرتُها وبادرتُ

---

١ المماطلة هي التأخير والمحاولة هي الحيلة ٢ بأس خوف ٣ أشفى أوشك ٤ قذفت ألقيت ٥ أغالب أقاوم ٦ الحنق شدة الغيظ ٧ شفير ناحية ٨ الهوة الوهدة وهي الموضع العميق الصعب الوصول الى قعره ٩ سولت زينت

إليه بخفةٍ وأيقظته بلطفٍ ونجَّيته . فاهتزَّ [١] الأبُ طرباً من كلامهِ وقامَ إليهِ وعانقه وقال : لقد أحسنتَ أنتَ يا ولدي كلَّ الإحسان وفقتَ أخويك في هذا الشأن ! حيثُ أطفأتَ نارَ الحقدِ من قلبك وعفوتَ عن عدوِّك الألدّ [٢] ، فأنت الذي أتيتَ بأشرفِ الأعمال واستحققتَ عليه الجعال [٣]

## هكذا تكون الصداقة

حدَّث واقدُ بنُ أبي مُسلِم [٤] قال : كان لي صديقان هاشميٌّ وتميميٌّ [٥] ، وكنا في الصَّداقةِ كنفسٍ واحدة . فنالتني [٦] في بعضِ السنينَ ضيقةٌ عظيمة . فقالتْ لي امرأتي : يا هذا ترى العيدَ قد حضرَ وليس لنا شيءٌ نُعيِّدُ به ، أمَّا نحن فنستطيعُ الصَّبرَ على الشِّدَّةِ وأمَّا أولادُنا فلا لأنهم يرونَ أولادَ جيرانِنا ومعارفِنا وقد تزيَّنوا بالملابسِ الجديدةِ وهم فرحونَ بما اشتراه

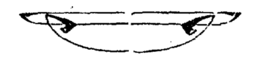
١ اهتز أي صار في أعلى مراتب السرور ٢ العدو الالد هو الشديد العداوة الذي لايقبل الصلح ٣ الجعال هو مايعطي العامل في مقابلة عمله ٤ واقد بن أبي مسلم هو رجل من العقلاء عاش في أيام المأمون ٥ الهاشمي هو المنسوب الى قبيلة بني هاشم ، والتميمي هو المنسوب الى قبيلة بني تميم ٦ نالتني أصابتني

لهم أَهلُهم . فتقطَّعَ قلبي بكلامها لأَني رأَيتُه صَوابا

فكتبتُ إلى صديقي الهاشميّ ووصفتُ له حالي وسأَلته أَن يُسعِفَني بما يُمكِنُه من المال . فأَنفذَ [١] إليَّ خريطةً [٢] فيها ثلاثون دينارا ، فلم أَكدْ أَستلِمُها حتى كتبَ لي صَديقي التميميُّ يشكو إليَّ مثلَ ما شكوتُ أَنا إلى صديقِنا الهاشميّ . فأَرسلتُ إليه الخريطةَ على حالِها وبقيتُ في بيتي حيرانَ لا أَدري ما أَفعل . فبينما أَنا كذلك إذ دخلَ عليَّ الصديقانِ وبيدِ الهاشميّ الخريطة ، فدعَوتُهما إلى الجلوس فجلسا ، ثم قال لي الهاشميُّ وقد علِمَ ما جرى : ياصاحِ حيثُ إِننا كلُّنا في ضيقةٍ وليس لثلاثتِنا غيرُ هذا المالِ فهلُمَّ نقتسِمْه . ثم إِنه فتحَ الخريطةَ وقسمَ الدنانيرَ ثلاثةَ أَقسامٍ كلٌّ منا أَخذَ حِصّتَه وتفرَّقْنا . وبعد أَيامٍ اتَّصلتْ قِصّتُنا بالمأمون ، فاستدعانا وأَثنى على فِعلِنا وأَمرَ لكلٍّ منا بأَلفِ دينار

---

١ أنفذ أرسل ٢ الخريطة هي الكيس — فائدة : يؤخذ من سياق هذه القصة أنه لم يكن عند الهاشمي الا هذه الدنانير وأنه كتب الى التميمي بعد ارسالها فجاءه بالخريطة



## فتربح المثل مثلين

كانَ في بغدادَ رجلٌ من الأغنياءِ يُعرَفُ بأبي القاسِمِ الطُّنبُوريّ [١] ، وكانَ له حِذاءٌ مضى عليهِ سبعُ سنينَ وهو يلبسه ، وكلّما تقطّعَ منه مَوضِعٌ جعلَ مكانه رُقعةً إلى أن تناهى في الثِّقَل

فاتّفقَ أنه دخلَ يوماً سوقَ الزّجاج ، فقال له سِمسار : يا أبا القاسمِ قد وصَلَ إلينا اليومَ تاجرٌ من حلَبَ [٢] ومعَه حِملُ قَنانيّ مُذَهَّبةٍ قد كَسَدتْ [٣] سوقُها ، فاشترِه وأنا أبيعُه باسمِك فيما بعدُ فتربحُ المِثلَ مِثلَين [٤] ، فمضى واشتراه بستّينَ ديناراً ، ثم إنه دخلَ سوقَ العطّارين [٥] فصادفَه سمسارٌ آخَرُ وقال له : يا أبا القاسمِ قدِمَ إلينا اليومَ من نَصيبينَ [٦] تاجرٌ ومعه ماءُ وَردٍ في غايةِ الجودةِ وهو يُريدُ السَّفَرَ في أقرَبِ وقت ، ولعجلتهِ

---

١ أبو القاسم الطنبوري رجل من أغنياء بغداد اشتهر في زمانه بشدة بخله وجهله
٢ حلب مدينة قديمة من سورية يبلغ عدد سكانها مئة ألف وربما زادوا على ذلك
٣ كسدت سوقها أي لم يقبل الناس على شراء ما فيها ٤ مثلين حال من المثل ٥ العطارين جمع عطار وهو بائع الروائح التي يتطيب بها ٦ نصيبين مدينة من شبه جزيرة العرب ظاهرها في غاية النزاهة لما فيه من الانهار الجارية والاشجار الزاهية ، باطنها في غاية الوخامة لضيق شوارعها واهمال تنظيفها . وفي شماليها جبل الجودي ينزل منه نهر طيب المياه يقال له الهرماس

يمكنك أن تشتريه منه رخيصاً وأنا أبيعه لك فيما بعد فتربح المثل مثلين . فمضى واشتراه أيضاً بستين ديناراً أخرى وصبّه في القناني وجاء بالجميع ووضعه على رفٍّ من رفوف بيته

ثم دخل حمّاماً عمومياً ليغتسل . فقال له هناك بعض أصدقائه : يا أبا القاسم إني أشتهي أن تغيّر حذاءك هذا لأنه في نهاية الشناعة [١] وأنت والحمد لله واسع النعمة [٢] . فقال الحقّ معك وإن شاء الله أفعل. وعند ما خرج من الحمام ولبس ثيابه رأى بجانب حذائه حذاء جديدا ، فظنّ أنّ صديقه قد اشتراه له ، فلبسه وترك حذاءه وذهب إلى بيته ، وكان ذلك الحذاء للمفتي خلعه ودخل الحمام . فلما خرج بحث عنه فلم يجده ، فقال للحاضرين أنظروا لعلّكم تجدون الذي لبس حذائي ترك شيئاً عوضه . ففتّشوا فلم يجدوا سوى حذاء أبي القاسم ، فعرفوه لأنه كان يضرب به المثل . فأرسل المفتي خدمه فكبسوا [٣] بيته ودخلوه فوجدوا الحذاء عنده فأحضروه

١ الشناعة القبح ٢ واسع النعمة كثير الغنى ٣ كبسوا بيته أي هجموا عليه فجأة

لدى سيّدِهم ، فأخذه منه وضربَه تأديباً له ، وحبسَه مُدّة ، وغرّمَه بعضَ المال ثم أطلقَه . فخرجَ أبو القاسمِ من الحبسِ وأخذَ حذاءه وهو غضبانُ عليه ، فانطلقَ إلى دِجلةَ [١] فألقاه فيها . فغاصَ في الماءِ لثقَلِه . فأتى بعضُ الصيّادين ورمى شبكتَه فطلعَ فيها الحذاء . فلما رآه الصيادُ عرفَه وقال : هٰذا حذاءُ أبي القاسمِ والظاهرُ أنه وقعَ منه في دجلة . فأتى به بيتَه ، فلم يجِدْه . فنظرَ فرأى طاقةً نافذةً إلى داخلِ البيت ، فقذفَه منها ، فسقطَ على الرَّفّ الذي عليه القناني ، فوقعَ الرفّ ، فتكسَّرتِ القنانيُّ وأُريقَ [٢] الماء . فجاءَ أبو القاسمِ ونظرَ ذٰلك ، فعَلِمَ الأمر ، فسفقَ وجهَه [٣] وصاحَ وبكى وقال : وافقراه [٤] أفقرَني هٰذا الحذاءُ الملعون ! ثم إنَّه قامَ ليحفِرَ له حفرةً ويدفِنَه فيها ليلاً ويستريحَ منه . فسمعَ الجيرانُ صوتَ الحفرِ فظنُّوا أنَّ

---

١ دجلة نهر عظيم في غربي آسيا يخرج من جبال أرمينيا ويلتقي الفرات عند قرية يقال لها القرنة بعد أن يجري ألفا ومئتي كيلومتر تقريباً ويصير معه نهراً واحداً يسمى شط العرب ينصب في خليج العجم بعد أن يجري مئتي كيلومتر . وأصل الفرات من جبال أرمينيا أيضاً غير أنه أبعد من أصل دجلة بنحو خمسمئة كيلو متر ٢ أريق الماء أي سال ٣ سفق وجهه أي لطمه ٤ وافقراه أي أتوجع من الفقر

أحداً ينقبُ[١] الحائطَ ليصِلَ إليهم ويؤذيهم . فرفعوا الأمرَ من فورِهم إلى صاحبِ الشُّرطة ، فأرسَلَ بعضَ الحرَس ، فإذا هم بأبي القاسمِ فأحضَروه . فقالَ له : كيف تستحِلُّ أن تنقُبَ على جيرانِك حائطَهم . فأخَذ يشرَحُ قِصَّتَه ، فلم يلتفتْ إلى كلامِهِ وحبَسَه وغرَّمَه بعضَ المال

• ثم بعدَ أيامٍ خرجَ من السِّجن ومضى وهو حرْدانُ[٢] من الحذاء ، فحملَه إلى مِرحاضِ فُندُقٍ كان بجانبِ بيتِه وألقاه فيه . فسدَّ مجراه ، ففاضَ وتأذَّى الناسُ من رائحتِهِ الكريهة ، فكسَروا المجرى ليبحثوا عن سببِ اختلاله ، فوجدوا فيه حذاءً كبيرا ، فتأمَّلوه ، فإذا هو حذاءُ أبي القاسم . فمضَوا إلى الوالي وأخبروه الخبر . فأمَرَ بإحضارِهِ ووبَّخَه وحبَسَه وقال : يلزَمُك ترميمُ المرحاضِ وغرَّمَه بعضَ المالِ أيضاً ثم خلّى سبيلَه[٣] . فخرجَ أبو القاسمِ والحذاءُ معه ، وقال وهو يكادُ يتَميَّزُ[٤] منه غيظا : واللهِ لن أفارِقَ هذا الحذاءَ ما دمتُ حيًّا . ثم إنه غسَلَه وجعَلَه على

---

١ ينقب يخرق ٢ حردان غضبان ٣ خلى سبيله أي أطلقه ٤ يتميز يتقطع

سَطحِ بيتهِ حتى يجفَّ [١] . فرآه كلب ، فأخـذه بأسنانهِ وأرادَ أن ينتقِلَ به إلى سطحٍ آخر ، فسقطَ منـه على رأسِ رجلٍ فجرَحه فنظرَ الجيرانُ ذلك وبحَثوا عن صاحبِ الحذاء حتى عرَفوا أنه لأبي القاسم . فرفعوا الأمرَ إلى أميرِ المؤمنين فحَكمَ عليـهِ بالعِوَضِ والقيامِ بلوازمِ المجروحِ مدّةَ مرضِه . فنفدَ [٢] عند ذلك جميعُ ما كان له من المال

فأخذَ حـذاءه ومضى به إلى القاضي وقال له : أَطلُبُ إلى مولانا القاضي أن يكتُبَ بيني وبينَ هـذا الحذاءِ مُباراةً [٣] شرعيّةً على أنه ليس مني ولستُ منـه وأنَّ كلاًّ منـا بريءٌ [٤] من الآخَرِ مهما يفعَـلْه لا أؤاخَذ أنا به ، وأخبرَه بجميـع ما جرى له بسببـه . فضحِكَ القاضي وصرَفَه ثم قال لجلسائه : واللهِ إنَّ البخيلَ لَيستعجِلُ الفقرَ الذي منـه هرَبَ ويفوتُه الغِنى الذي إيّاه طلَبَ فيعيشُ في الدنيا عَيشَ الفقراء ويُحـاسَبُ في الآخرةِ حسابَ الأغنياء

---

١ جف يبس أي ذهبت عنه نداوته ٢ نفـد فرغ ٣ مباراة مفارقة ٤ بريء خالي المسؤولية

# الطمع قلما جمع

قالَ ابنُ المَغازليّ [١] : وقفتُ بباب المُعتضِدِ باللهِ [٢] أُضحِكُ خواصَّه . فحضرَ خلفي خادمٌ ، فأخذتُ في نوادرِ الخدَم ، فأُعجِبَ بذلك وانصرَف ، ثم عادَ فأخذ بيدي وقال : مثلتُ بين يدي مولانا فتذكرتُ نوادرَك فلم يُمكِنّي أن أتمالكَ عنِ الضحك ، فأنكرَ عليّ ذلك وقال : مِمَّ تضحكُ ؟ قلت : بالبابِ رجلٌ يُعرَفُ بابنِ المغازليّ يَروي حكاياتٍ تُضحِكُ الثَّكلى، فأمرَ بإحضارِك ، فهلُمَّ ومعلومٌ أنَّ لي نصفَ جائزتك . فرغِبتُ في المال وقلت : ياسيّدي أنا ضعيفٌ فقير فهلاّ تأخذُ سُدسَها أو رُبعَها ؟ فأبى وأدخلَني على شرطِ أنْ يأخذَ النصف .

---

١ ابن المغازلي رجل من ظرفاء أهل بغداد ، كان في نهاية الحذق يقص على الناس أخباراً ونوادر يحسن سبكها بحيث لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه الا أن يضحك

٢ المعتضد بالله هو أبو العباس أحمد بن الموفق . ولد سنة ٢٤٣ ه . كان وافر العقل قوي الارادة مهيب الهيئة ظاهر الجبروت . بويع سنة ٢٧٩ فأخمد نيران الفتن المنتشرة في البلاد وضرب على أيدي الساعين بالفساد ونشر لواء العدل ورفع نير المظالم عن رقاب العباد فأحبه الناس وعاضدوه في مشروعاته وكانت أيامه كثيرة الامن والرخاء ، توفي سنة ٢٨٩

فسلَّمتُ على الامير . فردَّ السلامَ وهو ينظرُ في كتابٍ وإلى جانبِهِ جرابٌ من أديمٍ [١] منفوخ ، فنظرَ في أكثرِ الكتابِ وأنا واقِف، ثم أطبقَه ورفعَ رأسَه إليَّ وقال : أأنت أبنُ المغازليّ ؟ قلت : نعم يا مولاي . فقال : بلغَني أنك تُضحِكُ الناسَ بنوادرَ عجيبة . فقلتُ الحاجةُ تفتقُ الحيلة [٢] ، أجمعُ لهم حكاياتٍ أتقرَّبُ بها إلى قلوبِهم فألتمسُ صِلتَهم . فقال : هاتِ ما عندكَ فإن أضحكتَني أجزتُك بألفِ دينار وإلاّ أمرتُ أن تُصفعَ بهٰذا الجرابِ عشرَ صفَعات [٣] . فقلتُ في نفسي : ملكٌ لا يصفعُ إلاّ بشيءٍ ليّنٍ خفيف

ثم أخذتُ في النوادرِ فلم أدعْ حكايةَ أعرابيٍّ ولا عجميٍّ إلاّ أحضرتُها حتى نفِدتْ جعبةُ [٤] ذاكرتي ولم يبقَ ورائي خادمٌ ولا كاتبٌ إلاّ ماتَ من الضحك ؛ والملكُ عبوسٌ لا يتبسَّمُ . فقلتُ له : واللهِ ما رأيتُ مثلَك قطّ . فقال لي : هيهِ [٥] ممّا عندكَ .

---

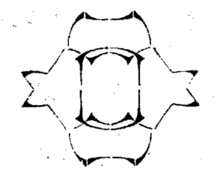
١ أديم جلد ٢ الحاجة تفتق الحيلة ، مثل معناه أن الحاجة تحمل الانسان على اختراع الحيلة ٣ الصفعات وهي جمع صفعة وهي الضرب على القفا ٤ نفدت جعبة ذاكرتي أي فرغ جميع ما عندي من النوادر . والجعبة شيء يتخذ من الجلد أو نحوه ويوضع فيه السهام
٥ هيه كلمة يطلب بها الزيادة من الحديث

فقلت : ما بقيَ عندي سوى نادرةٍ واحدة . فقال هاتِهـا . فقلت : وعـدتَني أن تجعَـلَ جائزتي عشْرَ صفعات . قال : نعم . فقلت : أسألُكَ أن تُضيفَ إليها عشراً أخرى . فأرادَ أن يضحَكَ لـكنه تماسَكَ وقال : نفعَل ، والْتفتَ إلى غلامٍ قائلا : يا غـلامُ أنجِزْ وعدي . فـددتُ ظهري وإذا الجرابُ مملوءٌ حصًى مـدوَّرا ، فصُفِعتُ عشْراً فـكأنما كانتْ تتساقَطَ عليّ قِطعٌ من جبَلٍ حتى كادتْ تنفصِلُ رَقبتي وطنَّتْ أُذناي ، فصِحتُ قائلا : عنـدي نصيحة . فوقَفَ الغلامُ عن الصَّفعِ بعـد أن عزَمَ على العشرين . فقالَ المعتضد : هاتِ نصيحتَك . فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ليس في الدّيانةِ أحسَنُ من الأمانةِ ولا أقبَحُ من الخيـانة ، وقـد ضمِنتُ للخادمِ الذي أدخلَني نصفَ الجائزةِ على قلّتِها وكثرتِهـا وأميرُ المؤمنين بفضلِهِ ضعفَّهَا ، وقدِ أُستوفيتُ حقّي وبقيَ حقّه فجعَلَ يضحَكُ حتى أُستلقى [1] ، وأُستفزَّه [2] ما كان سمِعَه ، فما زالَ يضرِبُ بيديه الأرضَ ويُمسِكُ بمَراقّ [3] بطنِـه حتى إذا

---

١ استلقى وقع على ظهره ٢ استفزه هيجه ٣ المراق جمع مرق وهو ما رق ولان من البطن

سكَنَ قال : عليَّ بالخادم . فأُتيَ به وأمرَ بصفعه فقال : وما جنايتي . قلتُ له الضَّربُ جائزتي وأنت شريكي فيها ، وقد أُستوفيتُ الآنَ نصيبي منها نخذْ نصيبَك . فلما وقعَ عليه الصَّفعُ أقبَلتُ ألومُه على طمَعِهِ وأقول : قلتُ لك إِني ضعيفٌ وشكوتُ إِليكَ الحاجةَ فاُ كتفَ بسدسِها أو رُبعها فأبيتَ إِلاّ نصفها ، ولو علمتُ أنَّ أميرَ المؤمنينَ جائزتُه الصفعُ لوهبتُها لك كلَّها . فعادَ الخليفةُ إِلى الضحكِ من عتابي للخادمِ وكادَ لا ينتهي . وبعدَ أن اُستوفى الخادمُ نَصيبَه من الضربِ أخرجَ الأَميرُ صُرَّةً فيها ألفُ دينار فقسمَها بيننَا وانصرَفت



# الأثر يدل على المؤثر



شبَّتْ في بعض السنين حربٌ غربيَّ أفريقا ١ ذهبتْ فيها حياةُ أُلوفٍ من الناس . واتَّفقَ بعدَ واقعةٍ عظيمةٍ أن خرجَ ناسكٌ ٢ من صومعتِهِ ، فوجدَ أحدَ المُقاتِلينَ طريحاً على الرَّملِ لا حَراكَ به ولا صوت ، فظنَّه ميتاً ، فمالَ إليه وإذا هو حيٌّ تكادُ رُوحُهُ تبلغُ التَّراقيَ ٣ مما أصابَه من الجُروح ، فوضَعَه

١ أفريقا هي احدى القارات الخمس ، يحدها شمالا البحر الابيض المتوسط الذي يفصلها من أوربا ، وشرقا البحر الاحمر وبحر الهند اللذان يفصلانها من آسيا ، وجنوباً وغرباً المحيط الاتلنتيكي . مساحتها ثلاثون مليوناً من الكيلومترات المربعة . وسكانها نحو مئتي مليون نسمة ٢ الناسك هو المنفرد عن الناس للعبادة . والصومعة بيته ٣ تبلغ التراقي أي تشرف على الموت . والتراقي جمع ترقوة وهي اسم لكل من العظمين الأفقيين في أعلى الصدر الممتدين من العنق الى طرف الكتف

علی كاهِلِهِ وحمَلَه إلى صومعتِهِ وأخذَ يُعالِجُه ويقومُ بكِفايتِهِ إلى أن حسُنتْ حالُه

وكان الناسكُ لايزالُ يذكرُ ربَّه ويُسبّحُه مُداوماً على العبادة ، ومن عادةِ ضيفِهِ أنه لايقومُ بشَعائرِ دِينٍ [1] ما . فسألَه الناسكُ ذاتَ يومٍ قائلاً : لِمَ لا أراكَ تعبُدُ اللهَ تعالى ؟ قال : أأعبُدُ من لا وجودَ له ؟ فضاقَ صدرُ الناسكِ عند سَماعِهِ هذا الكلامَ وتنفَّسَ الصُّعَداء [2] وفاضتْ دُموعُه وقال بصوتِ المتألِمِ المتقطِّعِ كبدُه : لقد جئتَ شيئاً نُكراً [3] وارتكبتَ إثماً عظيماً وكفَرتَ بالذي خلقَكَ من تُرابٍ ثمّ سوّاكَ رجلا ، وتركه إلى أن نقِهَ من مرَضِه [4]

ثم أخذَه يوماً إلى القفر [5] ، فرأيا آثارَ أقدامِ سَبُعٍ على صفَحاتِ الرِّمال . فقالَ الناسكُ لصاحبِه : عَلامَ تدُلُّكَ هذه الآثار؟ قال : على وُجودِ وَحشٍ في تلك القِفار . فقال : عجباً لك ! تدلُّك

---

١ شعائر الدين هي الاعمال الظاهرية التي تدل على المعتقدات كالصلاة مثلا ٢ تنفس أي أدخل النفس الى الرئتين وأخرجه منهما ، والصعداء التنفس الطويل من نحو كدر أو تعب ٣ نكراً منكراً أي قبيحاً ٤ نقه من مرضه أي تحسنت صحته ٥ القفر هو الصحراء ويجمع على قفار

هٰذه الآثارُ على وجودِ حيوانٍ ولا يدلُّك نِظامُ هٰذه الدنيا وما فيها من الآياتِ وغَرائبِ المَوجوداتِ على وجودِ إلٰهٍ حكيمٍ خلقَها ودبَّرَ كلَّ ما يُرى وما لا يرى بما لا مزيدَ عليه من الإتقان ، ثم أنشدَ لأبي العَتاهية [١]

فيا عجبا كيفَ يعصي الإلٰـهَ * أم كيفَ يجحدُه الجاحدُ

ولله في كلِّ تحريكةٍ * وفي كلِّ تسكينةٍ شاهِدُ

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ * تدُلُّ على أنه الواحِدُ

فخجلَ الكافِرُ من ذٰلك الكلامِ وأخذَ يُفكِّرُ فيه ، ثم أعترَفَ بالحقِّ وشكرَ الناسكَ على أن هداه سواءَ السَّبيل وٱتَّخذَ لنفسهِ صومعةً بجانبِ صومعتهِ وٱنقطعَ فيها إلى عبادةِ اللهِ حتى بلغَ من العُمرِ مُنتهاه

١ أبو العتاهية هو أبو اسحق اسمعيل بن القاسم الشاعر العباسي المشهور . ينتهي نسبه الى عنزة . ولد سنة ١٣٠ ه بعين التمر بلدة بالحجاز قرب المدينة ، وكان أبوه حجاماً يعيش بكده ، حتى انتقل يوماً بأهله الى الكوفة وهناك نشأ أبو العتاهية وعمل الخزف في شبابه واشتغل بالشعر أيضاً . ولما رأى اقتداره فيه قدم الى بغدد وسكن بها وتفرغ له وامتدح الامراء وأطرفهم بشعره الرقيق المعنى الرشيق اللفظ البعيد عن التكلف القريب المأخذ . برع في جميع أنواع الشعر ولكنه تميز عن النظراء في الزهديات ، وله في المواعظ والحكم والحث على طلب الآخرة ورفض هذه الدنيا ديوان مطبوع كله درر وغرر . كانت وفاته ببغداد سنة ٢١١

## ما تركت في الكرم مطمعا لمستزيد

حدَّثَ الربيعُ[١] قال : مارأيتُ أحداً أثبتَ جناناً[٢] من رجلٍ سُعِيَ بهِ إلى المنصورِ أنَّ عندَه ودائعَ وأموالاً لبني أُميّة[٣] . فأمرَني بإحضارهِ وقال له : قد رُفِعَ إلينا خبرُ الودائعِ والأموالِ التي عندكَ لبني أُمية[٤] ، فهاتها . فقال : يا أميرَ المؤمنينَ أوارثٌ أنت لبني أمية ؟ قال : لا . فقال : أفأنت لهم وصيّ[٥] ؟ قال : لا . فقال : إذاً فما سببُ سؤالِك عما في يدي من ذلك ؟ فأطرقَ المنصورُ ساعةً ثم رفعَ رأسَه وقال للرجل : إنَّ بني أميةَ ظلموا المسلمين في هذه الأموالِ وأنا وكيلُهم في حقّهم فأريدُ أن آخُذَها وأرُدَّها إلى بيتِ المال[٦] . فقالَ الرجل : يا أميرَ المؤمنين يلزَمُ في ذلك إقامةُ البيّنةِ العادلةِ على أنّ الذي في يدي هو

---

١ الربيع هو حاجب المنصور المار ذكره صحيفة ١٣٨ ٢ الجنان القلب ٣ سعي به الى المنصور أي قيل عنه للمنصور أمور غيرته عليه ٤ بنو أمية قبيلة من العرب منسوبة الى أمية بن شمس بن عبد مناف . وفي عبد مناف هذا يجتمع نسب الامويين والعباسيين . ولي بنو أمية على الامة الاسلامية من سنة ٤١ ه الى سنة ١٣٢ ومنها ولي بنو العباس الى سنة ٦٥٦ بالعراق والى سنة ٩٢٣ بمصر ٥ الوصي هو من يولى شرعاً على شؤون قاصر أو محجور عليه ٦ بيت المال هو خزينة الامة كانت تجمع فيها المغانم والتبرعات والمواريث التي لا وارث لها وتنفق فيما يعود نفعه عليها

لبني أميةَ وأنهم اُغتَصَبوه من المسلمين فإِنّ بني أميةَ كان لهم أموالٌ خاصّةٌ بهم

فعادَ المنصورُ وأطرَقَ إلى الأرض ، ثم رفعَ رأسَه وقال لي : يا ربيعُ ما وجَبَ لنا على الرجلِ من شيء [١] . ثم اُلتفَتَ إلى الرجلِ واُبتسَمَ في وجهِهِ وقال : هل لك من حاجةٍ فأقضيَها ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنينَ حاجتي أن تُنفِذَ كتاباً إلى أهلي ليَطمَئنّوا فقد راعَهم إِشخاصي [٢] من عندِهم ، ثم أسألك حاجةً أخرى . فقالَ له : وما هي ؟ قال : أريدُ من كرَمِ أميرِ المؤمنينَ أن يجمعَ بيني وبين مَن نَمَّ عليّ فواللهِ ما عنـدي لبني أميـةَ شيءٌ ولا في يدي مالٌ ولا وديعـةٌ [٣] ولا في معرفتي أنّ لهم عندَ أحدٍ شيئا ، لٰـكني لما مثلتُ بين يديك وسألتَني رأيتُ ماقلتُه أقرَبَ إلى الخلاص . فقال لي المنصور : يا ربيـعُ اُجمَعْ بينَه وبينَ مَن وشى [٤] به . فأحضَرتُ له الواشي . فعندَ ما رآه الرجلُ قال : هٰـذا غلامي اُختلَسَ مني ثلاثةَ آلافِ دينارٍ وأبقَ

---

١ ما وجب لنا على الرجل من شيء أي ليس لنا عليه حق ما ٢ راعهم اشخاصي خوفهم احضاري بشخصي ٣ الوديعة هي ماتضعه عند أحد ليحفظه لك ٤ وشى أي سعى ونم

بها . فلما سمِعَ المنصورُ ذٰلك شدَّدَ على الغلامِ وأمرَ بتعذيبه ، فأقرَّ بصدقِ سيّدِهِ وأنه لم يفترِ [١] عليه ذٰلك إلّا ليُوقِعَه في ورطةٍ يُقتَلُ بها ويسلَمَ هو من يده . فقال : المنصورُ للرجل : نسألُك الصَّفحَ عن غلامِك . فقال : يا أميرَ المؤمنين صحفتُ عن جُرمِهِ [٢] وأبرأتُ ذِمّتَه من المال [٣] . فقال المنصور : ما تركتَ في الكرَمِ مَطمَعاً لمُستزيد . ثم اُستأذَنَ الرجلُ وانصرَف . وكان المنصورُ بعدَ ذلك كلّما ذكرَه تعجَّبَ وقال لي : ما رأيتُ قطُّ مثلَ هٰذا الرجلِ يا ربيع

## هكذا يكون الراعى

حكى أبو الفضلِ العبّاسُ [٤] قال : خرجتُ في ليلةٍ صِرٍّ حالكةِ الجلباب [٥] قاصداً دارَ عُمَرَ بنِ الخطّاب [٦] ، فما وصلتُ إلى

---

١ افترى عليه ذلك أي اخترعه كذباً ٢ الجرم الذنب ٣ أبرأت ذمته من المال أي جعلته بريئا منه ٤ أبو الفضل العباس هو ابن عبد المطلب الهاشمي ، كان سيداً جليلا في قريش وصولا للارحام محسناً الى المحتاجين متوقد الذهن . وكانت اليه عمارة المسجد الحرام في الجاهلية ، وأسلم بعد واقعة بدر . وكانت الصحابة تعظمه وتقدمه وتأخذ برأيه . واليه تعزى الدولة العباسية ، توفي سنة ٣٢ هـ ٥ ليلة صر حالكة الجلباب أي شديدة البرد مظلمة ٦ عمر بن الخطاب هو أبو حفص الفاروق القرشي ثاني الخلفاء الراشدين ، كان تقي

نصفِ الطَّريقِ إلاّ صادفتُ شخصاً بزِيِّ أهلِ الباديةِ أخذ بثوبي وقال ألزمني يا أبا الفضل . فتفرَّستُ فيه فإذا أنا بأميرِ المؤمنين وهو متنكِّر ، فسلَّمتُ عليه بالإمارةِ [١] وقلتُ في نفسي : « إلى أين في هذا الظلامِ والقُرّ [٢] » فتبعتُه حتى أفضى بي إلى ظاهرِ المدينةِ حيثُ خيامٌ مضروبةٌ للأعراب [٣] . فشرَعَ يجولُ بينها ويتأمَّلُها واحدةً فواحدةً إلى أن أشرَفَ على آخرِها

---

الطوية عليّ الهمة قوي الارادة اذا رأى الخير في أمر قصده أو الشر تجنبه . ولد سنة ٥٨٢ م واسترعاه أبوه غنمه أيام صغره ، ثم تعاطى التجارة فسافر لها وقدم الى الشأم غير مرة . ولما ظهر الاسلام سنة ٦١٢ م اضطهده بادئ بدء ، وأخيراً دان به وأعزه وثبت أركانه وبذل في نصرته كل رخيص وغال وناضل عن أصحابه ونافح عنهم منافحة الابطال وأصبح ثقيل الوطأة على المخالفين . ولي الخلافة يوم وفاة أبي بكر بعهد منه سنة ١٣ ه . فأخذ يسوس الناس بالعدل ويجعلهم على الصراط السوي يستعمل الشدة في مواضعها واللين في مواضعه وربما كان الى الشدة أميل منه الى اللين ولكن لم يكن يخرج عن حد الحكمة ، وبذلك تيسر له أن يأتي بالعظائم ومهمات الامور ، ففتح العراق وفارس والشأم ومصر وبنى المدن وحفر الترع وأقام الجسور وأفاض سيل العدل على الرعية وغير ذلك حتى هابه الناس هيبة عظيمة وتعلقوا بأذياله أشد تعلق . ومع هذا بقي هو على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وأكله ونومه وسكنه وبقية شؤونه الشخصية لم يغيره ارتقاؤه في شيء ما سوى أنه ازداد تواضعاً ورغبة في نفع الامة لاعتقاده أنه خلق لها ولم تخلق هي له . مات قتيلاً سنة ٢٣ بخنجر عبد فارسي يقال له أبو لؤلؤة فيروز وعمره ٦٣ سنة ١ سلمت عليه بالامارة أي قلت له السلام عليك يا أمير المؤمنين ٢ القر شدة البرد ٣ الاعراب جمع أعرابي وهو ساكن البادية خاصة

وأوشَكَ أن ينصَرِف ، فرأى خيمةً منفردة ، فقصدَها ، فإذا فيها عَجوزٌ حولَها صبيةٌ يصيحونَ بالبكاءِ وأمامَها أثافيٌّ [١] عليها قِدرٌ تحتَها نارٌ تشتَعِلُ وهي تقول : مهلاً مهلاً يا بَنِيّ . . . قليلاً قليلاً وينضَجُ الطعامُ فتأكُلون . فوقفنا بعيداً وجعلَ عُمَرُ ينظرُ إلى العجوز تارةً وإلى الأولادِ أخرى حتى طالَ بنا الوُقوفُ ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ما الذي يؤخِّرُكَ ؟ سِرْ خوفَ أن تستريبَ بنا العيُون [٢] قال : لا أبرَحُ من هنا قبلَ أطِّلاعي على عقْبي هٰذه القَضيّة

ثم دخلَ وأنا وراءه ، فقال للعجوزِ السلامُ عليكِ يا خالة . فردّتْ عليهِ السلامَ أحسَنَ ردّ . فقال لها : ما بالُ هؤلاءِ الصّبيةِ يتصارَخون ؟ قالتْ : لِمَا هم عليه من الجوع . فقال : لماذا لَم تُطعِميهم مما في القدر ؟ فدنتْ منه وقالتْ له بصوتٍ منخفض لايسمَعُه الأولاد :ليس فيها سِوى عُلالة [٣] ! فقرُبَ عمرُ إلى القدر ، فرأى بها الماءَ يغلي وفي قعرِها حَصباء ، فقال لها :

---

١ الاثافي وهي جمع أثفية وهي الحجر توضع عليه القدر عند الطبخ ٢ تستريب بنا العيون أي يرانا الناس فيتهموننا ٣ العلالة هي مايعلل به

ما المراد بذلك ؟ قالت : أُعَلِّلُهم بهِ حتى إذا ضجروا وتعبتْ عيونُهم ناموا . فقال : ولِمَ هكذا ؟ قالت : أنا امرأةٌ مبتوتةٌ مات زوجي ولا قرابة لي . فقال : هلاّ عرضتِ أمرَكِ على أميرِ المؤمنين فيجعلَ لكِ شيئاً من بيتِ المال . قالت : لا حيّا اللهُ الأميرَ ولا بيّاه . فقال : ولِمَ ذلك يا خالة ؟ قالت : واللهِ إنه ظلمَني ! ... أفليسَ عليهِ أن يُفتّشَ إمّا بنفسهِ وإمّا بثقاتهِ عن احتياجاتِ الرعيّةِ فلعلّه يجدُ فيها مَن هو مثلي عادمُ المالِ وافرُ العِيالِ قد غلبَه حياؤه ومنعَه من التقدّم إلى أميرِه ليُطلعَه على خفيِّ أمره ، فيتقلّبُ على جمرِ الفاقةِ ويتحمّلُ المشاقَّ حتى يموتَ جوعا ، فلا جرَمَ أنَّ موتَه هذا يكونُ في رقبةِ أميرِ المؤمنين إذ تعدّى بإهمالهِ سُنّةَ ربِّ العالمين

فقطعَ كلامُها قلبَ عمرَ وراعه وقال : صدقت يا أمةَ اللهِ ! ... ولكن استمرّي في تعليلِهم إلى أن أعود . فذهبَ وأنا معه إلى بيت الخزينة ، فعمدَ إلى كيسٍ به ما يُنيفُ على مائة رطل من الدقيق ، فقال : يا أبا الفضل حمّلنيهِ واحملْ أنت هذين الوعاءينِ في أحدهما لبنٌ وفي الآخرِ سمنٌ وهيّا بنا إلى العجوز

قبلَ أن تطفأَ نارُها وينامَ أولادُها . فلما بلَغْنا الخيمةَ وكان السُّوَيقُ [١] الخارجُ من خُرَيقاتِ الكيسِ قد عمَّ هامتَه وثيابَه قامَ هو نفسُه بالطبخ . فرأيتُ دُخانَ الحطب يطلعُ من خِلالِ لحيتِهِ إذ كان يُنَكِّسُ [٢] رأسَه ليتمكَّنَ من النفخِ بفيهِ تحتَ القدر . فلما طابت الوليقةُ [٣] صبَّها في إناءٍ وجعَلَ ينفُخُها ليُبَرِّدَها ويُلَقِّمُ الأولادَ واحدًا بعدَ آخرَ حتى اكتفَوا وقاموا يلعَبونَ ويضحَكونَ مع بعضِهم . فتبسَّمَ الأميرُ لِضحكِهم وسُرَّ عظيماً لسُرورِهم . ثم التفتَ إلى العجوزِ وقال : يا خالةُ أنا في دارِ أميرِ المؤمنينَ فأتيني غدًا هناك ويكونُ خيرا . وبعدَ ذلك ودَّعَها وخرَجَ . فقال لي : يا أبا الفضل واللهِ إني حينَ رأيتُ العجوزَ تُعَلِّلُ أولادَها بحصباءَ حسَستُ كأنَّ الجبالَ استقرَّتْ على ظهري

هذا ولما كان الصباحُ حضرتِ العجوز . فعيَّنَ لها راتباً من بيتِ المالِ تستوفيهِ شهراً فشهرا

---

١ السويق هو الدقيق الناعم ٢ ينكس يطأطئ ٣ الوليقة طعام يتخذ من الدقيق واللبن والسمن

## نتيجة الاهمال في المدارس




وُلِدَ إبراهيمُ ويوسُفُ ووديعٌ وخليلٌ[١] في قَرية ، ونشأوا على المحبّةِ والوِفاق . ولما بلغوا السّادسةَ من عُمرِهم أُرسِلوا إلى مدرسةٍ واحدةٍ في مدينةٍ قريبةٍ من القرية ، ولم يزالوا مُواظبينَ باذلينَ أقصى الجهدِ[٢] في تحصيلِ العُلومِ والآداب ، ما عدا خليلاً فإنه تعوّدَ أن يأتيَ المدرسةَ متأخِّرًا عن أوقاتِها ويُهمِلَ واجباتِهِ ولا يحترِمَ العِلمَ وأهلَه حقَّ الاحترامِ غيرَ مُبالٍ بمستقبله

١ هذه الاسماء مخترعة كما لايخفى ٢ أقصى الجهد أي غايته

وأُستمرَّ الجميعُ على ذلك يُودّعونَ عاماً ويستقبلون آخرَ حتى حانَ [١] زمنُ خروجهم إلى ميدانِ العمل ، ففرّقتهم يدُ الدّهرِ وذهبَ كلٌّ إلى صناعةٍ تُلائِمُ [٢] حالَه وتناسبُ أمياله ولَمْ يعُدْ يرى بعضُهم بعضا ، وشغلتْهم شَواغِلُ المعيشةِ حتى أصبحَ كلٌّ واحدٍ لا يسألُ عن صاحبه . ودارَ الفَلَكُ على ذلك دورَتَه [٣] حتى إذا كان بعضُ الأيامِ أتى وديعًا رسولٌ يدعوه إلى عِمارة أحدِ الأمراءِ ليُرَكّبَ شبابيكَها وأبوابَها وما أشبهَ ذلك لكونهِ من أمهرِ نجّاري بلده . فانطلقَ معه ، وفيما هو داخلٌ من البابِ رأى إبرٰهيمَ أحدَ رُفقائه في الصِّغَرِ مع الأميرِ يُتمِّمُ حِسابَ تلك العمارة ، فسلَّمَ عليهِ وهو يتّهمُ ذاكرتَه بالخطإِ ، فردَّ عليه إبرٰهيمُ ردَّ الصّديقِ وعرَفَ كلٌّ أخاه . ثم وقفا يتذاكران في أيامِ الحداثة ، وإنهما لكذلك إذ بصُرا بأخيهما يوسفَ مقبلاً نحوهما ، فأخذَهما الدّهَشُ وكادَ قلبُهما يطيرُ من الفرحِ وتعجّبًا من غريبِ هذا الاتّفاقِ. وبعدَ أنْ دارتْ بينهما

---

١ حان جاء ٢ تلائم تناسب ٣ دار الفلك الخ أي مضى على ذلك زمن طويل تغيرت فيه الاحوال

ألفاظُ التّحيّةِ والاشتياقِ سألاه عن سببِ وُجودِهِ في ذاك المكان فقال : إنّ صاحبَ العمارةِ قد دعاه إلى القيامِ بما يلزَم لها من صنُوفِ الزُّخرُفِ لكونهِ من نقّاشي البلدِ المشهورين . فحمِدَ كلٌّ ربَّه على أنْ رزقَه وأخَويهِ صناعةً رابحة ، ثم أخَذوا يتجاذَبونَ أطرافَ الحديثِ حتى شابَ [١] النهارُ وأقبَلَ الليل ، فدعا إبرٰهيمُ رفيقيهِ إلى العَشاء معه في بيتهِ ليتمتّعوا برؤيةِ بعضهِم ويذكُروا تلك الأيامَ التي مرّتْ عليهم مَرَّ الطّيفِ في المنامِ ويحتفِلوا بغريبِ اجتماعهِم . فلبّيا دَعوتَه ونهَضا معه . وبينما كانوا سائرينَ تحتَ جَناحِ الليلِ إذ هم برَجلٍ قدِ التوَتْ رجلاه بثِقَلِ صُندوقٍ يحمِلُه وهو يُجهدُ نفسَه كي ينهَضَ به ثانية . فلم يكادوا يقترِبونَ منه حتى عرَفوا أنه ذلك الأخُ الرابعُ خليل . فابتدَره إبرٰهيمُ قائلا : عجباً أقدِ انتهتْ بك الحالُ إلى أن صِرتَ حمّالا ؟ قال : نعم . . . فقال : وكيف ترضى بهٰذهِ الحِرفةِ الدّنيئة ؟ قال : يا ليتني أنالُ منها ما يكفيني وحدي ! فقال :

---

[١] شاب النهار أي قرب من الغروب

ولماذا تُقيمُ في حرفةٍ لا تأتيك بلوازمك ؟ قال وعيناه تذرِفانِ دموعاً وقلبُه يتفطرُ على حاله : آهِ يا أخي إنّ للضَّروراتِ أحكاماً . فقالَ له يوسف : وماذا فعلتَ إثرَ خروجك من المدرسة ؟ قال : ماتَ والدي ولم أحسِنِ التصرُّفَ بعدَه فلم يلبَثْ إن فنِيَ ما ورثتُه عنه ، فدخلتُ عندَ نجّارٍ فرنجيٍّ لأتعلَّمَ منه صُنعَ الأشياءِ الدقيقة ، وحيثُ كنتُ مائلاً إلى الكسَلِ ولم أكُ مؤسَّساً في العُلومِ خُصوصاً عِلمَ الرَّسمِ اللاَّزمَ لتلك الصِّناعةِ مكَثتُ مدةً كبيرةً عندَه ولم أتعلَّمْ شيئاً ، فلما تحقَّقَ عدَمَ استعدادي أخرَجَني من محَلّه ، فألفيتُ نفسي صِفرَ اليدَينِ لا عِلمَ عندي ولا صناعةَ ولا مستنَد ، فلم أجدْ بُدًّا من أن أحترِفَ بهذه الحرفة . فقال إبرٰهيم : يسُوءُنا يا أخي أن نراكَ في هذه الحال ! . . . تعالَ نتعشَّ معاً وبعدَ ذلك نبحَثُ عن طريق سَهلٍ يُساعِدُك على معيشتك . ثم استحضَروا حوذيًّا وأعطوه أُجرةً ليُوصِلَ الصُّندوقَ إلى صاحبِهِ وأعلَموه مكانَه وساروا جميعاً إلى دارِ إبرٰهيم

وبعد أن تناولوا العشاء طفق إبرٰهيمُ يقول : حيثُ إننا إخوانُ وأصدقاءُ الحداثةِ يجبُ أن يسعى كلٌّ منا في منفعةِ أخيه قياماً بحقّ الصُّحبةِ القديمة ، والرأيُ عندي أن نبدأ بالنَّظرِ في إصلاحِ شؤونِ أخينا خليل . فقال وديع : لقد أحسنتَ يا إبرٰهيمُ ولٰكنْ منَ الصَّوابِ أن نعلمَ أهو مُستعِدٌّ أن يُقابِلَ مَساعينَا له باجتهادٍ ومثابَرةٍ [١] على العَمَلِ أم إنه يُداوِمُ على حالهِ الأولى حتى نكونَ على بصيرةٍ من مسيرهِ في المستقبلِ وننظُرَ له ما يُوافقُه . فقال خليل : أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُكم أني لن أزالَ رهينَ الاجتهادِ حليفَ الأشغالِ فإنّ تراكُمَ المَصائب قد أدَّبَني كلَّ التأديب . فقال يوسف : إني أعرفُ نجّارًا فرنجيًّا مشهورًا يطلُبُ رجلاً مِثلكَ يُعَلِّمُه صناعتَه كي يُساعِدَه على أشغاله ، فإن أردتَ ذهبتُ بك إليهِ وأوصيتُه بك خيرا ، ثم نُدخِلُك في مدرسةٍ ليليّةٍ لتتعلّمَ ما تستعينُ به على إتقانِ أعمالك

فأخذَ خليلٌ يدأبُ [٢] في الوُصولِ إلى ما وصَلَ إليهِ إخوانُه ، غيرَ أنه كانَ يؤوبُ في بعضِ الأحايين إلى كسَلِهِ السابق

---

١ مثابرة أي مواظبة ٢ يدأب أي يجتهد

شأنُ مَن رسَختْ [١] في نفسهِ عادةٌ قديمةٌ فيُسرعُ إِليهِ إخوانُه بالنُّصحِ والحثِّ على العَمَلِ ويُطالبونَه بوفاءِ وعـدِه . وما زالوا به كذلك حتى انسَلَخَ [٢] من عادتِهِ وأصبحَ صانِعًا ماهِرًا عارفًا كلَّ ما لا بدَّ من معرفتِهِ لحُسنِ المعيشة . ثم أَتَمَّ اللهُ له الخيرَ وأسدَلَ [٣] عليهِ ثوبَ السعادة ، فتزوَّجَ ورُزِقَ أولادا ، فأحسَنَ تربيتَهم وهذَّبَهم بما كان يُلقيهِ عليهم من غريبِ ما اتَّفقَ له أيامَ صِغَرِه وكِبَرِه وصارَ لا تمرُّ عليه فُرصةٌ بدونِ أن يقُصَّ عليهم من سِيرتِهِ ما يقودُهم إلى الاجتهاد ، ويقولُ لهم كلَّ صباحٍ وهم ذاهبون إلى المدرسة : عليكم بتحصيلِ العُلومِ والآدابِ في سِنِّ الحداثةِ وربيعِ الحياة ، وإياكم أن تُضيعوا أوقاتَكم فإنَّ ما يفوتُكم اليومَ تعضّون أناملَ النَّدَمِ عليه غدا ، واعلَموا أنَّ ساعةَ اجتهادٍ في الصِّغَرِ تُغني عن كدِّ سنواتٍ في الكِبَرِ

---

## صدق الوداد

مما يجبُ أن تحفظَه بطونُ الأَوراقِ وتنشُرَه الصُّحُفُ في

---

١ رسخت ثبتت وقويت ٢ انسلخ تجرد ٣ أسدل أرخى

جميعِ الآفاق وتتداوَله الأقوامُ ما تعاقبتِ الأيامِ لِما تضمَّنَه من جَزالةِ المعنى واُشتملَ عليــهِ من رِقّةِ المبنى وحواه من الآدابِ التي تحسُنُ بأولي الألباب ما دارَ بين مَلِكِ الأرْمَنِ[١] تِجرانَ[٢] وقرينتهِ برنيسة الرفيعةِ الشأن ، فإنه يدُلُّ على خالِصِ الودادِ الذي لم يتفَّقْ مثلُه بينَ اُثنَينِ من العِباد

وذلك أنه لمّـا دوَّخ[٣] سِــيروسُ ملكُ الفُرس[٤] مَن جاوَرَه من الشُّعوبِ وجرَّعهم كأسَ الذُّلّ والشَّقاء وألبسَهم رداءَ الفاقةِ والعَناء كان من جمــلةِ هؤلاءِ المنــكودي الحظِّ أُمّةُ الأَرمَن ، حيثُ زحفَ إليهم في جيشٍ عَرَمرَمٍ[٥] وأذاقهم كؤوسَ الدَّمارِ[٦] وألزَمَهم جزيةً[٧] فادِحةً[٨] وأنزلَ ملِكَهم تِجرانَ عن عَرشِــه

١ الأرمن سكان أرمينيا وهي بلاد واسعة كثيرة الجبال في داخل آسيا الغربية . وأمة الارمن من أقدم الأمم التي وجدت بعد الطوفان . ابتدأت على قول مؤرخيها من هايكوس أحد المقدمين على بناء صرح بابل ، أما تسميتهم بالارمن فهي نسبة الى ابن له يقال له أرمناك ٢ تجران هو ملك من ملوك أرمينيا عاش من سنة ٥٦٥ الى سنة ٥٢٠ قبل المسيح . يروى أنه كان مثال العــدل في الرعية ولم يناظره أحد في جميع الصفات الاسريه ٣ دوخ أي قهر وغلب ٤ سيروس هو أبو كمبيز المار ذكره صحيــفة ٦٧ ولد سنة ٥٩٩ قبل المسيح وظهر عليه من صغره نباهة عظيمة لم تفارقه في كبره . استولى على بلاد الفرس سنة ٥٦٠ ولم يغمد سيفه الا يوم وفاته سنة ٥٣٠ وكان قد بسط يد سطوته على أكثر آسيا ٥ العرمرم الكثير ٦ الدمار الهلاك ٧ الجزية هي خراج الارض ٨ فادحة ثقيلة

وساقه أسيراً معَ قرينتهِ إلى عاصمةِ الفرس . ومضتْ على ذلك مدّةٌ عَلِمَ فيها سيروسُ بحكمتهِ ودِقّةِ بحثهِ ما كان عليه تجرانُ من عظيمِ المحبّةِ لزوجتهِ وتمامِ الوفاقِ بينهما . فقال له يوما : ماذا تبذُلُ يا تجرانُ من الفِديةِ عن حليلتِك برنيسةَ إذا خلَّصتُها من الأسر ؟ فأطرَقَ ساعةً ثم قال : أيها الملكُ المعظَّمُ إني لَأجودُ بمملكتي وجسمي ودمي وأراني بعد ذلك مُقَصّرا . فاستَحسَنَ سيروسُ جوابَه واهتزَّ له [1] ولزِمَ السكوتَ هُنَيهَةً ثم قال له : هنيئاً لك أيها الرجلُ الهُمامُ بما أنت عليه من كَرَمِ النفسِ وعُلوّ الهِمّة ، فهكذا يكونُ صِدقُ الوداد وإنك لَأجَلُّ من أن تَمَسَّك وحشةُ الأسرِ وأعرَفُ لقيمةِ الُحبّ الحقيقيّ من أن تُحرَمَ اقتطافَ أثماره . ولم يلبَثْ أن خلّى سبيلَه [2] وبادَرَ بردّهِ إلى مملكتهِ بالهدايا والإكرام ، وأعاد النَّظَرَ في الجزيةِ التي كان قد ضرَبَها على شعبهِ [3] نخفّفَها حتى جعلَها شِبهَ لا شيء

ثم لما تحسَّنتِ الاحوالُ ورجَعتْ مياهُ السِّلمِ والراحةِ إلى

١ اهتز له سر به ٢ خلى سبيله أي فك أسره ٣ ضربها على شعبه أي ألزمهم بدفعها

مجراها قالَ نجرانُ يوماً لامرأته : كيف رأيتِ بلادَ الفرسِ وعظمةَ سيرومن ملكهم وكثرةَ وُزرائهِ وحالةَ الملوكِ المغلوبينَ القائمينَ بخدمتهِ وبهاءَ بلاطهِ [١] الذي تُسحرُ [٢] من حُسنهِ العقولُ وتُفتَنُ [٣] من إتقانِ صُنعهِ العيونُ . قالت : عفواً يا مولاي لم أكُ لأرى شيئاً من جميعِ ما ذكرتَ فإنه لم تُفتَحْ لي عينٌ أُبصِرُ بها غيرَ مَن قدَّمَ حياتَه فديةً عني . فتهلَّلَ وجهُ نجرانَ فرحاً وقال : للهِ درُّكِ زوجةً عزيزةً جديرةً بعواطفي وامتلاكِ قلبي ويا لَسُموِّ سعادتي بحُصولي على مُلكٍ أتمتَّعُ فيه بوُجودِكِ

## المسرة بالخير لفاعله أكثر منها لقابله

خرجَ حاتمٌ [٤] إلى بعضِ القبائلِ في حاجةٍ له . فاجتازَ [٥] بأسيرٍ عندهم يتوقَّعُ الفكاكَ ولو إلى الهلاكِ . فلمّا سَمِعَ

---

١ البلاط قصر الملك ٢ تسحر تسلب ٣ تفتن تعجب ٤ حاتم رجل طائي من أجواد العرب وأحسنهم ذكرا وأبعدهم صيتاً وأخباره في الكرم أكثر من أن تحصى . كانت وفاته قبيل الاسلام ٥ اجتاز أي مر

بمُرورِ حاتمٍ تنفَّسَ تنفُّسَ الرَّجاءِ وأخذَ يصيح : أغِثْني [١] يا أبا سَفّانَةَ [٢] وإلاّ ذهبَ دمي هَدَرا [٣]

فالتفتَ إليه حاتمٌ فأبصرَ حيًّا في صُورةِ ميّتٍ قد أضنَتْه [٤] جُيوشُ الشَّدائدِ والأحزان وهو بعيدٌ عن الأهلِ والخُلاّن [٥] فرثى له وتوجَّهَ إلى سَيِّدِ القومِ وسألَه الإفراجَ [٦] عن الأسيرِ وتعهَّدَ له بالفِداء . فأبى إلاّ أن يتقاضاه أوّلَ بدء . فاستغربَ حاتمٌ إباءَ الرجلِ معَ مِثلِه وأطرقَ مفكِّرًا فيما يُنقِذُ به الأسيرَ ويُخلِّصُه من هٰذا الخطْبِ العسير ، وكأنه وجَّهَ أفكارَه إلى القِتالِ ورُكوبِ حدِّ النِّصال [٧] فدعاه سَخاؤُه المعروف : أدركْ هٰذا الأخيذَ [٨] ولو بالنفسِ وبَدارِ بدارِ قبلَ أن يحِلَّ في الرَّمس [٩] ، فانتصبَ قائلا : هٰأنذا ضامنٌ لأسيرِك وراضٍ أن أكونَ مكانَه إلى أن يأتيَك فداؤه [١٠] ، فإني لا أُحِبُّ أن يُقالَ إنّ حاتمًا بخلَ ولو برُوحه

---

١ أغثني خلصني بتشديد اللام وكسرها مع سكون الصاد ٢ سفانة هي بنت حاتم وبها كان يكنى . كانت مثله في الجود ومكارم الاخلاق . أدركت الاسلام فأسلمت ٣ هدرا باطلا ٤ أضنته أثقلته ٥ الخلان جمع خليل ٦ الافراج عن الاسير هو اطلاقه ٧ النصال جمع نصل وهو السيف ٨ الاخيذ الاسير ٩ بدار الخ أي أسرع قبل نزوله القبر ١٠ الفداء هو ما يعطى من المال عوض المفدي

فراقتِ[1] السَّيدَ مُروءَتُه ولزمَ السكوتَ هُنَيهةً متأمّلاً في مقالهِ داهِشاً من فِعالهِ وانفعالِه . ثم أجابَ : عمرَكَ[2] اللهُ يا أخا طيٍّ[3] ! طالما سمِعتُ بجُودِكَ حتى شاهدتُه عِياناً[4] وكفى بذلك بُرهاناً فإني تحقَّقتُ الآنَ أنك جديرٌ بأن تسترِقَّ[5] رِقابَ الأحرارِ وتملكَ على جميعِ القُرى والأمصارِ إذ لم أجِدْ لك في الدنيا من نظيرِ فاذهبْ بمَن تفتديهِ أيها الأميرِ ، دمتَ جاراً[6] لكلِّ مستجيرِ

فانصرفَ حاتمٌ وبيدهِ مفديُّه حتى إذا وصلَ بهِ إلى بعضِ مفَارقِ[7] الطريقِ قالَ له الْتَحِقْ بقومِك وارجِعْ إلى أمّك كي تقرَّ عينُها ولا تحزَنَ . قال : إنّ جميلَكَ هذا قد أنبتَ في صميمِ قلبي شجرةً لن تزالَ تُثمِرُ الشُّكرَ الطيّبَ أُهديهِ إليك ما دمتُ حيّاً . فأجابه حاتم : دَعِ القولَ فإنّ المَسرّةَ بالخيرِ لفاعلِه أكثرُ منها لقابلِه . ثم ودّعَه ولسانُ حالِه يقول :

إذا مرَّ بي يومٌ ولم أتَّخِذْ يداً * ولم أستَفِدْ فخراً فما ذاكَ من عُمري

---

١ راقت أعجبت ٢ عمرك الله أطال عمرك ٣ يا أخا طيء أي يا أحداً من طيء وهي قبيلة عظيمة من العرب كانت باديء بدء ضاربة في اليمن ثم تفرقت الى غيرها ٤ عيانا أي بعيني ٥ تسترق تستعبد ٦ جارا ناصراً ٧ مفارق جمع مفرق وهو الموضع من الطريق يتشعب منه طريق آخر

# قيصر الرومان



إِتَّهَمَ عظيمٌ من أُسرةِ قَيصَرِ ٤ الرُّومان جُنديّاً ، وحدَّدَ

١ قيصر الرومان ٢ الرجل الذي طلبه القيصر للمحاماه عن الجندي ٣ الجندي يخاطب القيصر ويريه صدره ٤ القيصر لقب كل ملك من ملوك الرومان ، والرومان هم ساكنو مدينة روما التي أسسها رومولوس سنة ٧٥٤ قبل المسيح ولم يزل رجالها يمدون ظل سلطانهم على البلاد حتى كادوا يملكون جميع الارض شرقاً وغرباً براً وبحراً ثم أخذوا في الانحطاط حتى خرج الامر من أيديهم وانقرضت دولتهم سنة ٤٧٦ بعد المسيح ، وهكذا الدنيا تدول وتدال وما زال لكل زمن دول ورجال . ولله أبو البقاء الاندلسي حيث قال :

لكل شيء اذا ما تم نقصان ۞ فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول ۞ من سره زمن ساءته أزمان

والحادثة المروية في المتن منسوبة الى قيصر أغسطس (César Auguste) الذي ولد سنة ٦٣ قبل المسيح واستقل بالملك سنة ٢٧ ومات سنة ١٤ بعده

جلسةً للنظرَ في أمره . فعلِمَ الجنديُّ أوّلَ وهلةٍ [١] أنْ لا سامِعَ لكلامهِ إن لم تُساعِدْه على خَصمهِ يدٌ أقوى من يده . فقصدَ القيصرَ وسألَه أن يُدافِعَ عنه بنفسه . فاستقبلَه القيصرُ بالرَّحبِ والسَّعةِ واستمعَ لكلامهِ ، وإذ رآه صِدقاً [٢] طلبَ رجلاً من خَواصِّه ووكَلَه بالمحاماةِ عن الجنديّ وأن يبذُلَ الجهدَ الجهيدَ في تبرئةِ ساحتِه . فغضِبَ الجنديُّ من القيصرِ وقال له . يا شيء [٣] ! مالي أرى مولايَ يَكِلُ أمري إلى غيرهِ ويستنكِفُ من أن يتولّاه هو بنفسه ؟ أوَكَلتُ أنا أمرَهُ إلى غيري يومَ كذا حيثُ كنتُ أقيهِ بجسمي وسِهامُ أعدائه تُصيبُني ورماحُهم تطعنُني ؟ وكشفَ عن صدرِه المملوءِ من آثارِ السّهامِ والرِّماحِ وقالَ انظرْ إلى هذا الصدرِ يُجِبْك قلبُك عمن أنا ويُذكِّرْك بما لي عليك الآن ! فوقعَ ذلك لدى القيصرِ موقِعَ العجَبِ والاستحسانِ وأخذَ على نفسهِ [٤] أن يكونَ محامياً عنه

---

١ أول وهلة أي أول شيء ٢ الضمير في رآه يرجع الى الجندي ان جعل صدقاً بمعنى صادقاً ويرجع الى كلامه ان أريد بصدقا ضد الكذب ٣ يا شيء كلمة يتعجب بها ومعناها يا عجبي ٤ أخذ على نفسه تعهد

ولما كان يومُ الجلسةِ دخلَ القيصرُ وأبى إلاّ أن يقفَ بَدله موقفَ الخصم ، واُندفعَ في الكلام اُندفاعَ السَّيل مُفنِّدًا[١] دعاوي خصمِهِ واحدةً واحدة ، وما كادَ ينتهي إلاّ حكمتِ المحكمةُ بلسانِ العدل للجنديّ وألزمتْ خصمَه بالتَّعويضِ وجميعِ النَّفقات . فصفَّقَ الجُمهورُ قائلين : يعيشُ القيصر !

---

### واللهِ لقد أحسنتَ

قَدِمَ المؤمّلُ[٢] إلى المَهديّ وهو يومَ ذاك وليُّ العهدِ مقيمٌ بالرَّيّ[٣] . فاُمتدحَه بقصيدةٍ اُستحسَنَها وخفَّتْ على قلبه ، فأمَرَ له بألفِ دينارٍ أحالَها إلى أبيه وكتبَ بذلك إليه يسألُه أن يدفعَها له . وكان المنصورُ بمدينةِ السلام[٤] فطلبَ الشاعرَ وأجلسَ قائدًا من قوّادِهِ على طريق الرّيّ وألزمَه أن يتصفَّحَ[٥]

---

١ مفندا أي مخطئا بتشديد الطاء ٢ المؤمل هو ابن أميل المحاربي . كان من مخضرمي شعراء الدولتين الاموية والعباسية وانقطع الى المهدي في حياة أبيه وبعدها . له شعر سهل سلس ودرجته فيه وسطى ولم يعلم تاريخ ولادته ولا وفاته ٣ الري مدينة في بلاد الفرس على خمسة كيلومترات من طهران ٤ مدينة السلام هي بغداد ٥ يتصفح الناس أي ينظر في خلالهم ليتعرف أمرهم

الناسَ الداخلينَ المدينـة . فجعلَ لا تمرُّ به سيّارةٌ [١] إلاّ تصفّحَها ، إلى أنِ اجتازتْ سيارةٌ فيهـا المؤمل ، فقبَضَ عليه فرحاً وجاءَ به إلى المنصور . فلما رآه قال : أأنت المؤملُ الشاعر ؟ قال : نعم . فقال : أنشِدنا ما قلتَ في المهديّ لننظُرَ ما تستَحِقُّ عليه . فأنشَدَه :

هو المهـديُّ إلّا أنّ فيـهِ * تشابُهَ صورةِ القمرِ المنـيرِ
تشابَهَ ذا وذا فهمـا إذا ما * أنارا يُشكِلانِ على البصيرِ [٢]
فهذا في الظلامِ سِراجُ ليلٍ * وهذا في النهارِ ضياءُ نورِ [٣]
ولـكنْ فضّلَ الرحمنُ هذا * على ذا بالمنـابرِ والسريرِ [٤]
وبالمَلِكِ العزيزِ فـذا أميرٌ * وما ذا بالأميرِ ولا الوزيرِ
ونَقصُ الشهرِ يُخمِدُ ذا وهذا * منيرٌ عنـد نُقصانِ الشُّهورِ
فيا ابنَ خليفةِ اللهِ المصفّى * بهِ تعـلو مُفاخَرَةُ الفَخورِ
لقد سَبَقَ الملوكَ أبوكَ حتى * بقوا ما بين كابٍ أو حسيرِ [٥]

---

١ السيارة القافلة ٢ يشكلان على البصير أي ان الناظر الى المهدي والى القمر لايمكنه أن يميز ذا من ذاك لشدة المشابهة بينهما ٣ فهذا أي القمر وهذا أي المهدي ٤ هذا أي المهدي أيضا وذا أي القمر ٥ الكابي اسم فاعـل من كبا يكبو بمعنى انكب على وجهه ، والحسير هو من تعب من المسير وقعد عنه

وجئتَ مُصَلّياً تجري حثيثاً * وما لك حينَ تجري من فتورِ[1]
فإن سبقَ الكبيرُ فأهلُ سبقٍ * لهُ فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإن بلغَ الصغيرُ مدى كبيرٍ * فقد خلِقَ الصغيرُ من الكبيرِ

فقال له المنصور : والله لقد أحسنت ! . . . ولكن هذا لا يُساوي الفَ دينار . . . فأمرتُ لك بمائة . ثم دارتِ الأيامُ ووليَ المهديُّ الخلافة . فدخلَ عليهِ المؤملُ وتمذاك وأخبرَه بقصّةِ القصيدة . فظهرَ على المهديِّ عدمُ الرضا بما جرى وفي الحال أمرَ له بألفِ الدّينارِ وناوَله إيّاها بيده

## الا صوت يباع فأشتريه

كان أبو محمّدٍ الحسَنُ المُهلّبيُّ[2] قبلَ أتّصالهِ بالأمير مُعزّ الدَّولةِ[3] سيّئَ الحالِ لا يملكُ في كثيرٍ من الأحايين ما لا بدَّ منهُ لقِوامِ الحياة . فسافرَ إذ ذاك وأفقعَ[4] في سفرهِ حتى كادَ

---

١ مصليا تاليا أي لاحقا . وحثيثا سريعا ، والفتور التقصير ٢ كان ذلك الرجل أديبا علي الهمة . حظي عند معز الدولة فاتخذه في خدمته وقدمه . كانت وفاته سنة ٣٥٢ هـ
٣ معز الدولة هو أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي دخل الجندية وانتقل في مراتبها حتى صار أمير أمراء لجيوش الخلفاء . مات ببغداد سنة ٣٥٥ هـ ٤ أفقع أي ساءت حاله

يوماً يموتُ جوعاً لقِلَّةِ ذاتِ اليد . فاستظلَّ بشجرةٍ تحتها رجلٌ واشتهى الموتَ وأنشد :

ألا موتٌ يباعُ فأشتريهِ * فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ
ألا موتٌ لذيذُ الطَّعمِ يأتي * يُخلِّصُني من الحالِ الكريهِ
إذا أبصرتُ قبراً من بعيدٍ * وددتُ لوَ انَّني ممَّن يليهِ

فرقَّ الرجلُ لحالِهِ وأعطاه ديناراً في سبيل الله . ثم افتقرَ ذاك الرجلُ وأدقعَ [١] ، فبلغَهُ ما صار إليه المهلبيُّ من الحظوةِ لدى معزِّ الدولة . فقصدَه وكتبَ له هذين البيتين :

ألا قلْ للوزيرِ فدتْه نفسي * مقالَ مُذَكِّرٍ ما قد نسيهِ
أتذكرُ إذ تقولُ لسوءِ حالٍ : * ألا موتٌ يُباعُ فأشتريهِ

فلما وقفَ أبو محمدٍ على البيتين تذكَّر الرجل ، فبعثَ إليه سبعمائة دينارٍ مع رُقعةٍ كتبَ فيها : « مثَلُ الذين يُنفقونَ أموالَهم في سبيلِ اللهِ كمثَلِ حبَّةٍ أنبتتْ سبعَ سنابلَ في كلِّ سُنبُلةٍ مائة حبة [٢] » وطلبَه إليه وأكرمَه . ثم سعى له فأدخلَه في عملٍ يليق به

---

١ أدقع أي اشتد فقره ٢ مثل الذين الخ آية قرآنية من سورة البقرة ولا يخفى ما فيها من جزالة المعنى وحسن المناسبة في جواب أبي محمد للرجل

## قتلت أمك

ماتَ رجلٌ صالحٌ عن ولَدٍ وحيدٍ وقد أوصى به إلى أمّهِ [١] وأمَرَها بحُسن تربيته. فقامت الأمُّ بما عليها حقَّ القيام: تقيه قُرَّ الشتاءِ وحَرَّ الصيف، وتحرُسُه من خطَراتِ النَّسيمِ أن تُصيبَه ومن الألسُن أن تَعيبه، وكان لا يطلبُ شيئاً ينفعُه إلّا أتتْه به. فنشأَ الولدُ في بيت أمّهِ كالشِّبلِ في عَرينه. حتى إذا بلَغَ أشُدَّه وكسا رَونَقُ الشَّبابِ وجهَه وقد أخذَ من كلّ علمٍ أحسنَه رغِبَ في عِشرةِ الأُدَباءِ والحُكَماءِ كي يستكمِلَ معارفَه ويُقوّمَ أخلاقَه. فحثَّته على ذلك أُمُّه. ثم نزَعتْ [٢] إلى اللَّهوِ نفسُه، فلم تمنَعْه... إلاّ أنها ما فتِئتْ [٣] تُراقبُه وتُرشِدُه إلى ما ينبغي وتُبعِدُه عما لا ينبغي. كلُّ ذلك والولدُ مؤتَمِرٌ بأمرها مُهتَدٍ بهَديِها لا ينكُبُ [٤] عن طريقِها قَيدَ أصبَعٍ [٥]، حتى حسِبتْه قد بلَغَ من

---

١ أوصى به الى أمه أي جعلها وصية عليه ٢ نزعت مالت ٣ مافتئت ما زالت
٤ ينكب يخرج ٥ قيد مقدار

الكمالِ مبلغًا يعصِمُه [١] من جميعِ المؤثِّراتِ الرَّديّة . فألقتْ حبَلَه على غارِبِهِ [٢] كي يمرَحَ على حسَبِ إرادتِهِ في رِياضِ الحُرِّيّة

فأصبَحَ يخرُجُ من البيتِ بلا إذنٍ ويذهَبُ إلى حيثُ شاء ويُخالِطُ مَن يشاء . فما كان من تلك الحُرِّيّةِ السابقةِ لأوانِها إلّا أن عوَّجتْ من أمرِهِ ما استقام وغلَّظتْ من طِباعِهِ ما رَقّ ، فانه تعرَّفَ بإخوانِ سوءٍ أشرَبوه حُبَّ الفسادِ [٣] من حيثُ لا يدري فمالَ إليهم وأعرَضَ عن واجباته ، وصار لا يهنأُ له بالٌ إلّا وهو معهم . فما لبِثت الأمُّ أن شعَرتْ بذلك الانقلابِ السريع ، فأنذَرتْه بعُقبى خُطّتِهِ [٤] وطلَبتْ إليه الرُّجوعَ إلى الصّواب . فاصاخَ [٥] لها باديَ بَدءٍ ووعدَها بالامتِثال ، ولكنَّه لم يفعَلْ [٦] إلّا قليلا

فجعَلتْ تُعيدُ عليه الكَرَّةَ كلّما حادَ [٧] ولم تألُ [٨] جهداً في إصلاحه . بيد [٩] أنه كان قد ماتتْ فيه العواطِفُ الشَّريفة

---

١ يعصمه يحفظه ٢ ألقت حبله على غاربه أي أعطته الحرية في ذهابه وايابه ولم تعد تراقبه ٣ أشربوه حب الفساد أي أدخلوه على قلبه ٤ الخطة الأمر والطريق ٥ أصاخ استمع ٦ لم يفعل أي لم يمتثل وهذا المعنى متصيد من سياق الكلام ٧ حاد أي خرج عن الصواب ولم يذكر هذا الجار والمجرور للعلم به ٨ تأل تترك وهو من ألا يألو ٩ بيد أنه غير أنه

وصبتْ [١] نفسُه إلى المطامعِ السَّخيفة ، فلم يعدْ يُعيرُها [٢] مسمعاً صاغيا ولا قلباً واعيا . وكان خليقا بقول القائل :

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا * ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادي [٣]

وفي ذاتِ يومٍ رجعَ إلى بيتهِ وقد تأخَّرَ معَ الأصحابِ في مساقطِ الآداب [٤] ، فوجدَ أمَّه في انتظارهِ وقد أطلقتْ لفؤادِها عِنانَ التأوُّهِ والحَسَرات وفتحتْ لعينِها عيونَ العَبَرات . فأنحى عليها [٥] باللائمة [٦] لاهتمامِها به وهو شابٌّ قد ناهزَ العِشرين . وإذ رآها لا تؤامِنُ [٧] لأفكارهِ تطاوَلَ عليها بالبَذاءةِ والغِلظة [٨] وهي تُجاوبُه بكلامٍ رقيقٍ أكثَرُ ما يُسمعُ منه قولُها :

بُنيَّ . . . أي بُنيَّ . . . قتلتَ أمَّك . . . قضيتَ عليها . . .

---

١ صبت مالت ٢ يعيرها يعطيها ٣ لقد أسمعت الخ من كلام أبي العلاء المعري ، وهو أحمد بن عبد الله التنوخي المعري الشاعر المشهور . ولد سنة ٣٦٣ ﻫ وظهر عليه من صغره ميل عظيم الى الشعر فقاله وهو ابن احدى عشرة سنة وبرع فيه وفي جميع علوم معاصريه . ألف في فنون كثيرة وعمي من الجدري سنة ٣٦٧ ثم لزم منزله بالمعرة من سنة ٤٠١ فسار اليه الطلبة من الآفاق وكاتبه العلماء وأهل الاقدار . كانت وفاته بمنزله سنة ٤٤٩ — ٤ مساقط الآداب هي المواضع التي تفسد فيها الاخلاق كمحالّ السكر ومجالس اخوان السوء ٥ أنحى أقبل ٦ اللائمة اللوم ٧ تؤامن تخضع وتنقاد ٨ البذاءة هي القباحة في الكلام ، والغلظة القسوة

ثم عِيلَ [١] صبرُها واسودّتِ الدُّنيا في عينِها فهوتْ إلى الأرضِ مُغمىً عليها قائلة : هـٰذا ما جنيتَ [٢] يا بُنَيّ ... فتبِعَ ذٰلك سكوتٌ طويلٌ كان ملاكُ الموت [٣] يُرفرِفُ عليها في أثنائه ، حتى إذا أفاقتْ من إغمائها أجالتْ [٤] نظرَها فيما حولَها آسِفةً كأنّ في نفسِها حاجةً لم تقضِها أو تُفتّشُ عن الملاكِ كي تسألَه عما عدَلَ به فلمْ يُعجِّلْ بروحِها إلى عالمِ الأرواح [٥] ، فرأتِ ابنَها بجانبِها خجِلاً باهتا ، فاستفزّتْها الشفقةُ وأخذتْ تُعاتِبُه بكلماتٍ يذوبُ لرقّتِها الصّخرُ الأصمُّ ويجمُدُ لشدّتِها الماءُ السَّلسَل [٦]

قالت : لِمَ يا بُنَيّ تحزِنُ أُمَّك ؟ ... أتُحاوِلُ أن تُجهِزَ عليها بيدِك وتدفِنَها في يومِك قبلَ غدِك ؟ ... أم ليس لها قيمةٌ في عينِك وتُريدُ أن تُفرِّطَ فيها كأنها من سقَطِ المتاع ؟ ... أتذكُرُ إذ كنتَ صغيراً لا تستطيعُ أن تجلِبَ لنفسِك خيراً ولا تدفعَ ضيراً ... فمَن كان يقومُ بجميعِ لوازمِك حينذاك ؟ ... أما كنتُ أنا غِذاءَك ولسانَك ويدَك وقدمَك ؟ ... كم ليلةٍ أحييتُها بجانبِك

---

١ عيل ضعف وفرغ ٢ جنيت أذنبت ٣ ملك الموت هو عزرائيل ٤ أجالت أدارت
٥ عالم الارواح هو الآخرة ٦ الماء السلسل هو السائل العذب

أخافُ عليك أدنى العناء ولا يأخُذُني نومٌ إلّا وأنتَ على سريرِ الراحةِ والهناء. ولمّا درجتَ وترعرتَ وراهقتَ وبقلتَ [١] ألَمْ أكُنْ عضُدَكَ وعونَكَ ومُرشدَكَ؟... فلأيٍّ من نِعَمي [٢] عليك تُسيءُ إليّ؟... ألِاهتمامي بك وشدّةِ حُنوّي عليك؟... نعم ذلك هو الذي تُنكِرُه عليّ اليوم، ولكنّك أنكرتَ مستحيلاً يا بُنيّ، إذ كيفَ أكونُ أمّاً ولا أهتمُّ بولدي؟ ولا أحنو عليه؟ ولا أجودُ بمُهجتي [٣] في سبيله؟.. إنْ كان ظُلمُك لي ناشئاً من حبّي لك فاعمِدْ إلى مُديةٍ [٤] وأنفِذْها في قلبٍ طالما تمنّى أن يعيشَ بحُبّك ويتمتّعَ بقُربك!... ها أنذا سئِمتُ الحياةَ فاصرِمْ عُمري بيدِك علّك تطيبُ نفساً بفعلِك!... وإن لم تفعلْ [٥] فطيِّبْ أيامي وأقِمْ أوَدَكَ بفعلِ الحسنات والتخلّي عن خِصالٍ كلُّها سيّئاتٌ في سيّئات... وهنا أمطرت [٦] الأمُّ دمعتَينِ من عينيها بلّلت بهما خدّيها وزفرتْ زفرةً كادتْ

---

١ درجت أي ابتدأت تمشي، وترعرعت أي بلغت عشر سنين، وراهقت أي بلغت اثنتي عشرة سنة، وبقلت أي ظهر شاربك ٢ لأيٍّ من نعمي أي: لاي نعمة من نعمي، فحذف المضاف اليه لفظا مع ملاحظته في المعنى ٣ بمهجتي بروحي ٤ المدية السكينة العظيمة ٥ وان لم تفعل أي ان لم تصرم عمري ٦ أمطرت دمعت

تقطعُ نِياطَ قلبِها . فوقعَ ذلكَ في نفسِ الولدِ أشدَّ وَقعٍ وظهرتْ علاماتُ النّدَمِ على مُحيّاه وامتلأتْ من العَبَراتِ عيناه وهمَّ بالاستغفار[1] . فدُهشتِ الأمُّ من إبائهِ ، وأنشدتْ بلسانٍ رَطبٍ وصوتٍ عَذبٍ أبياتاً تسترِقُّ[2] السَّمعَ ويستلذُّها الفؤاد ، قالت :

غذَوتُكَ مولودًا وعُلْتُكَ يافعاً * تُقاتُ بما أحنو عليك وتنهلُ[3]

إذا ليلةً قد علَّ جسمُكَ بتُّها * لسُقمِكَ من حرِّ الجوى أتَململُ[4]

كأنّي أنا المُضناةُ دونكَ بالذي * بُليتَ به دوني فعيني تهمُلُ[5]

تخافُ الأذى نفسي عليك وإنني * أوالي عليك العطفَ بالخيرِ يافُلُ[6]

فلما بلغتَ الشَّرخَ والغايةَ التي * اليها مدى ما كنتُ فيهِ أؤمّلُ[7]

جعلتَ جزائي غِلظةً وبذاءةً * كأنّكَ أنتَ المُنعِمُ المُتفضّلُ

فليتكَ اذْ لمْ ترعَ حقَّ أُمومتي * فعلتَ كما الجارُ المُوافِقُ يفعلُ

فلم يتمالكْ أن خرَّ على قدمَيها واستغفرَها من جميعِ ما اقترفَهُ في حقّها وآلى على نفسِهِ أن يسلُكَ سواءَ السبيل

---

١ هم بالاستغفار أي تهيأ له ولم يفعل ٢ تسترق تجذب ٣ علتك يافعا أي قمت بلوازمك وأنت قريب من سن البلوغ ، وتنهل تشرب ٤ عل أي مرض ، والجوى الحرقة القلبية من شدة الحزن أو نحوه ، وأتململ أتقلب ٥ المضناة المصابة ، وتهمل أي تفيض دموعا دائما وأنا ساكتة ٦ يا فل أي يا فلان ٧ الشرخ أول الشباب

ولا يُرِيهَا بعدَ ذلك إلاّ كل فعلٍ جميل ، وأنشَد :

لو كلُّ جارحةٍ مني لها لغةٌ * تُثني عليكِ بما أوليتِ من نعَمِ

لم تقضِ معشارَ أدناها وإن شكَرتْ * إلى القيامةِ ذاتَ الفضلِ والهِمَمِ [١]

لقد أمرتِ بخيرٍ فأتَمَرتُ به * وملتُ عن خُطّتي في الفعلِ والكَلِمِ [٢]

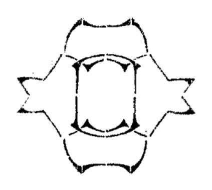
فاستغفري اللهَ لي ثم اصفحي كرَماً * عني فأنتِ مِثالُ العفوِ والكَرَمِ

ثم أقلعَ عما كان حتى أمسى أكملَ إنسان

---

١ المعشار العشر بضم أوله وسكون ثانيه ، وذات الفضل أي يا صاحبة الفضل

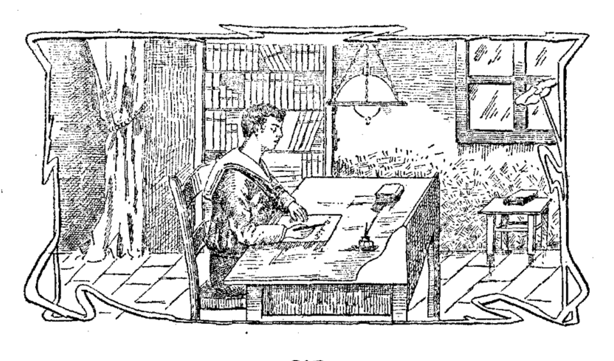
٢ ائتمرت أطعت أمرك



# الباب الثالث

## في المراسلات

### رسالة من ولد إلى أبيه يخبره بدخوله المدرسة



إلى جنابِ الوالدِ المُحترَم

غِبَّ إبداءِ ما يُكِنُّه [١] فؤادي من احترامِك وإهداءِ ما يجبُ لمقامِك أُعلِمُك أني وصلتُ إلى محطّةِ [٢] القاهرةِ [٣] الساعةَ

---

١ يكنه يضمره ٢ المحطه هي الموضع الذي يركب وينزل فيه المسافرون ٣ القاهرة عاصمة البلاد المصرية على الضفة اليمنى لنهر النيل لدى سفح جبل المقطم ، اختطها جوهر الصقلي القائد لجيوش المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين سنة ٣٥٩ هـ وسماها بالقاهرة

الأُولى بعـدَ الظُّهرِ، فتلقَّاني وكيلُنا لِقاءً حسَنًا وذهَبَ بي إلى بيتِهِ العامرِ، فأكرمَني إكراماً نسيتُ به غُربتي. ثم خرَجنا عندَ الأصيلِ [١] وأراني المدينة. فإذا هي تُدهِشُ الناظرَ لِما بها من المباني الشاهِقة [٢] والأسواقِ النافِقة [٣] والشَّوارعِ الفيحاء [٤] والحدائقِ الغَنّاء، إلى غير ذلك من المَشاهِدِ والمحاسنِ التي لم تخطُرْ على بال

وفي صباحِ الغدِ توجَّهَ بي إلى المدرسةِ وقابَلَ صاحِبَها وسألَه أن يشمَلَني بعِنايتِـهِ وانصرَف. وعلى إثرِ الامتحانِ أُلحِقتُ بالفصل الفلانيّ، فمكثتُ بضعـةَ أيّامٍ مُستَوحِشاً ولكنّي لم ألبَثْ أن أنِستُ بأهلِها وشُغِفتُ بعُلومِها وآدابِهـا حتى أصبحتُ الآنَ وأنا من الراحةِ بحالةٍ أتمَنّي مِثلَها لجميعِ الأُسرة

هذا وأُقدِّمُ لسيّدتي الوالدةِ وافِرَ احتِرامي وأطيَبَ سلامي وأُقبِّلُ وجَناتِ إخوتي وأخواتي أجمَعين وأدعو اللهَ أن يُديمَ عليهم حُلَلَ عِزِّكَ وصفائِكَ آمين ابنك فلان

تفاؤلا بما سيصير اليه أمرها من المجد، وهي في أيامنا عظيمة جدا تفاخر عواصم أوربا وتدعوهن الى مباراتها. يقارب عدد سكانها ٩٠٠ الف نسمـة ١ الاصيل هو وقت ما بين نحو الساعة الثالثة بعد الظهر الى غروب الشمس ٢ الشاهقة العالية ٣ النافقة الرائجة بضاعتها ٤ الفيحاء الواسعة

الجواب — قُرَّةَ ناظري وقبلةَ خاطري

شَوقي أنا والأُسرة أمرٌ لا يخفى على فِطنتِك . ولقد تناوَلتُ رسالتَك المؤرَّخة في كذا وتلوتُها مسروراً بما حوتْه منَ الأخبارِ المُفرِحةِ ، ثم سلّمتُها إلى أُمّك وتداوَلَها إخوتُك وأخَواتُك . فاستَبشَروا بها وتحدَّثوا طويلاً عنها وكلُّهم يدعون لك بالخيرِ والنَّجاحِ ويحُثّونك على مُواصَلةِ الاِجتهادِ لتَرقى في العُلوم والآدابِ فإنهما الغرض الوحيدُ الذي من أجلهِ أرسلتُك إلى المدرسة

وقد عهدتُ إلى حضرةِ الوكيل[1] أن يزورَك آونةً بعدَ أخرى ويُعطيَك ما تحتاجُ إليه . هذا وأَقرأُ السلامَ[2] على جنابِ رئيسِك وأساتذتِك راجياً أن يقبلوا تَشكُّراتي الخالِصةَ على ما يبذُلونه نحوكَ من حُسنِ الرِّعاية ، وأُوَصّيك بمُوالاةِ رَسائِلك لنطمئنَّ من جِهتِك ونطَّلِعَ على حقيقةِ أمرِك . دامت أيامُك زاهرة ومسرّاتُك وافرة والدك فلان

١ عهدت الى حضرة الوكيل أي وصيته ٢ أقرأ السلام أي أتلو سلامي

من ٱبنة إلى أمها بعد وصولها إلى المدرسة

سَيّدتي الوالدة

تحيَّةٌ طيّبةٌ من ٱبنتك . وبعدُ فأُخبرُكِ أنَّ قلبي لم يغِبْ عنكِ بغيابي فإنكِ لم تزالي حديثي ووُجهةَ أفكاري ، ولم أصِلْ إلى المدرسةِ حتى ضاقَ صدري وأظلمتِ الدنيا في عيني وخُيِّلَ إليَّ أني لن أعودَ آنَسُ بمشاهدتك

ففطِنتْ لحالي المعلّماتُ فلاطفْنَني ووجّهنَ إليَّ فوائِدَ العُلومِ والآدابِ وعرّفنَني أنّ البنتَ لا تكمُلُ تربيتُها بدونِهما . فتذكرتُ أنه ما كان ينبغي أن تراني والدتي إلّا ٱبنةً كاملةً تسُرُّ الناظرين . فكان لي في هذا وذاكَ جميلُ العزاءِ والسّلوان . فنهضتْ بي هِمّتي من وهدةِ الجَزَعِ [١] والأحزان وأنبسَطَ قلبي بعدَ الإنقباض فسِرتُ والحمدُ للهِ شوطاً بعيداً في ميدان التعليمِ والتهذيب ، ولم يُعوزْني سوى أدعيتِكِ الصالحةِ حتى تُقرَنَ مسعاتي بالنجاحِ وأكونَ جديرةً للقائِكِ نسألُ اللهُ في بقائك [٢]

ابنتك فلانة

---

١ الجزع قلة الصبر ٢ نسأ الله في بقائك أي أطال عمرك

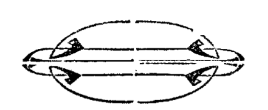
الجواب — عزيزتي

قدِ اتصلتْ بنا رسالتُكِ المؤرَّخةُ في كذا ، وبها اطمأن قلبُنا بعض الاطمئنان فإنّ فراقَكِ كان حوَّلَ فرحَنا ترحاً وهناءنا عناءً وجعلَنا نقضي أكثرَ الأوقاتِ أسفين على بعادكِ شغلين[١] من جهتِكِ ولا سيّما أنا والدتَكِ فإني مكثتُ مليًّا[٢] أسكبُ الدموع الغزارَ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار[٣] وأقصُّ على كلّ مَن زارَني ما ألَمَّ بي[٤] من شدّةِ اللّوعة[٥] ومرارةِ الوَحشة بغيبتِكِ

ولم نزل هكذا حتى وردتْ علينا رسالتُكِ تصفُ ما صرتِ اليه من جميلِ الصبرِ والانكبابِ على أشغالكِ المدرسيَّة . فحمدنا اللهَ تعالى وسألناه أن يُديمَ عليكِ حُلَّةَ العافية ويرزُقَكِ حسنَ الثَّبات ويُبلِغَكِ مقصودَكِ في أقربِ الأوقات ويحفظَكِ لجميعِ مُحِبّيكِ ولوالدتِك فلانة

---

١ شغلين مشغولين ٢ مليا طويلا ٣ آناء الليل ساعاته ، وأطراف النهار أجزاؤه
٤ ألم بنا أي أصابنا ٥ اللوعة هي حرقة الحزن أو نحوه



من ولد إلى عمه يخبره عن أحواله في المدرسة

عمي الأمجد

وبعدُ فأرفعُ اليك تفاصيلَ ترتاحُ اليها وينشرِحُ صدرُكَ بالاطّلاعِ عليها ، وهي أنه قد أجرى حضراتُ المفتّشينَ امتحاناتٍ على الطلّابِ في الموادّ التي تلقّوها مدّةَ ثلاثةِ الأشهرِ الماضية ، ثم في مساء هذا اليومِ اجتمعَ في غرفةٍ واسعةٍ تلاميذُ جميعِ الفصولِ ودخلَ مديرُ المدرسةِ والمفتّشونَ والأساتذة ، ولما أنِ استقرَّ بهمُ المجلسُ نهضَ المديرُ قائمًا وألقى علينا خطبةً حسنةً في فوائدِ العلومِ ووجوبِ الاجتهادِ معَ تقوى اللهِ والاتّكالِ عليهِ في تسهيلِ الصّعاب ، ثم أعلنَ كلَّ تلميذٍ بدرجتِهِ المستحقّةِ له في فصلهِ بنتيجةِ امتحاناتهِ مبتدئًا بأفضلِ تلميذٍ وأوّلِ فصلٍ فنازلا ، والتلاميذُ يصطفّونَ أوّلاً فأولا ، وكلّما انتهى من فصلٍ مدحَ متقدّميهِ ووبّخَ متأخّريه ولاسيّما المهملين

ولمّا جاءتْ نوبةُ فصلي واصطفَّ تلاميذُه كما قلتُ إذا أنا كنتُ

الأوَّل ! ... فتوجَّهتْ نحوي الوُجوهُ وشخَصتْ [١] إليَّ الأبصارُ ورمَقني [٢] المديرُ بعينِ الرِّضاءِ [٣] والسُّرورِ وقال مشيراً إليَّ بيمينه : أَكرِمْ بك تلميذاً مجتهِداً قد عرَفَ الغرضَ من وُجودهِ في المدرسةِ وقصَدَ أن يشرَحَ صدرَ أهلِهِ وجعلَ حُسنَ مستقبلِهِ نُصبَ عينيه ، بارَكَ اللهُ فيك يا بُنَيَّ ووفَّقَك لخيرِ الأعمال ! . . . أمّا أَنا فبقيتُ في هٰذا المقامِ كأني ملَكتُ الدُّنيا وما فيها وشعَرتُ بأنَّ قلبي يرقصُ فرَحا ، فاشتَهيتُ أن يطّلِعَ عليَّ عمّي الشفيق وأَنا في هٰذا الموقفِ الشريف

فترى أَنَّ ابنَ أَخيك لا حرمَه اللهُ رأيَك ولا سلَبَه عِنايتَك قد اتَّبعَ نُصحَك وامتثَلَ أمرَك وصدَقَك وعدَه يومَ زارَك للوَداعِ وأَنه سلَكَ سبيلَ العاقِلينَ ونالَ جزاءَ الرابحين كما تنطِقُ بذٰلك الشهادةُ الواصِلةُ إلى والدِي طَيَّ رسالةٍ له مِن قِبلِ إدارةِ المدرسة

وجملةُ ما يُقالُ عن حالي في هٰذهِ المدرسةِ وصِحّتي هو أني

---

١ شخصت التفتت ٢ رمقني نظر الي ٣ الرضاء والرضا بمعنى

كشجرةٍ ثابتـةٍ قائمةٍ على شاطئِ المياهِ العَذبةِ في تُربةٍ زَكيّةٍ تُؤتي أُكُلَهـا [١] كلَّ حينٍ بإِذنِ ربِّها . هـٰذا ولا برِحَ سيّدي العمُّ في خيرٍ وعافيـةٍ مع سائرِ أهلِ بيتهِ الأماجدِ وأُهـدي إِليك وإِليهم سلامي محفوفاً [٢] بأشواقي الزائدةِ إِلى مُشاهَدتِكم أجمعين ، دمتَ لابنِ أخيك فلان

الجواب — ابنَ أخي المطيع

بعدَ الدُّعاءِ بحفظِك وتوفيقِك أُعلِمُك أني قرأتُ خطابَك الأخيرَ الذي أخذَ من الفَصاحةِ حدَّه وشنَّفَ [٣] أسماعَنا بنغماتِ ألفاظهِ وشفَّ مضمونُه عن تقدُّمِك في العُلوم وبشَّرَ سِياقُه بما أطمأنَّ بهِ الفؤادُ من مَدحِ المـديرِ لك أمامَ قُرنائِك . . . فلو أُهـدِيَتْ إِليَّ بدَلَ كلِّ حرفٍ من حُروفِ تلك الجُمَلِ درَّةٌ ما سُررتُ بهـا سُروري بكتابِك [٤] الذي كان يومُ وُرودهِ من أعظَمِ الأعيادِ عندي وأصفاها

وإِني لآمُلُ أنْ تَستَمِرَّ على هـٰذه الحالِ من الرَّغبـةِ

---

١ أكلها ثمرها ٢ محفوفا مقرونا ٣ شنف زين ٤ الكتاب هنا بمعنى الرسالة

والإِقبال إِلى آخرِ السنةِ حتى لا يذهبَ شيءٌ من أوقاتِك الثَّمينةِ على غيرِ جَدوى [١] وتَعودَ إِلينا بعدئذٍ رجلاً جديداً ليس لك من الصّفاتِ القديمةِ إِلّا الصُّورةُ الجسمانيّة

بُنيَّ لا تقطعْ عني رسائلَك لأنها نورُ عيني وشِفاءُ قلبي ، وأهلُ بيتي أجمعُ يُهدون إِليك أعطرَ التّحيّاتِ ، أطالَ اللهُ بقاءك لعمِّك فلان

ومنه إِلى جدّه فيما تقدم

سيدي الجدَّ المحترَم

طالما تَمنَّيتُ أن أكتُبَ لك رسالةً يُسَرُّ بها قلبُك ، وما كان يُؤخّرُني عن ذلك إِلّا انتظاري فُرصةَ الحُصولِ على خبرٍ حسنٍ أُتحِفُك به . وحيثُ إِني ظفِرتُ [٢] اليومَ بمُنايَ فقد بادَرتُك به تعجيلاً لمسرّتِك

وذلك أني صِرتُ باجتهادي أوّل تلاميذِ فصلي ،

١ جدوى فائدة ٢ ظفرت بالشيء أي نلته

وعقدتُ النِّيَّةَ على مُواصَلةِ الشُّغلِ حتى لا أَتزحزحَ عن مركزي إلى آخرِ السنةِ إن شاءَ الله

هٰذا وأرجو من فضلِك ألّا تزالَ تشملُني بنظراتِك المباركةِ ودعواتِك المستجابةِ ليُكلِّلَ اللهُ أعمالي بتاجِ النجاحِ ويُوفِّقني دائمًا لِما فيه الإِصلاح ، أعزَّكَ اللهُ وأدامَ بقاءَك لحفيدِك

فلان

الجواب — حفيدي العزيز

بينما أنا وجدَّتُك نتحدَّثُ في شأنك متكدِّرينَ من انقطاعِ أخبارِك إذ جاءتنا رسالتُك تحمِلُ بشائرَ الاطمئنان عليك وتُنبئُ عن نجاحِك في الدُّروس ، فما كان أعظمَ سُرورَنا بذلك يا بُنيَّ

حقًّا لقد طيَّبتَ نفسَنا وحقَّقتَ فيك أملَنا ، باركَ اللهُ لك وأدامَك مِثالَ النَّشاطِ والاجتهاد حتى تبلُغَ تمامَ المراد ، وإنّا لا نزالُ نسألُه تعالى أن يأخُذَ بيدِك ويُعيدَك عما قريبٍ إلى جدَّيك

فلان



من تلميذٍ إلى أخ أصغرَ منه

أَخي الحبيبَ المؤدَّبَ النجيب

بعدَ المُعانقةِ الأَخويّة وإِبداءِ التعطُّفاتِ الودّيةِ أُخبِرُكَ أني أصبحتُ لا أستطيعُ صبراً على فراقِك وإنما أتسلّى قليلاً بعلمي أنك ستتبعُني السَّنةَ القادمةَ إلى مدرستي فأجتلي [١] أنوارَ طلعَتِك وأجتني ثِمارَ مودّتِك حتى ترجعَ مياهُ الأَفراحِ جاريةً بيننا كما كانت بل أحسَن

وإني لَأَنتهزُ هٰذه الفرصةَ لأُبديَ مَزيدَ سُروري بتلك المدرسة وما شاهدتُه فيها حتى إنه لا يُكدّرُني الآنَ شيءٌ سوى عدمِ مُشاركتِك لي في هٰذا السّرور ، أسأل اللهَ أن يقرّبَ اجتماعَنا في رياضِها العطِرَة فنقطفَ معاً من أبهى أزهارها الزاهرة

أخوكَ فلان

الجواب — ولدي الأكبر [٢]

جاءَ خطابُك لأخيك فقرأتُه عليه ، ففرحَ به كثيراً

---

١ أجتلي أنظر ٢ هذا الابتداء من كلام الأم

ولـكنّه تحيّرَ في الجوابِ لعجزهِ عن الـكِتابةِ كما تعلَم ، فسألني عن طريقِ التخلُّصِ من تلك الصُّعوبة فهـدَيتُه أن يُفكّرَ فيما يُريدُ به إجابتَك ويُمليَه عليَّ وأنا أكتُبهُ عنـه ، ففعلَ ذلك وهذا فِكرُه :

أخي العزيز

إِنِي شاكِرٌ لك على مكتوبك الذي هو من اللُّطفِ غاية ومن الحُسن نِهاية . أتاني ففرحتُ به فرَحاً عظيماً وزادَني شوقاً إلى مُشاهَدتِك بِمقـدارٍ لا يفي به وصفُ الواصف وتمنَّيتُ أن أكونَ معك في المدرسةِ هذا العام ، فوعَدتْني أمُّنا أن تبعثَني إليها معك السنةَ الآتيةَ على شرطِ أن أستمرَّ مُطيعاً لها ولأبي ، وقـد رضِيتُ بذلك ، مـدَّ اللهُ حياتَهمـا وحياتَك ولا حرمَني مشاهدتَهما ومشاهدتَك

أخوك فلان

---

من والد مسافر إلى ولده عند عمه

ولدي

أكتُبُ وأنا في شُغلٍ شاغلٍ من جِهتِك حيثُ لا عِلمَ لي

بحقيقةِ سَيرِكَ ، أذاكرٌ أنت وصيّتي وعاملٌ بها أم لا ؟ فلذا جئتُ إليك بكتابي هذا أُكرّرُها لك ، فأقول : يلزَمُك أن تُواظِبَ على المدرسةِ في أوقاتِها المعينة وتجُدَّ في تتميمِ واجباتِك حتى تكونَ في أوائلِ فصلِك وتُطيعَ أساتِذَتك لتنجَحَ في دُروسِك وتَمتَثِلَ أوامرَ عمّك الذي يعتَني بك اعتناءه بابنِه كي تنالَ رضائي وحُسنَ القَبولِ من إخوانِك وسائرِ الناس

وبعدُ فأُريدُ أن تصدُقَني الجوابَ عما قدَّمتُه حتى إذا ظَهَرَ لي أنك صادقُ الوَعدِ الذي وعَدتَني به عند الوَداعِ من أنك تدأبُ في العمَلِ وتطرَحُ وراءكَ التَّوانيَ والكسَلَ سُرَّ قلبي وازدادَ حُبّي وإعزازي لك وعلِمتُ بذلك أنك مستَحضِرٌ أباكَ في ذِهنِك معُظِّمٌ له بامتثالِ وصاياه وإلّا أورَثتَني الحزَنَ وترَكتَني فريسةَ اليأس والمِحَن          والدك فلان

الجواب — سيدي الوالد الأكرم

وبعدُ فأرفَعُ إلى مَسامعِك العليّةِ أني لم أزلْ عاملاً بوصيّتِك متمسّكاً بنصيحتِك مُستضيئاً بنُورِها مهتدياً بهَدْيها

على أنك حفِظَك اللهُ تعلمُ أنّ ولَدكَ يحرِصُ دائمًا على ما فيه رِضاكَ ويبعُدُ عما يُكدّرُ صفاكَ ، وإنما حملَكَ على السُّؤال عما سألتَ عنه زيادةُ اعتنائِك بي ، حقّقَ اللهُ مقصودَكَ وبلَّغَك مرادَكَ وردَّكَ سالماً وأدامَ بقاءَكَ لولدكَ فلان

من تلميذ إلى أخته في طلب بعض نقود

أختي زينة السَّيّدات

جميلُ صُنعِكِ معي قد عوَّدَني أن ألجأَ إليكِ في جميعِ أموري ، وإني أراني اليومَ في حاجةٍ إلى شِراءِ بعضِ أشياءَ تلزَمُني في المدرسة ، فقصَدتُكِ راجياً من مَكارمِكِ أن تُرسِلي إليَّ لدى أوّلِ فُرصةٍ ما تسمحُ به نفسُكِ من النُّقودِ لِأَقضيَ بها حاجتي ، وأحفَظُ الباقيَ تحت يدِ اللُّزوم ، وبذلك يزدادُ شُكري لفضلكِ وتتضاعَفُ محبّتي لك ، دمتِ لأخيك

فلان

الجواب — أخي الحبيب

بينما أنا في شَوقٍ إلى أخبارِكَ وناضِرِ أزهارِكَ إذ وفَدت عليَّ رسالتُك في طلبِ ما أنت محتاجٌ إليه ، وحيث إنك نشيطٌ في دُروسِك حريصٌ على واجباتك فقد بعثتُ إليك بكذا وإذا بلَغني عنك ما يَسُرُّني أجزتُك بأكثَرَ مما تُريد

هذا وأرجو ألّا تؤَخِّرَ عني رسائلَك حتى أكونَ دائماً على بيّنةٍ من أمرِكَ ، أرشَدَكَ اللهُ إلى ما فيه كمالُك والسلام

أختك فلانة

من أم إلى ابنتها في طلب رسالة

إبنتي المحبوبة

لقد تركتِني أتجرَّعُ غُصَصَ الصبر وأتقلبُ على أحرَّ من الجمر ، فقد مكثتِ شهراً ونصفاً ولم تكتُبي لي سطراً واحداً حتى أقِفَ به على حقيقةِ حالك فتزولَ شواغلي ويَطمئنَّ قلبي فما سبَبُ هذا السكوتِ الطويلِ ؟ أمرَضٌ حلَّ بساحتِك ؟

أم عدَمُ نجاحكِ في الِامتحان ؟ أم عدَلتِ عن مودّتِنا ونسيتِ حقُوقَنا . . . ؟ إرحَميني بُنَيّتي وأفيديني عما أنتِ عليهِ لأني في حالةٍ لا يسعُها صدر ولا ينفعُ معَها صبر ، ولا تنسَي أنَّ عليكِ حقوقاً تلزَمُكِ مراعاتُها لأ مِّك فلانة

الجواب — والدتي العزيزة

وصلَتْني رسالتُكِ التي صوَّرَ لي فيها يراعُكِ مزيدَ قلَقِكِ وشديدَ جزَعِكِ لِانقطاعِ أخباري عنكِ طولَ تلك المـدّة ، ولٰـكنْ كيف العملُ وأنا لا أريدُ أن أُكدِّرَ صفوَكِ ولا أُخيِّبَ أملَكِ بإطلاعِكِ على ما لاتقَرُّ به عينُكِ ولا تطيبُ به نفسُكِ

ذلك أني في الِامتحانِ الماضي كنتُ من متأخِّراتِ فصلي على حينِ أنكِ تنتظرينَ مني ما عوَّدتُكِ إياه في الِامتحاناتِ السالفة . . . وعُذري أني رجعتُ إلى المدرسةِ في هٰذه السـنةِ بعدَ أترابي فسبَقَنني في حفظِ الدُّروسِ وتتميمِ الواجباتِ حتى فُقنَني في الِامتحـاناتِ فأحرَزنَ المُكافآتِ وخلَّفنَني أذرفُ الدَّمع ، وهيهاتَ أن يرُدَّ الدَّمعُ ما قد فات ! . . . ولٰـكنْ رُبَّما

صحَّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ [١] فإنَّ ذلك أثارَ من نفسي كامِنَ الهِمةِ وأوقَدَ في صدري نارَ الغَيرة ، فصِرتُ أُواصِلُ السيرَ بالسُّرى [٢] وأطرُدُ عن عيني لذيذَ الكَرى [٣] وأجتهِدُ حتى أُعوّضَ جميعَ ما فاتني وأكونَ في الامتحاناتِ الآتيةِ من الناجحات الأُوَلِ لينقَلِبَ غمّي وغمُّكِ جذَلًا ولا أُخيِّبَ لكِ إن شاءَ اللهُ أملا

ابنتك فلانة

---

تهنئة برأس السنة من شابّ إلى عمه

حضرةَ العمِّ الأفخَم

بعدَ إهداءِ ما يليقُ بمقامِكم من التعظيمِ وتقديمِ سلامٍ أذكى من نَشرِ المِسكِ [٤] وأرَقَّ من النسيم مشفوعٍ بمزيدِ الأشواقِ

---

١ أي ربما يكون تأخري سببا لنجاحي بما سأبذله من زيادة الاجتهاد ٢ السير المشي في النهار والسرى المشي في الليل ٣ الكرى النوم ٤ أذكى من نشر المسك أي أطيب من رائحته ، والمسك مادة عطرية يفرزها حيوان يعرف بظبي المسك ، تجتمع في شبه جراب عند سرته دما عبيطا كاجتماع الدم فيما يعرض من الدمامل ، فاذا امتلأ أضجره فيفزع الى الحجارة ويحكه بها حتى يخرقه فيسيل ما فيه ثم يندمل وتعود المادة تجتمع كما كانت ، لونه سنجابي ورائحته ذكية قوية جدا لا تكاد تزول عما تمسه الا بعد الزمن المديد . يستعمل في الطب وفي تركيب بعض الطيوب المرغوب فيها الغالية الثمن

الى رُؤيةِ تلك الذَّاتِ التي اُنفرَدتْ بجميلِ الصِّفات أقولُ إنَّ الداعيَ لتحريرهِ هو تقديمُ التهنئةِ لجنابكم بإقبالِ هذا العامِ جعلَه اللهُ عليكم من أسعَدِ الأعوامِ وأبركِ الأوقاتِ وأطيبِها وأعادَ عليكم كثيراً من أمثاله وأنتم حائزون من السُّرورِ غايةَ كماله

أهَنِّي بكم عيداً يعودُ بصفوكم * جليلاً مدى الأعوامِ وهوسعيدُ
فدوموا بخيرِ الأنسِ والعزِّ ما زها * لديكم بألطافِ النَّفائسِ عيدُ

ابن أخيكم فلان

الجواب — ابن أخي

أما بعدُ فقد ورَدتْ رسالتك الغرّاء بلِ الزهرة الزهراء، فألفيتُها أعذبَ من الماء وأوقعَ في النفسِ من بدائعِ الحكماء، فقد كان لي منها عيدٌ على عيدٍ يتلألأُ سناه [1] في غُرَّةِ [2] هذا العامِ الجديد، فقمتُ أهنِّئك بمثلِ ما هنأتني به سائلاً اللهَ أن

---

وذاك الحيوان الذي يحمله كسائر الظباء لا يفرقه منها الا تلك المادة ونابان دقيقتان بيضاوان في فكه الاعلى يبلغ طول كل منهما نحو فتر، يحفر بهما الأرض ليستخرج منها بعض أشياء يتغذى بها . وقد يفرز المسك حيوانات أخرى ويستخرج من بعض نباتات أيضا لكنه لا يضاهي ذلك في خواصه كما لا يخفى [1] سناه ضوؤه
[2] غرة كل شيء أوله

يتعهَّدك بعنايتهِ مُقَدِّماً لك تشكّراتي الوافرة على لطائفِك المتواترِة، لازلتَ ملحوظاً بعينِ الاعتبار عاليَ الهمّةِ جليلَ المقدار[1]

وقد حررتُ لك هذا لينوبَ عني في بيانِ ما عندي من الحُبور بتناوُلِ كتابك المشكور حتى تعلمَ أنَّ حبلَ الودِّ بين القُلوب لا ينقطِعُ مهما بعُدتْ دارُ الحبيبِ عن دارِ المحبوب

عمك فلان

من ولد إلى والديه في الموضوع المذكور

والديَّ الأكمليْن

بودِّي لو أُعطيتُ من فصاحةِ اللِّسانِ وأُفيضَ عليَّ من قوّةِ البيانِ ما يليقُ أن أرفعَه إلى مقامِكما تهنئةً بإقبالِ هذه السنة الجديدةِ عليكما وأنتما رافلانِ في حُلّةِ العافية والسُّرورِ متُمتّعانِ برُؤيةِ أولادِكما الذين يتمنّونَ لكما طولَ البقاءِ ويعتقدونَ أنَّ وُجودَكما بينهم أعظمُ هناء

والديَّ ليتَ لي مياهَ البِحارِ مِداداً[2] وأغصانَ الأشجارِ

١ المقدار بمعنى القدر والمقام ٢ المداد الحبر

أقلاماً لِأُفصِحَ عما يُكِنُّه قلبي نحوَكما من خُلوص المحبّةِ لتَوالي [١] نِعَمِكما عليَّ مِن يومِ وُجودي إلى الآن ... على أني لو أُوتيتُ ذلك كلَّه لَما كنتُ إلّا مُقصِّراً في جانبِكما ومعترِفاً بالعجزِ عن القِيامِ بواجبِ الشُّكرِ لفضلِكما

هذا ولا زلتُما في أرغَدِ عَيشٍ وأنعَمِ بالٍ ما غرَّدَ بُلبُلُ الأفراحِ في الغُدوِّ والرَّواحِ ، ودامَ نَسيجُ أيّامِكما مذيَّلاً بلطائفِ السَّعادة مُزيَّناً بحُللِ السِّيادة

ولدكما فلان

الجواب — ولدَنا العزيز

ما أقبَلَ علينا هذا العامُ إلّا وقد وافتْنا رسالتُك تُبَشِّرُنا أنَّ العيدَ قد أظَلَّك وأنت رفيقُ التوفيق أليفُ العافية ، فما كانَ أشدَّ ابتهاجَنا [٢] بقراءتِها وما أعظَمَ ارتياحَ إخوتِك لرؤيتِها

وافتْ تقرِّرُ [٣] ما تحلَّيتَ به من حُلَلِ الفضائل ومحاسِنِ الشمائل [٤] وتُبَشِّرُ بحُسنِ مستقبلِك وبُلوغِ أمَلِك ، فحمِدنا اللهَ على

---

١ توالي تتابع ٢ الابتهاج السرور ٣ تقرر تثبت ٤ شمائل جمع شمال بمعنى الطبع

عِنايتِهِ بك وسألناه أن يُمتِّعك بأمثالِ هذا العيد ويَسُرَّني وأمك بتمامِ نجاحك        والدك فلان

من تلميذ إلى والديه فيما تقدم

حضرتي والديَّ المعظَّمين

وبعدُ فلما كان من الواجبِ على البنينِ ولا سيّما عندَ تجدُّدِ الأيامِ والسنينَ أن يقوموا بشكرِ والديهم ويسعَوا في أسبابِ ما يُرضيهم لِما لهم عليهم من النِّعَمِ الجزيلةِ والمكارمِ الجليلةِ وددتُ لو أعارَني سَحبانُ بيانَه وبديعُ الزمانِ بَلاغتَه وابنُ مُقلَة[1] بنانَه وعبدُ الحميدِ فصاحتَه وأُوتيتُ لسانَ مَلَكٍ كريمٍ لأحمَدَ كما على فَضلِكما العميم، على أني لو ملَكتُ ذلك لا أفي بشكرِ ما هنالِك فإنه ليسَ لنِعمةِ الحياةِ والتربيةِ نظيرٌ تنطِقُ به

[1] سحبان هو رجل من قبيلة وائل ، يضرب به المثل في الفصاحة فيقال أفصح من سحبان وائل ، كانت وفاته سنة ٥٤ ﻫ وبديع الزمان هو رجل من البلغاء العظام ، ولد سنة ٣٥٣ ﻫ واشتهر بمقاماته الفائقة ورسائله الرائقة ، مات سنة ٣٩٨ وابن مقلة هو رجل اشتهر بالخط في أيام الدولة العباسية وبالغ في اتقانه حتى ضرب به المثل في حسنه فيقال خط كخط ابن مقلة ، كانت ولادته سنة ٢٧٢ ووفاته سنة ٣٢٨ ﻫ

الافواه . . . ولـكني أجعَلُ الِاعترافَ بالتقصيرِ عما يجبُ لـكما هَديّةً أتوَصَّلُ بها إلى رِضاكما وأقتصِرُ أن أقول : إني أُحبُّـكما محبّةً مُخلصَةً ولن أزال مُمتثِلًا لأوامِرِكما باذِلًا الجهدَ في اكتسابِ العُلومِ والآدابِ حتى أكونَ سرورَكما في الحال وشرَفَـكما في الِاستقبال

أطال اللهُ لي عُمرَكما وجعلَ السنةَ المُقبِلةَ تذلُّ حوادثُها لِما في مقاصِـدِكما وأنتما دائمًا في رياضِ المسرّات . هذا يا والديَّ دعاء ولدِكما المطيع الطَّالبِ رِضاكما بكلِّ ما يستطيع

فلان

الجواب — ولدي

بعدَ تقبيلِ خدَّيك والدُّعاءِ بدوامِ العافيةِ عليك أُنبئُك أنه وصَلتْنا تهنئتُك بالسَّنةِ الجديدة وسُرِرنا بحُسن تَخيُّلِك في إبداء معرفةِ جميلِنا عليك مما ينطِقُ برِقّةِ عواطفِك وإصابةِ أفكارِك وإني لمُعجَبٌ جـدًّا بنفَسِك في الإنشاء وقوَّةِ قلمِك في

---

وعبد الحميد هو كاتب مشهور لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية مات سنة ١٢٢ هـ

١ النفس بفتح الفاء هو الطريقة التي يسير عليها الناثر والشاعر في الكلام

التعبيرِ عما يُسكِنُّه فؤادُك فلا رَيبَ عندي أنك ستصيرُ رجلاً ماهِراً في الكتابةِ ورُكناً شديداً لأُسرتِك وتزيدُها مَجداً على مجدِها وتُبقي مع الأيامِ ذِكرَها ، ولا غروَ[1] إذ

نِعَمُ الإلٰهِ على العبادِ كثيرةٌ * وأجلُّهُنَّ نجابةُ الأولادِ
فلَرُبَّ مولودٍ أقامَ لوالدٍ * شرَفاً يدومُ على مدى الآبادِ

فداوِمْ يا بُنَيَّ على جدِّك ترَ ما يَسُرُّك في يومِك وغدِك

والدك فلان

من تلميذة إلى معلمتها تهنئها بعيدها

لا أكونُ مُبالِغةً[2] يا مولاتي إذا قلتُ إنّ أبهجَ الأعيادِ عندي هو عيدُكِ المحفوفُ[3] بالبرَكاتِ والهناء

ولذا بادرتُ بتقديمِ تهنئتي إليكِ بذاك اللسانِ الذي أطلقَه علمُكِ وذاك الجَنانِ الذي قوَّمَه أدبُكِ ، وأنتهزُ هٰذه الفرصةَ لأشكرَكِ على ما بي من نِعمةٍ فإنما هو ثمرةُ أتعابِكِ وحُسنِ ألتفاتِك ، أدامكِ اللهُ زينةَ السيِّداتِ وجعلَ كلَّ حياتِكِ حليفةَ

---

[1] لا غرو لا عجب [2] مبالغة متجاوزة الحد [3] المحفوف المقرون

المسرّات وأعادَ عليكِ هذا العيدَ السعيد وأنتِ دائمًا في راحةِ البالِ والعيشِ الرغيد                تلميذتك فلانة

الجواب — عزيزتي المؤدَّبة

تلوتُ كتابَكِ البليغ ، فكانَ دليلًا على سُموّ عواطفِكِ ورقّةِ شُعورِكِ وباعثًا لي على السُّرورِ والارتياح ، ولاعجب فلا سرورٌ أعظمَ للمُعلِّمةِ من سرورِها بنجاحِ تلميذاتِها في العُلوم ونُبوغِهنَّ [1] في الآداب ، وماذا عساها أن تتمنّى بعدَ ذلك وقد رأتْ أنّ ما بثّتْه [2] في عُقولِهنَّ وغرَستْه في قُلوبِهنَّ أفادَ وأثمرَ ، وذلك هو أجَلُّ ما تشتهي وغايةُ ما تبتغي

أمّا العَناءُ الذي أُكابدُه في سبيلِ التعليمِ فهذا أمرٌ أرجو به أن أكونَ قمتُ ببعضِ الواجبِ نحوَ فتياتٍ أخذتُ على نفسي أمرَ تربيتِهنَّ وقبضتُ على زمامِ مستقبلِهنّ . وقد سرَّني اعترافُكِ بذلك وإن كنتُ أعتقدُ أنّ مُساعدي الوحيدَ هو شدّةُ التفاتِكُنَّ وقتَ إلقائي الدروسَ واجتهادُكُنَّ في حِفظِها وتأديتُكُنَّ ما أفرِضُه عليكُنَّ من الواجبات واحترامُكُنَّ لي في جميعِ الأوقات

١ نبوغهن براعتهن ٢ بثته أي نشرته

هـٰذا وأشكُرُكِ على تلطُّفِكِ في تهنئتي بعيدي وأسألُ اللهَ أن يُمِدَّ في حياتِك[1] ويُعينَكِ على تتميمِ جميعِ واجباتِك

فلانة

من ولد جديد في مدرسة يشكو حاله إلى أبيه

جنابَ والدي المعظَّم

إعْلَمْ يا أبي أنه قد مضى عليَّ حينٌ من الدَّهرِ وأنا أتقلَّبُ في حِجرِ الضَّيمِ والمـكروه ، وكلَّما همَّتْ نفسي بإطلاعِك على ما أنا عليه في هـٰذه المدرسةِ خالفتُها وصرَفتُها عن وُجهتِها رجاءَ تحسينِ الحال . . . إلى أن عِيلَ صبري ويئِستُ من أمري ولم أرَ مندوحةً[2] من الإقدامِ على إخبارِكِ

فأقول : إنَّ حالي ههُنا بلغتْ حدًّا لا طاقةَ لي به فإنّ الأساتذةَ بعدَ ما آنَستُه منهم أولَ وُجودي بينَهم من الشفقةِ والمحبّةِ قد تحاملوا عليَّ[3] كأنهم أبوا إلاَّ أن يُعذِّبوني ويُكدِّروا معيشتي إذ قلَّما يفوتُهم يومٌ دونَ أن يُوبِّخوني أو يُعاقِبوني ،

١ أمد الله في حياتك أي أطالها ٢ مندوحة متسعا أي مخلصا ٣ تحاملوا جاروا

وطالمَا حجَزوني أيامَ العُطلةِ عن الذَّهابِ إلى النُّزهةِ معَ بقيّةِ التلاميـذِ إلى غيرِ ذٰلك من المُنغِّصاتِ التي كرَّهتْني هٰذه الدارَ وأهلَهـا وأَجْبَرتْني على تسطيرهِ كي تُبادِرَ بكتـابٍ إلى المـديرِ تطلُبُ إليه أن يكُفَّ عني أولئك الأعـداءَ الذين لا يزالون يُناصِبونني الحَربَ [1] ويَسومونني سوءَ العـذاب وإلّا فخُروجي من تلك المدرسةِ أمرٌ مُتَحَتِّمٌ [2] والسلام ابنك فلان

الجواب — أي بُنَيَّ

وبعدُ فإني أكتُبُ لك هٰذا ولا يعزُبُ عني شرحُ حالِك فقـد كنتُ تلميذاً وعانَيتُ [3] ما تُعاني الآنَ بل لا يعزُبُ ذٰلك عن أحدٍ عَلِمَ ما أُعتدتَه في المدرسةِ الفلانيّةِ المشهورةِ بالتَّساهُلِ المُفرِطِ في السَّيرِ وعَدَمِ الضَّبطِ في مسائلِ التعليم ، فلما صِرتَ إلى مدرستِك الحاليّةِ المشهودِ لها بالتقدُّمِ وحُسنِ النظامِ كبُرَ عليك الخُضوعُ لقوانينِها وجَمَحتْ نفسُك [4] الأمّارةُ بالسُّوءِ إلى الخُروجِ منها ولٰـكنْ عسى أن تكرَهوا شيئاً وهو خيرٌ لـكم

---

١ يناصبونني الحرب أي يقيمونهـا علي ٢ أمر متحتم أي واجب ٣ عانيت قاسيت
٤ جمحت نفسك أي ركبت هواها

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُه * لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصبرا [1]

أمّا زعمُك أنّ أساتذتك يتحاملون عليك فيجبُ أن تنزعه من فكرك وتتحققَ أنّ اللهَ قد أبى أن يتّصِفوا بشيءٍ من ذلك وأنهم أكثرُ الناسِ محبّةً لك وأوفرُهم معرفةً بما فيه خيرُك ونجاحُك فإنهم حينَ دُخولك المدرسةَ رأوْك جاهلاً بقوانينِها فعذَروك وأمهلوك قليلاً كما ذكرتَه لي كي تتدرَّبَ على عاداتِها وتتأدَّبَ بآدابِها ، ولٰكنْ لمّا طالَ بهم وبك المطالُ ولم تزلْ متلبّساً بهاتيك الخِصالِ الذميمةِ التي كنتَ عليها في المدرسةِ السابقةِ تصدَّوا [2] لمعالجتِها قبلَ استحكامِها [3] ، ولهم في ذلك مزيدُ الفضلِ عليك وأسمى الشكرِ على ما صنعوه إليك

فإياك إياك أن تعدَّهم أعداءً لك بلِ احترمْهم وامتثِلْ أوامرَهم فإنما الأستاذُ الحكيمُ كالطَّبيبِ الرحيمِ يظهرُ أنه يضطهدُ مريضَه وهو لا يضطهدُ إلّا مرَضَه ولا يُعذِّبُ ذلك الذي يهتمُّ بأمرِه إلّا لكي يُنقذَه من داءٍ لو تُركَ وإياه لقادَه في العاجلِ القريبِ إلى

---

[1] الصبر مادة راتنجية طيبة الرائحة شديدة المرارة ، تستخرج من بعض الاشجار الصمغية كالصنوبر والأرز ( le cèdre ) [2] تصدوا تعرضوا [3] استحكامها تمكنها

مَناه [١] ، فتعنيفُهم الظاهِريُّ إنما هو في الحقيقةِ نِعمةٌ والآلامُ التي يشعرُ بهـا التلاميذُ إنما هي أدوِيَة ، وأمّا كتابي لحضرةِ المديرِ بالصَّدَدِ [٢] الذي ذكرتَه لي فهو من رابعُ المستحيلاتِ لخروجِك من المدرسة . فاقطعْ عنهما حبلَ الأملِ ووَجِّهْ هِمتَّكَ إلى دُروسِك كي تكونَ دائمًا في مُقَدَّمةِ قُرنائِك ، وأطِعْ أساتذتَك حتى تنالَ رِضاهم ورضايَ بعدَهم ولا تَتَوَهَّمْ غيرَ ما كتبتُه لك والسلام

والدك فلان

---

من ابنة فقيرة إلى رجل ممن يحسنون إليها

سَيّدي المِفضال

أَلحمدُ لله ، قد جاءَ اليومُ الذي كنتُ أتمنّاه ، لِأُهنّئَك سيّدي بإقبالِ هذا العـامِ عليك ، وأسبابُ السُّرورِ متوافِرةٌ لديك ، وأَنت نعيمُ البالِ [٣] بنَيلِ آمالِك ، قريرُ العـينِ برؤيةِ آلِك [٤] ، محفوفٌ من أصحابِك بهالةٍ [٥] أَنت قمرُها المُنير ، ملحوظٌ بعينِ العنايةِ من زمانٍ أَنت ربيعُه النضير

---

١ المنى بفتح الميم هو الموت ٢ الصدد الغرض ٣ نعيم البال مطمئنه ٤ الآل بمعنى الأهل ٥ الهالة دائرة نورانية تظهر حول القمر في بعض الاحايين

مولايَ بودّي لو أُعطيتُ قلمَ ملكٍ كريم ، وأَصبحتُ مليكةَ [١] دولتيِ النَّثيرِ والنَّظيم [٢] ، حتى أُعربَ عما يُكِنُّه الفؤاد ، نحوَ مقامِك السامى من خالِصِ الوداد ، غيرَ أَني أُبنةٌ صغيرة ، ويدُ بيـاني عن التعبيرِ عما أَنت أَهلُه قصـيرة ، فأَقتصِرُ على أَن أَسألَ اللهَ تعالى أَن يُفيضَ عليك أَنهـارَ المكارِم ، ويجعلَ أَيامَك في وجهِ الدهرِ ثُغوراً [٣] بواسم ، ويزيدَ لك المواهب [٤] ، لتستمرَّ بها رُكناً يلوذُ به كلُّ طالِب ، ويُنْسِيَ بقاءَك ، ويُديمَ أُرتقاءَك ، ويهَبَني فِداءَك ، ويحفَظَ منك يميناً خُلِقَ ظاهرُها للقُبلات ، وباطنُهـا للخيرات ، ويُعيدَ عليك أَمثالَ هذا العام ، وأَنت رافِلٌ في حُلَلِ الإنعـام ، يلجأُ إليك البائسون والأيتام ، مستعينين بك على صُروف الأيام

---

١ مليكة صاحبة . ٢ النثير والمنثور والنثر من الكلام بمعنى . والنظيم والمنظوم والنظم والشعر منه بمعنى ، واعلم أن الكلام العربي نوعان منظوم ان كان موزونا مقفى كما في البيتين الآتيين من هذه الرسالة ، ومنثور ان كان غير موزون ، وهو قسمان مسجع ان التزم في كل فقرتين فأكثر منـه قافية واحـدة كما في هذه الرسالة ما عدا البيتين ، ومرسل ان لم تلتزم فيه القافيـة كما في أغلب مواضيع هذا الكتاب ٣ الثغور جمع ثغر وهو الفم ٤ المواهب جمع موهبة وهي النعمة

لله عام أشرقتْ أنوارُه * ببهاءِ أنسٍ مع كمالِ صفاءِ
لا زلتَ محفوظاً إلى أمثالِه * في عِزّةٍ وسعادةٍ وهناءِ

فلانة

الجواب — بُنَيّتي

بيدِ السُّرورِ تناوَلتُ رسالتَك وقرأتُها، فكنتُ طرِباً من حُسنِ كلامِك ورقّةِ عواطفِك، فأقبَلي مع شكري لكِ عليها ورقةَ النقديّةِ [1] التي طيَّه تستعيني بها على قضاءِ بعضِ حاجاتك. دامَ لكِ الحبورُ والعافية ولي لُطفُكِ ومودّتُكِ الصافية

فلان

---

من تلميذ إلى والده يشكو إليه سوء سلوك أخيه الأصغر

سيّدي الوالد

يَعِزُّ عليَّ أنْ أُنهيَ إليك [2] ما يُكَدِّرُ صفوَك ويُقلِقُ راحتَك، ولكنْ ما الحيلةُ وقد أَلزمتْني الضَّرورةُ أنْ أَسيرَ على خِلافِ

---

١ ورقة النقدية ( billet de banque ) هي ورقة تقوم مقام النقدية في المعاملات
٢ أنهي اليك أبلغك

عادتي ؟ عسى أن يُستدرَكَ الأمرُ ويُحسَمَ [١] الداء قبلَ أن يستحكِمَ ويتعذَّرَ الدواء ، فتُحمدَ العاقبةُ ويتحوَّلَ الترَحُ إلى الفرَح

ذلك أنّ أخي فلاناً قدِ استرسَلَ [٢] في اللعِبِ وانقادَ للطيشِ والكسَل ، ونبذَ الدُّروسَ ظِهريًّا [٣] وترَكَ ما يلزَمُه في زوايا الهِجرانِ نسياً منسيا وأصبحَ لا يسمَعُ قولَ ناصحٍ ولا زجْرَ زاجرٍ حتى أعيا أمرُه المعلّمين وقدِ استعملوا لإرشادهِ أنواعَ النصائحِ وأصنافَ الحِيَل ، وأنا أيضاً سلكتُ معه كلَّ طريقٍ من لينٍ وشِدّةٍ وأفرغتُ جميعَ ما في طاقتي فخابتْ مساعيَّ ولم يَرجِعْ عن غيِّه ، لذلك لم أرَ مَندوحةً عن إخبارِك لترى أنت رأيَك في شأنِهِ والسلام ولدكَ فلان

الجواب — ولدي العزيز

ورَدتْ عليَّ رِسالتُك ، فساءني ما ذكَرتَ من حالِ أخيك كما سرَّني اهتمامُك بشؤونِهِ ومبادرتُك بإفادتي بعدَ أن حبطَتْ المساعي [٤] في إصلاحه ، بارَكَ اللهُ فيكَ يا بُنَيّ وأدامَك ولداً

[١] يحسم يقطع [٢] استرسل انهمك [٣] نبذ الدروس ظهريا أي تركها وراء ظهره ولم يبال بها [٤] حبطت المساعي أي ذهبت بلا فائدة

غَيوراً على خيرِ جميعِ أعضاءِ أسرتك

وبعدُ فإني أعملتُ الفكرَ في أمرِ أخيك وفيما يليقُ أن نُجريَهُ لِتقويمِ أخلاقه ، فرأيتُ أن آتيَ المدرسةَ في أقربِ وقتٍ فأُقابِلَ معلّميهِ ثمّ أحضِرَه أمامَك وأُكلّمَه ، فإن استمعَ إلى كلامي ووعدني بالإقلاعِ عن طيشِهِ والقيامِ بواجباتِهِ ثم وُجِدَ صادقاً في وَعدهِ كان خيراً له وإلّا فمَن لم تُصلِحْه الكرامةُ أصلحَه الهوان

ومَن يَعصِ أطرافَ الزّجاجِ فإنه * يُطيعُ العَواليَ رُكّبتْ كلَّ لَهْذَمِ [١]

حتى يعلمَ أني أبوه القادرُ على كَبحِ جِماحِهِ وقصّ جَناحِهِ [٢] ، هذا ما أردتُ أن أُطلِعَك عليه الآن ، دمتَ لوالدك

فلان

---

١ الزجاج جمع زج بضم الزاي وهي الحديدة التي بأسفل الرمح . والعوالي جمع عالية وهي رأس الرمح من جهة النصل ، واللهذم هو الحاد من السيوف والسنان والثاني هو المقصود هنا . كان من عادة العرب اذا التقي الفريقان في الحرب أن يسدد كل واحد الى صاحبه زج الرمح ويسعى الساعون في الصلح فان لم يتم قلبوا الرماح واقتتلوا بالأسنة ، ومعنى البيت : أن من لا يصلح بالملاينة يصلح بالمخاشنة ، وقائله زهير بن أبي سلمى وهو رجل من قبيلة مزينة كان سيدا في قومه معروفا بالورع وافر المال راجح الحلم صادق القول ، نبغ في الشعر واشتهر بتنقيحه وتخليصه من حوشي الكلام وسخيفه وجمعه الكثير من المعاني في قليل من الألفاظ ، ولم يناظره من شعراء الجاهلية في حسن القريض الا امرؤ القيس والنابغة الذبياني . كانت وفاته في السنة التاسعة للهجرة وقد تجاوز المئة من عمره ٢ على كبح جماحه وقص جناحه أي على قهره وتذليله

## من أخت إلى أخيها انقطع عنها أخباره



أخي

طالتْ غيبتُك عنا فقصُرَ صبرُنا عنك وضاقتْ بنا الحالُ حتى أصبحنا من الشَّواغلِ والأفكار

كريشةٍ في مَهَبِّ الريحِ طائرةٍ * لا تستقِرُّ على حالٍ من القَلَقِ [١]

فعلامَ هذه القَسوةُ ؟ وإلامَ [٢] ذاك الجفاء ؟ أَجرَّدَ الرَّحمنُ قلبك من العواطِف فترَكه كالصَّخر لا تُؤثِّرُ فيه العواصف [٣] ؟ ...

١ مهب الريح مجراها . والبيت للمتنبي وهو شاعر مشهور ، ولد سنة ٣٠٣ ه ومات سنة ٣٥٤ ٢ علام لماذا ، والام الى متى ٣ العواصف هي الرياح الشديدة

أم شُغِلتَ بمَن هو أولى منا ؟ . . . أم أنـكرتَ حُبنَّا لك ؟ . . .
أم نسيتَ ما بذَلَه والدُنا في تربيتِك ؟ . . . ألم تعلَمْ أنَّ القلقَ
أخذَ من قلبِهِ كلَّ مأخذ ؟ . . . تذكَّرْ أُمَّك وما كابدَتْ في
سبيلِك ! واُعلَمْ أنَّ إِهمالَك هٰذا قد أنزلَ بها المرَضَ وتركَها
تتقلَّبُ على فِراشِ الأوجاعِ . . . فاُرحَمْها يا أخي وبَرِّدْ غليلَها [١]
برسالةٍ من يدِكَ ولا تنسَ ٱلتي لا تنساكَ فلانة

الجواب — أختي

قرأتُ رسالتَك ، فإذا بها تَنْسُبِينَني إلى الجفاءِ وقسوةِ القلبِ
وإِنكارِ الجميلِ وقطعِ حبلِ الوَفاء . فـكانتْ عندي أشَدَّ من
وقعِ السِّهامِ [٢] وأحَدَّ من ضربِ الحُسامِ ، ولم تعلَمي سامَحَكِ اللهُ
ما ألَمَّ بي أثناءَ تلك المـدّةِ من السَّقامِ التي ألزمَتْني السَّريرَ نحوَ
شهرٍ حتى كادتْ تذهَبُ بحياتي ، ولم أكُنْ علِمَ اللهُ في خِلالِها
أقوى على أَن أَكتُبَ كلمةً واحدةً . . . وأَنتِ اليومَ تُذِيقِينَني

١ الغليل هو الحرارة الباطنية الناشئة من نحو حزن أو فرح أو عطش ٢ السهام جمع سهم وهو قطعة خشب أو حديد محدد طرفها يرمي بهـا للصيد والحرب بواسطة آلة تسمى قوسًا

من الـكلامِ ما هو أَمَرُّ من العَلقَمِ[1] وأَثقلُ من جبلِ المقطَّمِ[2] ! ...

على حينِ أَنَّ لي الحقَّ في تصويبِ نبـالِ[3] العتْبِ إليكِ فإنكِ تعرِفين عُنواني ومحلَّ إقامتي فكانَ يُمكِنُكِ أَن تسألي عن حالي وتُخَفِّفي عني بكتابٍ من عندِكِ بعضَ ما كنتُ أَجِدُهُ من شدَّةِ الداءِ وحَرقةِ الِاشتياقِ إلى أَخبارِكم . . . ولـكني لا أُريدُ أَن أُعاتبَكِ على ذلك كلِّهِ بل أُفَوِّضُ أَمري إلى قلبِك عساه أَن يُنصِفَني من جورِكِ على أَخيك

فلان

الجواب عن الجواب — أخي الوفيّ

سَماحَكَ[4] أيها العزيزُ على ما فرَطَ مني في رسالتي السابقةِ فإني تجاوَزتُ فيها الحدَّ وتغافلتُ عما جمَّلك اللهُ بهِ من صِدقِ

---

١ العلقم الحنظل ( la coloquinte ) وهو نبات بري من صنف القرع ، ثمره كروي الشكل قلما يتجاوز حجمه حجم البرتقال ، يحتوي على مادة بيضاء اسفنجية شديدة المرارة . قال الشاعر :

لا تكن سكرا فتأكلك النا س ولا حنظلا تذاق وترمي

وهي من مسهلات البطن القوية التي تنفع اذا لم ينفع غيرها من الأدوية ٢ جبل المقطم ببلاد مصر وهو يتصل بشرقي القاهرة ، يضرب به المثل في الثقل ٣ النبال السهام ٤ سماح مفعول به لفعل محذوف تقديره أطلب

الودّ ووفاءِ العهد وحفظِ اليد [1] على القُربِ والبُعد . . . ولٰكنْ يعلمُ اللهُ ما حمَلني على ارتكابِ ذلك إلّا فروغُ صبرِنا واضطرابُ أفكارِنا لِانقطاعِ رسائلك

وبعدُ فحيثُ ألبسَك اللهُ رِداءَ الصّحةِ فهلمَّ إلينا لتقضيَ أياماً بيننا تبديلاً للهواءِ وترويضاً لجسمِك من العناء وتطييباً لخواطِرِنا ، قرّبَ اللهُ ساعةَ لقائك وأقرَّ برؤيتِك عينَ أحبّائك

فلانة

---

من تلميذ في إحدى المدارس الوطنية [2] إلى ابن عم له

حضرة ابنِ العمِّ العزيز

قد بلغَني أنك وصلتَ القاهرةَ سالماً ودخلتَ مدرسةَ كذا وأنك في غايةِ الرّاحةِ ومُثابِرٌ على الدُّروسِ منقادٌ لأساتذتِك ، ولعمري إنّ هٰذا لَهو الواسِطةُ العُظمى للنجاحِ وسُلَّمُ الحَظوةِ لدى جميعِ الناس

---

[1] اليد هنا بمعنى المعروف [2] المدارس الوطنية هي التي يديرها أهل الوطن

هذا ولمّا كان للغربيّين القَدَمُ الراسِخةُ فيما يُحسِّنُ به الحالُ والمآل ، إذِ الحسَنُ اليومَ ما حسَّنوه والقبيحُ ما قبَّحوه والرّوايةُ إن لم تنتهِ إليهم باطِلة ، والنّسبةُ إن لم تتَّصِلْ بهم عاطِلةٌ أَلتمِسُ أن تُطلِعَني على شيءٍ من عاداتِ أهلِ مدرستِك حتى أُوعِزَ إلى[1] مديرِ مدرستِنا أَن يحذوَ حَذوَهم[2] ويُجارِيَهم في طُرُقِهم فإننا معشَرَ الشَّرقيّين لا تزولُ عنا وصْمةُ[3] التوحُّش المنسوبِ إلينا إلّا بالوسائلِ التي اتَّخَذَها آلُ الغَرب[4] فإنهم أَصحابُ الفضلِ والاختراع ومرجِعُ الترتيبِ والفلاح ولك مزيدُ الشكر من

ابن عمك فلان

الجواب — ابن العمّ الكامِل

طلبتَ إليَّ في رسالتك أَن أُتحِفَك بشيءٍ من عادات المدرسةِ التي أَنا فيها ، فأقولُ : إنّ أَغربَ ما رأيتُه فيها هو حُسنُ سَيرِ تلاميذِها فإنهم قلَّما يُهمِلون درساً أو يُخالفون أمراً أو يتعدَّون نهياً مع أنهم لا يُضرَبون ولا يُشتَمون ولا تُساء

١ أوعز الى أشير على ٢ يحذو حذوهم يقتدي بهم ٣ الوصمة العار ٤ المراد بأهل الغرب هنا هم سكان أوربا

معاملتهم في شيءٍ ما ، وإنما السِرّ في ذلك هو أنَّ كل تلميذٍ يُكدُّ نفسَه في الحُصول على درجاتٍ أُسبوعيّةٍ نهايتُها خمسون تُوزَّعُ على اجتهادِه وسُلوكه ، ثم يُتلى جهاراً ما حصلَ عليه كلُّ واحدٍ من تلك الدرجات ، فإنْ نالَ هذه النهايةَ او ناهزَها أبيَضَّ وجهُه وأُثنيَ عليه وإن نقَصَ عنها قليلًا يُغَضُّ عنه النَظَرُ مرّةً او مرّتَينِ وبعدَهما يُعزَّرُ برِفقٍ حتى يُحسِنَ حالَه ويُقَوِّم أَوَدَه ، وأمّا إنْ نقَصَ كثيراً بأنْ لم ينَلْ منها الثلاثين فربّما سومِحَ أوّلَ مرةٍ ولكنْ بعدَها يُشَدُّ عليه النكيرُ ويُكلَّفُ أُموراً يعملُها عِقاباً له ورَدعاً عن سيِّئاتِه وعِبرةً لغيرِه ، ثم إنِ اتَّفَقَ أنَّ تلميذاً أتى في غُضونِ الدرسِ بما يُخِلُّ بالنِظامِ فتارةً يُوَبِّخُه الأُستاذُ وطَوراً يسومُه عمَلًا يعمَلُه كأنْ يُلزِمَه كتابةَ شيءٍ مُعيَّنٍ وقتَ الفراغِ من الدُروسِ أو يُوقِفَه وإخوانُه جالسون ، وأمّا إن تعدّى حدُودَ الأدب وهذا أندرُ من الكِبريتِ الأحمَرِ فانه يُبعَدُ عن الفصلِ على الفورِ كما تُبعَدُ الأقذارُ عن جِوارِ الإِنسان ، ولا يُقبَلُ ثانيةً إلّا بعدَ أن يكونَ قد أرضى

أُستاذه واعتَرَفَ أمامَ إِخوانهِ بما صدرَ منه ، وإِنْ أبى عُوجلَ بالطَّردِ من المدرسةِ كيلا يُعديَ قُرناءه [١] . وإنَّ ذٰلك والحقُّ يُقالُ لَمِنَ الطُّرُقِ الجديرةِ أنْ تُكتَبَ بماءِ الذهَبِ حتى يسيرَ على مِنوالِها أولو الألباب

هٰذا وإِنْ شاءَ اللهُ أُوافيك في رسائلي الآتيةِ بشيءٍ آخرَ من نحوِ ما ذكرتُه لك اليوم ، دمتَ لابنِ عمّك فلان

---

من تلميذ إلى أخته يخبرها بحاله في المدرسة

أيّتها الأختُ المصونة

شَوقي إِليكِ أنتِ تعلمين عظيمَ مِقدارِه وسلامي العاطِرُ أنتِ تقطِفين يانعَ ثِمارِه ، فلذا أضربُ صفحاً عن هٰذا وذاكَ وأقتَصِرُ على إِنجازِ ما وعدتُكِ به ساعةَ الوَداعِ من أني أُراسِلُكِ آونةً بعد أُخرى ، فأقول :

بعد وُصولي إِلى المدرسةِ بقيتُ مستَوحِشاً [٢] مدّةً من الزمنِ

---

١ يعدي قرناءه أي يكسبهم ما به من قبح الصفات ، وفي المثل : قرين السوء يعدي قرينه ٢ مستوحشا أي شاعرا بالوحشة وهي خلو القلب مما يحب

لوُجودي بينَ نحوِ خمسِمائةِ تلميذٍ لا أعرِفُ واحداً منهم ، ولـكنْ لم يمضِ عليَّ إلّا أيامٌ قليلةٌ حتى تعرَّفتُ بجملةِ طُلّابٍ [١] ممّن هم أرغَبُ في الدُّروسِ وأكثرُ احتراماً للأساتذةِ وأشَدُّ تمسُّكاً بقوانينِ المدرسة ، فلازَمتُهم ملازمةَ الشَّجَرةِ للمكان والفَيءِ للإنسان وأكبَبتُ [٢] معهم على موائدِ العُلومِ إكبابَ الصَّديانِ [٣] على المَعينِ [٤] ولا سيّما شخصاً من أولادِ القُرى رأيتُه أحسنَ تلاميذِ فصلي أدَباً وذكاء ، فزرَرت أزرارَ عِشرتي بعرى صُحبتِه وشحَذتُ كليلَ فكري بحِدّةِ فكرتِه [٥] ولم أزَلْ هكذا إلى الآن

وأمّا المدرسةُ فهي مُستوفيةُ النِّظامِ مستجمِعةٌ [٦] للآدابِ والعُلومِ واللُّغات ، وبها معلِّمون لا يُعامِلوننا إلّا بالحِلمِ واللِّين ، أللّهُمَّ إلّا إن دعتِ الضَّرورةُ إلى رُكوبِ متنِ الشدّةِ في بعضِ الأحايين

---

١ طلاب جمع طالب وهو التلميذ ٢ أكببت أقبلت ٣ الصديان العطشان ٤ المعين هو الماء الصافي لجريانه ٥ فزررت الخ أي تمسكت بصحبته تمسكا قويا واستفدت منه فائدة عظيمة ٦ مستجمعة أي جامعة

فلا خيرَ في حِلمٍ إذا لم تكنْ له * بوادرُ تحمي صَفوَه أن يكدَّرا[1]

وأمّا من حيثُ أسبابُ الصحّةِ فهي على غايةِ ما يرامُ من النَّظافةِ وطِيبِ المآكلِ والرَّاحةِ في المنام ، وبهذا أعُدُّ نفسي أسعدَ الناسِ كافّةً لولا بُعدُ الوالدَين وحِرماني مشاهدتَكِ أنتِ ياقُرّةَ العين ، أطال اللهُ عمرَكِ الثمين وأسعدَكِ وأهلَ البيتِ أجمعين

أخوكِ فلان

الجواب — إلى خيرِ الإخوة

بينما كانتِ الأشواقُ تجذِبُني والأشغالُ تقعِدُني إذ وردَ عليَّ كتابُكَ الكريم ، فتناولتُه بيدِ الفرحِ والتعظيم . ولمّا شرعتُ في قراءتِهِ سالتِ العَبَراتُ على وَجنتَيَّ حتى بلّلتِ القِرطاس ، ولم أزَلْ كذلك حتى انتهيتُ إلى قولك: « وأكببتُ على العلوم إكبابَ الصَّديان على المعين » فهدأَ به جأشي[2] وانقطعَ دمعي وقرّتْ عيني ثم إني سُرِرتُ بالتفاصيلِ التي بعثتَ بها عن مدرستِك

---

[1] البوادر جمع بادرة وهي الحدة ، أي : لا خير فى حلم اذا لم تتبعه الحدة عند الحاجة ، والبيت للنابغة الذبياني أحد فحول الشعراء فى جاهلية العرب . كانت وفاته سنة ٦٠٤ م [2] الجأش هو اضطراب القلب عند الفزع

ولكني أهتَزَزتُ إلى أنتخابِك [١] خيرَ التلاميـذ أصحاباً لك مما يدُلُّني على صَلاحِك وجِدِّك وحُسنِ قصدِك وأنك ستصيرُ رجلاً يفتَخِرُ به الإِخوان ويعتَمِدونه في الأُمور ذاتِ الشأن، فدُمْ على تلك الحال يبتسِمْ لك الحالُ [٢] والاِستقبال

هذا وجميعُ مَن عندَنا يُقرِئونك [٣] تحيّةَ الوداد ويتمنَّون لك تمامَ النجاحِ وراحةَ الفؤاد أختك فلانة

---

من أب إلى ابن له يوبخه على نقصان درجاته في السلوك

ولدي

قد جاءَني من قِبَلِ وكيلِ المدرسةِ شهادةُ ثلاثةِ الأشهُرِ الماضيةِ مشتملةً على ما تستحِقُّه من الدَّرجاتِ في تلك المدّة. فإِذا درجاتُ شُغلِك جيّدةٌ مَرضيّة ولكنْ درجاتُ سلوكِك قليلةٌ رديّة لأنها ثلاثٌ من عَشْرٍ فقط، ومن البديهيّ أنّ هذا

---

١ اهتززت الى انتخابك أي صرت بسببه في أعلى مراتب السرور ٢ الحال الاولى بمعنى صفة الشيء التي هو عليها من خير أو شر، والحال الثانية بمعنى الزمن الحاضر، ويبتسم لك الخ أي يجري على حسب ارادتك ٣ يقرئونك يبلغونك

أمرُ هيهات أن يقعَ عنـدي موقِعَ الاستحسان فإنّ العلومَ التي تتلقّاها وإن كانت ضروريّةً ليستْ بشيءٍ في جانبِ التهـذيب . . . على أني لم أُرسِلْك إلى تلك المدرسةِ الطائرةِ الصّيتِ في الآدابِ وحُسنِ التعليم إلّا لتُصلِحَ نفسَك وتُهذّبَ أخلاقَك فإني اختبرتُ الناسَ دهراً طويلاً ووقفتُ على تواريخهِم جيـلاً فجيلاً فوجدتُ أنْ لا فائدةَ في التعليمِ ما لم يقترنْ بالتهذيب بل إنَّ الإنسانَ لا يُعَدُّ إنساناً كاملاً إلّا إذا حَسُنَ سلوكُه وكَمُلتْ صفاتُه

هذا وما أنا بالجاهلِ أنّ تهذيبَ الأخلاقِ في عصرِنا قد أصبحَ أمراً مسكوتاً عنه في بعضِ المدارسِ فلذا نرى العقـلاءَ يمتنعون من أن يبعثوا بأثمارِ أكبادِهم إليهـا لعلمِهم بما يترتّبُ على تركِ الآدابِ من هدمِ أركانِ الأُسَرِ بمعاولِ العُقوقِ والخِصام ، فيختارون لهم أساتذةً يُعلّمونهـم في منازلِهم أو يُرسِلُونهم كما فعلتُ أنا بك إلى تلك المدارسِ التي لم تزلْ سيماها نشرَ لواءِ الفضيلةِ والأدب . . . وعليـه فإن أردتَ أن تُرضيَني

وتُزيلَ آثارَ سُخطي عن صفحةِ جبينِك فزاوِلْ[١] الاجتهادَ حتى تنالَ دائمًا أعلى درجةٍ في السُّلوك فإنّ هذا يُهمّني أكثرَ من العلوم

والدك فلان

الجواب — والدي العزيز

بعدَ أداءِ ما فُرِضَ عليَّ من الخُضوع والاحترام أُفيدُك أنه قد أتاني كتابُك على حينِ غفلة ، وحالمًا فضضتُه استروحتُ[٢] ريحَ العِتابِ من طيّه، فشرعتُ في قراءته بينَ الرجاءِ والخوف وإذا بوميضِ[٣] السُّخطِ يلمعُ من خِلالِ عِباراتِه ، فراعني هَولُ ذاك الموقفِ الرّهيب وسالتْ مدامعي ندمًا ، لا لكوني أهملتُ بعضَ الواجباتِ وإنْ كان ذلك أمرًا نُكرًا بل لأني أسخطتُ والدي الحنون، فلذا أقبلتُ على نفسي ألومُها لِما ألبستْنيهِ لديك من رِداءِ الخجَل ، ولكنْ أملي أنك تغفرُ لي هذه الهفوةَ لِما تراني عليه من شِدّةِ الندامة . وها أنذا طالبٌ دعاءَك الصالح ، ولِلّهِ عليَّ عهدٌ أنك لا ترى مني بعدَها إلّا ما يَسُرُّك بمنّهِ وكرَمِه

ولدك فلان

---

١ زاول داوم ٢ استروحت شممت ٣ الوميض اللمعان

من أم إلى ابنها تعنفه على سوء سلوكه في المدرسة

يا ولدي

أمّا بعدُ فقد بلغَني ما انتهى إليه أمرُكَ من إهمالِ دُروسِكَ وأنكَ تُهَوِّشُ[١] بينَ التلاميذِ بالتكلُّمِ والضحكِ وعدَمِ انتظامِكَ في محلّكَ أثناءَ التعليم والتمرُّدِ على الأساتذةِ ومُخالفةِ أوامرِهِم والإغلاظِ لهم في الكلام ، فأدهشَني صُدورُ مثلِ هذا منكَ وما كنتُ لأُصدِّقَه لولا أنْ جاءَتِ الشّهادةُ الشهريّةُ مؤكِّدَةً لذلك الخبرِ مُفصِحةً عن تأخُّرِكَ في فصلِك

فجرَحتَ قلبَ أُمِّك جرحاً لا أُظُنُّ له التئاماً[٢] وأسأتَ إلى والدِكَ كلَّ الإساءَة ... فما تقصِدُ بذلك ؟ أتُريدُ أنْ تُكَدِّرَ صفوَ والديْك وتُنَغِّصَ حياتَهما بسوءِ سيرتِك ؟ ... أبهذا تُقابِلُ محبّتَهما وأتعابَهما ؟ ... ألهذا وضَعاكَ في المدرسةِ وأنفقا مالَهما في تربيتِك ؟ أم أنت راغِبٌ عن حُسنِ مُستقبلِك ومُفضِّلٌ على الرِّفعةِ الضِّعةَ وعلى الحياةِ الرضيّةِ الرديّةَ ؟ .....

---

١ تهوش تفسد ٢ التئاما شفاء

أَفِقْ أيها المغرورُ من نَومِك وقَوِّمْ من أَوَدِك ودَعِ الطَّيشَ والكسَل والْزَمْ الِاجتهادَ في العمَل واْستمِلْ إِليك قُلوبَ المدرِّسين بطاعتِك لأنهم إِنما يبذُلونَ أنفسَهم لإنارةِ عقلِك ولا غرَضَ لهم سوى نفعِك والسَّعيِ وراءَ ما يعودُ عليك بأرتقائك ويكفُلُ لك خيرَ حالٍ وأَسعَدَ أستقبال

فاتَّعِظْ بما أعِظُك به يحسُنْ ذِكرُك ويرضَ عنك الجميع

والدتك فلانة

الجواب — والدتي الرحيمة

تلقَّيتُ كتابَك ، فعلِمتُ من عُنوانِ الغِلاف مصدَرَه الشريف ، فقبَّلتُهُ أحتراماً ووضَعتُه على رأسي إِكراماً ، ثم فضَضتُه مشتاقاً إِلى أخبارِك ، وإِذا هو يرميني بصواعقِ التبكيتِ والتهديد . . . فما كِدتُ أُتِمّ قِراءتَه حتى أمطرتْ عيناي دموعَ النَّدَم وأقبلتُ أَلومُ نفسي على ما سوَّلتْ لي من سوءِ سُلوكي في المدرسة وعدَمِ مُبالاتِي بعِصياني أساتذتي وإِسخاطي والديَّ وإِنكاري جميلَهم عليّ

حقًّا إِني لِمَنَ العاقّين حيثُ قابلتُ الإِحسانَ بالإِساءَةِ وتصرَّفتُ تصرُّفَ مَن لا يعلمُ أنه في دارٍ اُنقطعَ فيها لِاُقتباسِ العُلومِ وتهذيبِ الأخلاق لا لإِضاعةِ أعزّ الأيامِ في اللَّهوِ والطُّغيان [1] ! . . . ولكنْ قدِ اُعترفتُ بخطئي ورجعتُ أُوَبّخُ نفسي على قُبحِ سَيري وَاُضطُرِرْتُ أن أسلُكَ سبيلَ الِاُستقامةِ وأُتَمّمَ واجباتي على أُسلوبٍ يُرضيكِ أنتِ ووالدي وأساتذتي ، وستَرَيْنَ في الشهادةِ الآتيةِ ما يدُلُّ على صِدقي ووَفائي بوعدي ويشرَحُ صدرَكِ ويُقِرُّ عينَكِ . وإِنما أسألُكِ اليومَ الصَّفحَ عن تلك الزَّلاتِ وأن تشمَليني بمُستجابِ الدَّعوات ولله عليَّ ألّا أعودَ إِلى مثلِ ما اُقترفتُه إن شاءَ الله ولدكِ فلان

---

في مواصلة الوداد

أيها الأديبُ الفاضل

شَوقي إِلى لِقائك لا يُعبَّرُ عنه بلسان ولا يُوصَفُ ببيان فإِنك ماثِلٌ [2] في قلبي ودائمٌ نُصبَ عيني ، لا أزالُ أُرَدِّدُ اُسمَك

---

[1] الطغيان مصدر طغي أي بالغ في المعاصي [2] ماثل حاضر

على لساني وأُكَرِّرُ ذِكرَكَ في جَناني شَغفًا [1] بك وحنينًا إليك لِما أنتَ عليه من المكارِمِ واتِّساعِ المعارفِ ونقاوةِ الحسَبِ وأَصالةِ [2] النسَب . وحيثُ قد مضى ردَحٌ من الدَّهرِ ولم أُحرِّرْ لجنابك رسالةً ولم أتشرَّفْ من جهتِك بما فيه بَلالُ [3] غُلّةٍ أو شِفاءُ عِلّةٍ لم أجدْ بدًّا من أن أكاشِفَك [4] بالعُذرِ المانعِ من مُكاتبتِك ومُقابلتِك لعلّه يكونُ مقبولاً لديك

وهو أنه قد دهِمَني [5] مرَضٌ أَلزمَني السريرَ نحوَ شهرين ، وبعدَ أن نقِهتُ منه سافرتُ مع أبي إلى أُوروبّا طلبًا لِتمامِ الشفاءِ وتبديلِ الهواءِ وقضاءِ بعضِ مآربَ تخُصُّه ، وحينَ رُجوعي بادرتُ بتحريرِه [6] إليك راجيًا من هِمّتِك ألّا تحرِمَني أخبارَك كيلا يشُقَّ عليَّ طولُ الفِراق . وها أنذا أبذُلُ ما في طاقتي لزِيارتِك عما قريبٍ إن شاء الله ، دمتَ زينةَ الإخوان والسلام

ودودك فلان

---

١ شغفا حبا ٢ الاصالة الجودة ٣ البلال هو ما يبل به الحلق من ماء وغيره ٤ أكاشفك بالعذر أطلعك عليه ٥ دهمني أصابني ٦ الهاء في تحريره ترجع الى معهود حاضر وهو هذا الخطاب الجارية كتابته الآن

الجواب — عزيزي

وصَلتْني رسالتُكَ ، فألفيتُها مُعطرةً بنَشرِ مودَّتِك وطِيبِ صُحبتِك وجميلِ المزايا التي من شأنها أن تَزيدَني محبّةً لك لو لم تبلُغْ محبّتي إياكَ غايتَها . فلِلّهِ أنت أيها الصَّديق ! ما أنقى صفاتِك وأعلاها وأسمى مآثِرَكَ [١] وأغلاها ! حقًّا إني لم أجدْ لك مثيلاً في صِدقِ الإخاءِ وصِحّةِ الوفاء . ثم لا تسلْ عما عراني من الاضطرابِ عندَ وُقوعِ بصَري على قولك : « قد دهِمني مرض » إلّا أني هدأتُ جاشًا بالسَّطرِ التالي حيثُ وجَدتُه مُبشّراً بالشفاء ، فحمِدتُ اللهَ ودعوتُ لك بطولِ البقاء

هذا وقد أطريتَ [٢] في مدحي فرفَعتَني فوقَ قَدري وألبستَني ثوبًا فصَّلتْه محاسنُك وخاطَه حُسنُ نيّتِك ، فزادَ على قامتي ! . . . ولٰكنْ لا غروَ فمِن شيَمِكم سلالةَ الأماجِدِ أن تصِفوا الغيرَ بما فيكم من المحامِدِ وعادةُ الكريمِ أن يمدَح وكلُّ إناءٍ بما فيه ينضَح [٣]

---

١ المآثر جمع مأثرة بفتح الثاء وضمها وهي الامر الحسن الذي يذكر عن المرء
٢ أطريت بالغت ٣ ينضح يرشح ، والعبارة مثل أي ان الكلام صفة المتكلم فكل امرئٍ يتكلم بحسب صفاته الخاصة به

وفَّقَــكَ اللهُ لِمَا يرضاه ومتَّعَني عمـا قريبٍ باُجتلاءِ رؤيتِك ولا حرَمَني أبداً خالصَ مودّتك        المخلص في محبتك

فلان

---

من رئيس جمعية خيرية إلى بعض المحسنين في طلب إعانة

أيها الفاضل

نحنُ أعضاءَ جمعيّةِ كذا الخيريّةِ نسترحِمُ نفسَكم الكريمة وعَواطِفَكم الشريفة لذلك العَددِ الكثيرِ من الفقراءِ والبائسين الذين تعهَّدتْ جمعيتُنا إعانتهم . فمن هؤلاءِ تلاميذُ لا قُدرةَ لهم على طَلَبِ العِلمِ لقلّةِ ذاتِ اليد [1] ، وأطفالٌ فقدوا والديهم ، وأمّهاتٌ مقطوعاتٌ عن الأهلِ والعَمَل ، وآباءٌ عاجزون عن القِيامِ بنفقَاتِ عِيالِهم ، وغيرِهم ممّنْ أخنى [2] عليهمُ الدهر ، فهم يَعيشون معيشةً ضَنكاً [3] بل منهم مَن لا يجدون ما لا بدَّ منه لِقوامِ الحياة ، فيُصبِحون ويُمسون بلا قوتٍ ولا مأوًى ولا ملبَس

---

١ ذات اليد أي المال ٢ أخنى جار ٣ ضنكا ضيقا يستوي فيه المذكر والمؤنث

ولا حيلةَ لهم على النُّهوضِ مما أوقعَتْهم فيه حوادثُ الزمان إلّا بما يتبرَّعُ به أمثالُكم، فكأنّ حياتَهم بأيديكم، إن شِئْتُم عاشوا وإِن شئتم ماتوا، فاختاروا لهم ما يحلو لأنفسكم!... ولا ريبَ أنّ الذين يُنفِقون من أموالِهم في تخفيفِ مصائبِ البؤساء يُقرِضون اللهَ قَرْضاً حسناً يُضاعِفُه لهم في أنفسِهِم وأُسرتِهِم وأعزّائِهِم أضعافاً مُضاعَفةً ويدفَعُ به عنهم مكروهَ الدُّنيا والآخرة

فالأملُ من مكارِمِكم أن تُجيبوا دعوتَنا وتُمِدُّونا [1] بما تقدِرون عليه سواءٌ كان نقداً أو عيناً [2] ونحن بالنّيابة عنكم نُوَزِّعُه على المحتاجين واللهُ لا يضيع أجر المحسنين، لا زِلتم ملجأً للقاصدين رئيس الجمعية فلان

الجواب — أيها الفاضل

مُرسَلٌ إليك ورقةٌ نقديّةٌ بعشَرةِ جُنَيهاتٍ وأربعةُ أعدالٍ [3]

---

١ تمدونا تساعدونا ٢ نقدا أي النقود ، وعينا أي بما سواها من نحو ملبوسات وأطعمة وغيرها ٣ الاعدال جمع عدل بكسر العين وسكون الدال وهو الكيس الكبير

دقيقٍ وخمسةُ قُفَفِ بُنٍّ [١] وأنواعٌ من الملبوسات، معَ رجائي أن تُوَزِّعَ الجميعَ بيدِ الحِكمةِ على مَن يكونُ أشدَّ فقراً وأكثرَ حاجـةً، علَّكَ بذلك تُشبِعُ جائعاً وتُطفِئُ لَوعةً من عِيالِ الله [٢] وتمسَحُ دمعةً من دُموعِهِم الغزيرة، دمتَ واسطةً لـكلِّ خير

فلان

من شابٍّ متخرِّج من المدرسة

إلى أستاذه القديم يهنئه بدخول السنة الجديدة

سيّدي الأستاذَ المحترَم

بعدَ أداءِ ما يليقُ بمقامِكَ الـكريمِ من واجبِ الاحترامِ وكمالِ التعظيمِ أُنهي إلى حضرتِك أنه لمّا آذَنتْ هذه السنةُ بالانقضـاءِ بادرتُ بتحريرِ هذا لينوبَ عني في تأديةِ جميـلِ

١ البن شجر دائم الخضره يبلغ ارتفاعه ستة أمتار، أوراقه سهمية الشكل لامعـة اللون، وأزهاره بيضاء زكية الرائحة، وثمره كروي بقدر حجم حب الجلبان ذو فلقتين كل منهما محدودبة من جانب مسطحة من الآخر مشقوقة من الوسط، يستخرج منه الشراب المعروف بالقهوة، وهي صحية تساعد على الهضم وتورث البدن نشاطا والذهن نباهة وتقويه على الاعمال العقلية، ومع ذلك لا ينبغي الافراط منها لما فيها من التأثير الشديد في المجموع العصبي ٢ عيال الله هم الفقراء

التهاني بإقبالِ السنة الجديدة ، ويَشهَدُ اللهُ أني لولا البعدُ لمَا اكتفيتُ بتحريرهِ عن زيارتي لتلك الأعتابِ ساعياً بقدَمي لا بكَلِمي لأقبّلَ يمينَ الفضلِ بفمي لا بقلَمي ، جعلَه اللهُ لك عاماً مباركاً وأطالَ أيامَك النفيسةَ للشُّبّانِ كي ينظِموا من جليلِ فوائدِك عُقودَ الجُمان وأنت لا تزالُ قريرَ العين تُودِّعُ عاماً وتستقبلُ عاما

زها بك في البرايا خيرُ عيدِ * وأقبلَ يُزدهى بصفا مَزيدِ [١]
وفيهِ الدهرُ قد أبدى التهانيْ * إليك وأنت فى عَيشٍ رَغيدِ
تُرَبّي الطالبين بكلِّ علمٍ * وآدابٍ معَ السَّعي الحميدِ
فلا زلتَ الملاذَ لكلِّ شهمٍ * مدى الأيامِ في عزٍّ مديدِ

فلان

الجواب — حضرةَ المُحَبّ الأديبِ

وردَ كتابُك الرشيقُ [٢] في مبناه ، الرقيقُ في معناه ، فقابلتُه بصدر رحيب ، وتلوتُه بلسانٍ رطيب ، فإذا هو يشُفُّ عن ودٍّ كريم ، وذوقٍ سليم ، فشكرتُك أنْ جعلتَ لي ذِكراً في فؤادِك ،

---

١ زها أشرق ، ويزدهى يزداد زهوا أي حسنا ٢ الرشيق في مبناه أي الظريف المنسجم الالفاظ

وحظًّا من وِدادِك ، ولا بدعَ إذا تمثَّلَ فيك الوفاء فإنك صورةٌ من نفسي والكريمُ أعرفُ للإحسان

ولقد حمِدتُ إليك اللهَ[١] الذي ذلَّلَ لك طريقَ النجاح وأحلَّك من قومِك المحلَّ الأرفَع وإنَّ ما أعهدَه فيك من راجحِ العقلِ يكفلُ لي أنك لا تفتأُ تُتعِبُ نفسَك وتُسهِرُ جفنَك في تتميمِ واجباتِك على وجهٍ يُرضي الجميع . وإياكَ وسقَطاتِ[٢] اليدِ واللسان ، فإنها لا تُنتِجُ سوى الحِرمان

وأعلَمْ أنَّ الاعتمادَ على النفسِ أفضَلُ خَلةٍ وأجمَلُ حُلّةٍ فاجعَلْ من نفسِك على نفسِك رقيباً وهَبْ لدِينك من دُنياكَ نصيبا ، وتمسَّكْ به فإنه أساسُ الارتقاء ودواءُ كلِّ داءٍ لأنَّ الدِّينَ يصُدُّ عن المحارمِ ويحُضُّ على المكارم . أقولُ ذلك وأنا واثقٌ بأنك لا رائدَ لك إلّا عملُك وأدَبُك ولا فِعلَ إلّا ما يستوجِبُه قَدرُك والسلام　　　　فلان

---

١ حمدت اليك الله أي شكرته بسبب ما عندك من النعم　٢ سقطات جمع سقطة وهي الزلة والعثرة — تنبيه : يرى القارئ أن البعض من كلام هذا الجواب مرسل والبعض الآخر مسجع ، وذلك طريق محمود جدا في عصرنا وكثير الاستعمال بين الادباء فتدبر

من أم إلى معلمة تسألها ألا تعاقب بنتها يوم العطلة

سيدتي المعلِّمة

بلَغَني بلَّغَكِ اللهُ جميعَ المآربِ [١] أنكِ مُصِرَّةٌ على حجزِ [٢] أُبنتي أنيسةَ في المدرسةِ يومَ العُطلةِ [٣] الآتيةِ لتقصيرِها في بعضِ واجباتها ، فبعثتُ إليكِ بهذه الرِّسالةِ راجيةً أن تُسامِحيها [٤] هذه المرَّةَ فإنها تكرَهُ العِقابَ كثيراً وتخجَلُ أن تسمعَ به أترابُها وقد تعهَّدتْ أن تسلُكَ أحسنَ سُلوكٍ من الآنَ فصاعِداً وأنا ضامنتُها لكِ بذلكِ ، على أني عازمةٌ على أخذِها معي إلى النُّزهةِ وزيارةِ بعضِ صديقاتي ولكِ الفضل

فلانة

---

١ المآرب جمع مأرب ومأربة بمعنى الحاجة ٢ الحجز في اصطلاح أهل المدارس عبارة عن وضع تلميذ مذنب في فصل ( dans une classe ) والزامه بكتابة شيء على حين أن رفقاءه فرغون من الدروس ٣ اعتادت المدارس النظامية أن تبطل من الاعمال الدراسية يوماً كاملاً كل شهر فيحسن بالتلاميذ والتلميذات والمعلمين والمعلمات أن يشغلوا ذلك اليوم بالرياضات البدنية في روضة أو سفر غير بعيد حتى تستريح عقولهم وتكتسب قوة جديدة للعمل ٤ مما يذكر بقلب ملؤه الاسف أنه يوجد أناس اذا اقترف أولادهم ذنباً يستوجب عقاباً من قبل المدرسة يحولون بينها وبين تنفيذه أو يسألونها أن تصرف النظر عنه ، ولكن لا يلبثون أن يجتنوا ثمار ما غرسته أيديهم فان هؤلاء المنصورين ظلما المدللين جهلا قلما يتعلمون شيئا ينفعهم بل كثيراً ما تركوا موائد التعليم وعقولهم أفرغ من يد القابض على الماء

الجواب — أيتها السيّدة

وصَلَني خِطابُكِ المؤرَّخُ في كذا ، وكان بودّي لو أَجبتُكِ إلى طلَبِك ، ولكني رأيتُ في الإجابةِ خِلابة[١] ، ومعاذَ اللهِ أن يخدَعَ مِثلي سيّدةً مِثلَكِ خبيرةً بسَيرِ التلميذاتِ والمُعلّماتِ عالمةً بما على كلٍّ من الواجِبات[٢]

كيفَ يُمكِنُني أن أُسامِحَ ٱبنتَكِ وهي قد عمِلتْ كذا وكذا وقالتْ كيتَ وكيت؟...إلى غيرِ ذلك مما يُخِلُّ بنِظامِ المدارسِ ولو تُغوضِيَ[٣] عنه في إحداها لَدبَّتْ[٤] روحُ الإنحطاطِ في تعليمِها وسرى سمُّ الفسادِ في آدابها ، فتخرُجُ منها التلميذاتُ ناقِصاتٍ عِلماً وأدبا . ثم لقد قلت : « إنها تكرَهُ العقاب الخ » وهذا بديهيٌّ[٥] لأن المُسيئةَ تكرَهُ دائماً أن تُسامَ عُقبى سيّئاتِها ولاسيّما أمامَ رفيقاتِها ، على أننا لو أهمَلنا عقابَها لَأجرأناها على التمادي في طُغيانِها ، بخِلافِ ما إذا جزَينَاها بما جنتْ يداها فتعلَمُ أنَّ

---

١ الخلابة الخديعة والغش ٢ قول المعلمة : ( خبيرة الخ وعالمة الخ ) يعد منها تأدبا فان سؤال تلك الام لا يدل على أنها خبيرة بشيء ولا أنها عالمة بواجب من الواجبات
٣ تغوضي تسوهل ٤ دبت انتشرت ٥ هذا بديهي أي انه يفهم من غير تأمل

هنا معلِّمةً تنصُرُها عليها أُمٌّ عاقِلةٌ فلا يكونُ لها بدٌّ من أنْ تُقلِعَ عن عاداتِها الذميمةِ وتُصلِحَ سيرتَها في القريبِ العاجل . أمَّا قولُكِ : « وأنا الضامنةُ بها » فأنتِ أدرى بقيمةِ ضمانِ الأُمّهات [1] وما ينبغي أن يُوجَّهَ إليه من جانبِ الإلتفات . وأمّا عزمُكِ على الخُروجِ بها إلى النُّزهةِ وغيرِها ذلك اليومَ فربما كان العُدولُ خيراً [2] لحالِها ومآلِها مما أُفَوِّضُه إلى فِطنتِك

هٰذا والأملُ أنكِ لا تؤاخِذيني على ما أنطقَني به الحقُّ في بيانِ أوجُهِ امتناعي عن إجابةِ طلبِكِ وتفهمينَ أني لم أقصِدْ في ذلك كلِّهِ إلّا مصلحتَكِ أنتِ ومصلحةَ ابنتِكِ خاصّة . وعلى كلٍّ فالرأيُ لسيّدتي والسلام

فلانة

---

١ المراد بضمان الامهات هنا هو ضمانهن بأولادهن في مثل هذه الحال التي نحن فيها الآن لا ضمانهن مطلقا ٢ لا شك أن العدول هنا خير بمراحل بل أنه واجب حتما حتى أن العمل بخلافه يعد جناية على مستقبل البنت ، فكم من تلميذ ضيع والداه مستقبله بسبب تداخلهما الأعمى في أموره الخاصة بالمدرسة ولا سيما اذا ضغطا على حرية المعلمين ولم يساعداهم على تأدية وظيفتهم الصعبة

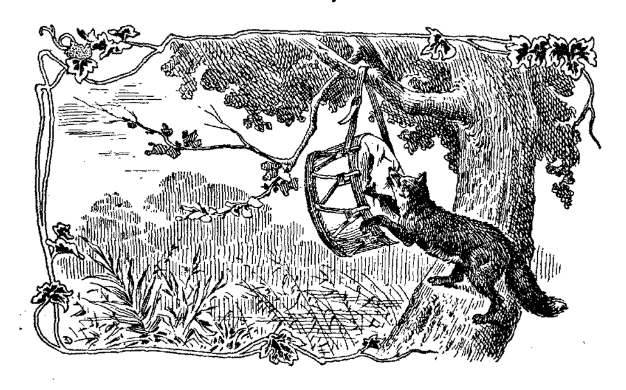




# الباب الرابع

## في الحكايات المثلية

### الثعلب والطبل



أتى ثعلبٌ أجمةً فيها طَبلٌ[١] مُعلَّقٌ على شجرة . وكان كلَّما هبَّتِ الرِّيحُ على الشجرةِ حرَّكتْها فمالَ إلى الطَّبلِ بعضُ أغصانِها وضرَبَه ضرباً شديدا ، فسُمِعَ له صَوتٌ عظيم

١ الطبل ( Le tambour ) آلة موسيقية على هيئة صندوق أسطواني ذي جلد مشدود في طرفيه يضرب عليه بقضيبين

فتوَجَّهَ الثعلبُ نحوَهُ لأجلِ ما سَمِعَ من عظيمِ صَوتِهِ، وعندَ ما وصَلَ إليه وَجَدَه ضَخماً مشدودَ الجلدِ، فظَنَّ أنه كثيرُ اللَّحمِ، فعالَجَه حتى شقَّه، فلما رآه أجوَفَ لا شيءَ فيه قال : ربَّما كان أردأُ الأشياءِ أجهرَها [1] صوتاً وأعظمَها جِسماً . مغزاه [2] :

يجبُ على ذَوي الأفهام * ألّا يَغتَرُّوا بجَسامةِ الأجسام

---

## النعجة وكلب الغنم

إِصطَحَبَ كلبٌ ونعجة [3] . فأقبلتِ النعجةُ تشكو إليه سوءَ حالِهما، تقول : آه يا أخي مما نحن فيه ! . . . تاللهِ إنَّ قلبي ليكادُ ينفَطِرُ [4] كمَداً [5] كلّما تفكّرتُ فيما نُقاسيهِ من مظالِمِ الناسِ لنا . . . أنتَ تخدِمُهم بكلِّ نَشاطٍ وأمانة وتُجازى منهم بالضَّربِ

---

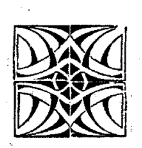
١ أجهرها أعلاها ٢ الهاء في مغزاه ترجع الى الكلام المار ذكره ، ومغزى الكلام هو المقصود منه ٣ النعجة ( la brebis ) أنثى الضأن وهي من الحيوانات الاهلية المجترة التي يغني عن وصفها كثرة وجودها في جميع البلاد . لها لحم صحي مغذ وصوف مرغوب فيه للملابس وغيرها ، يستعمل جلدها في أمور عديدة تروج تجارتها . ولبنها جيد جدا يتناول سائلا أو يصنع منه جبن لذيذ غالي الثمن يعرف باسم ركفور ( roquefort ) ٤ ينفطر ينشق ٥ كمدا حزنا

والإِهانة ، وأنا أُوتيهِم أفضَلَ الملابسِ وأنقى اللَّبَنِ وكلَّ يومٍ أُشاهِدُ أن بعضاً من أقارِبي يتَّخَذُ طعاماً لأولئك اللِّئام .
فقال لها الكلب : صدقتِ يا أُختي ولكنْ لو أعَرتِ الحقيقةَ جانِباً من الرَّوِيّةِ لهانَ عليكِ ما نحن فيه ، أفتظنّينَ أنّ من يظلِمونَنا يسعَدون بفعلِهم ؟ أو أنهم أحسَنُ منا حالاً ومآلاً ؟ . . . كلّا بل لو نظرتِ إِليهم بعينِ الإِنصافِ [1] لعلِمتِ أنْ لا سعادةَ للظالمين وأنّ ما سيصيرون [2] إِليه من سوءِ العاقبةِ يجعلُهم أجدَرَ من غيرِهم بأنْ يُتأسَّفَ عليهم ويُرثى لحالِهم . مغزاه :

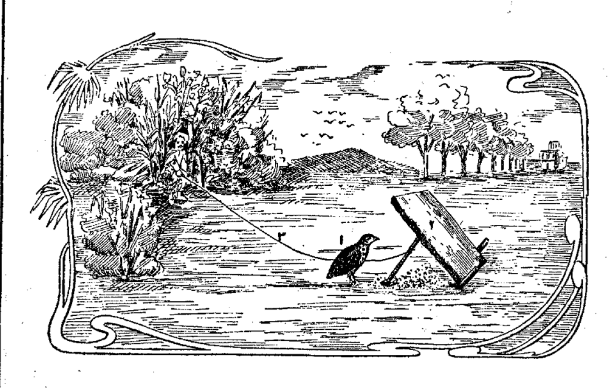
لَأنْ تتحمَّلَ المظالِمَ * خيرٌ من أنْ تكونَ أنتَ الظّالِم

---

١ الانصاف هو العدل وضده الظلم ٢. الضمير في سيصيرون يرجع الى الظالمين



## السماني والفخ




حُكيَ أنَّ سُمانى ١ مرَّ بفَخٍّ وخاطبَه بقوله : مالي أراكَ

١ السمانى ( la caille ) طائر صغير متململم الجسم سمينه ، معتدل المنقار والرأس ، قصير الرقبة والذنب والجناحين والرجلين ، ظهره وجناحاه سمر يتخللها خطوط برتقالية وحنجرته وحوصله وبطنه بيض مشربة سوادا مع نقط سمراء وبعض لون برتقالي في حوصله . يأوي الى البساتين والكروم وحقول القمح ، ويتغذى ببعض صغار الحبوب والحشرات والاعشاب الطرية . له صوت رخيم يغرد به صباح مساء عدة ساعات متوالية . لحمه غض لذيذ خصوصا من آخر الصيف الى أول الربيع . طيرانه ضعيف فلذا يلبد بالارض ويكثر من المشي ولا يكاد يطير الا أن يطار . وهو من الطيور القواطع التي تقضي فصلي الربيع والصيف في البلاد الباردة ثم تسافر الى البلاد الحارة وتقيم فيها الفصلين الآخرين . تحفر أنثاه عشها في الارض وتبطنه بناعم النبات والورق وتبيض فيه من خمس عشرة الى عشرين بيضة تحضنها وحدها نحو ثلاثة

مُتباعِدًا عنِ الطريق ؟ فأجابَه الفَخّ : أردتُ العُزلة عن الناسِ لِآمَنَ منهم ويأمَنوا مني . فقــال : ومالي أراكَ مقيمًا في التُّراب ؟ قال : تَواضُعاً . فقال : ومالي أراكَ نحيلَ الجسمِ ؟ قال : أضنَتْني العبادة . فقال : وما هذا الحبل ؟ قال : هو شِعارُ النُّسّاك . فقال : وما هذه العصا ؟ قال : أتوكَّأُ عليها . فقال : وما هذا القَمحُ المنثورُ عندكَ ؟ قال : هو فَضلُ قوتي أعدَدتُه لفقيرٍ جائعٍ أو ابن سبيلٍ مُنقَطِعٍ . فقال : إني ابنُ سبيلٍ وجائعٌ فهلْ لك أن تُطعِمَني ؟ قال : نعم دونَك

فلمّــا ألقى السُّمانى مِنقارَه على القمحِ أمسكَ الفخُّ بعنُقه . فقــالَ له : بئسَ ما اختَرتَ لنفسِك منَ الغَدرِ والخديعــةِ والأخلاقِ الشنيعة ، ولم يشعُرْ إلّا وصاحِبُ الفَخِّ قد خرَجَ من مكمَنِه وقبَضَ عليه . فقالَ السمانى في نفسه : كيفَ لي بالخلاصِ وقد لاتَ حينَ مناص . مغزاه :

مَن تهوَّرَ ندِمِ * ومَن حذِرَ سَلِم

---

أسابيع ثم تخرج الفراخ كاسيات ويجرين حالا وراء أمهن في طلب القوت ، ويكمل نموهن في أربعــة أشهر ويطول عمرهن الى خمس عشرة سنة وربما زاد على ذلك

## الكرم والكرّام

أقبلَ رجلٌ في آخرِ الشتاءِ يُقلِّمُ كرمةً له[١] ، فأخذَ يقطعُ فروعَها الفاسدةَ غيرَ مُبالٍ بما يُحدِثُه لها من عظيمِ الألَم ، والكرمةُ ساكتةٌ باهتةٌ لا حيلة لها سوى البكاءِ بدُموعٍ غزيرةٍ تَسقي الأرضَ كأنها ماءُ السماء . . . إلى أن عِيلَ صبرُها ولم تعُدْ تَمالكُ نفسَها ، فقالتْ للكرّام[٢] : مَهْ[٣] أيها القاسي أأنتَ صَخر ، أم جرَّدَ الرحمٰنُ قلبَك من الرحمة ؟ . . . قلْ لي ناشَدتُك أباكَ ما الذي حَمَلك على تعذيبي هٰذا العذابَ الشديد ؟ . .

فالتفتَ إليها الكرامُ قائلا : أقصِري عما تقولين أيتُها الجاهلةُ فإنكِ لا تدرينَ الخطأَ من الصَّوابِ ولا تُمَيِّزين القِشرَ من اللُّباب ! . . . فلو تَعلَمين حقيقةَ الامرِ لقابلتِ فعلي هٰذا بمزيدِ الشكر . . . إعلمي أنَّ الأرَبَ لا يُدرَكُ إلّا بالتَّعَب ، وكلَّ شيءٍ لا يُعتنى بإصلاحِهِ من نَشأتِهِ لا يُحمَدُ في آخرتِه ، وأنتِ

---

١ يقلم كرمة أي يقطع ما زاد عليها من الفروع وغيرها . والكرمة واحدة الكرم وهو شجر العنب ٢ الكرام ( le vigneron ) هو صاحب الكرم والمعتني به ٣ مه اسم فعل أمر معناه امتنع

هَداكِ اللهُ لو تُتركينَ وشأنَكِ بلا تهذيبٍ لم يكنْ منكِ إلّا أن تُمسيَ شجرةً حقيرةً تنظرُ إليكِ الأعينُ بالِازدراءِ وتطؤكِ الأرجلُ بالحِذاءِ حيثُ تؤتينَ أثماراً رديئةً تمجُّها الطِّباع ... أمّا أنا فإنِي أُحبُّكِ حبًّا أكيداً وأفعلُ بكِ الآنَ ما سيقعُ منكِ موقِعَ الِاستحسان ، ولذلك لن أزالَ أتعهَّدُكِ بما فيه خيرُكِ الأوفرَ وسعدُكِ الأكبر ، فتارةً أُعدّلُ منكِ ساقاً مُعوَجّةً وأُخرى أقطعُ غُصناً فاسِداً وطَوراً أُسنِدُكِ بزَوافِرَ [1] قويّةٍ وأَرويكِ بماءٍ عذبٍ علَّكِ تكونين في المستقبل شجرةً كاملةً تَسُرّينَ الناظرين وتؤتِينَ أُكُلَكِ كلَّ حينٍ فتَشكُرينِي على ممَرِّ الأيامِ والسّنين وتتيقَّنين حُسنَ نِيّتي وصِدقَ خِدمتي

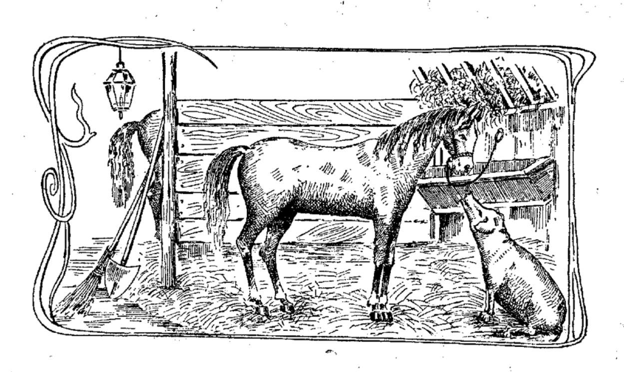
فعند ذلك أطرقتِ الكرمةُ امتثالاً وقالت : جُزيتَ الخيرَ حالاً ومآلاً . مغزاه :

حلاوةُ الرّاحةِ في التقدُّم * تُنسي مَرارةَ التَّعَبِ في التعلُّم

---

١ الزوافر جمع زافرة (échalas) وهي عمود صغير يسند به الكروم لئلا تفرش على الارض أو تلعب بها الرياح فتقوى به وترتفع بواسطته في الهواء

## الخنزير والفرس



إِجتمعَ خِنزِيرٌ وفرَسٌ[١] في إِصطَبل . فلمَّا أنِسَ كلٌّ منهما بصاحبهِ جعلا يتحدَّثان

١ الخنزير حيوان سميج الجسم قبيح الهيئة قليل الفطنة رديء الطبع ، له بعض الشبه بالجاموس في رأسه ورجليه ما عدا القرنين فانه فاقدهما . في كل من فكيه نابان زيادة على أسنانه المعتادة قد تطولان حتى يلزم قلعهما لئلا تمنعاه من الاكل فيموت جوعا . وهو بطيء الحركة خصوصا اذا سمن ويبلغ وزن الكبير منه ثلثمائة رطل ، ولحمه رائج طيب غذائي الا أنه ثقيل على المعدة عسر الهضم فلا يوافق قليلي الحركة والضعاف الامزجة وسكان البلاد الحارة عموما فضلا عما في نيه من الاستعداد لجرائيم الترشين ( la trichine ) والدودة الوحيدة ( le ténia ) التي ( أي الجرائيم ) تتشبث بجسم الانسان وتنمو فيه حتى تقضي على حياته . ومن طبعه أن يتغذى بكل ما يجده سواء كان نظيفا أم لا ويصطاد الحيات يأكلها غير مبال بلدغها فان سمومها لا تؤثر فيه شيئا ولا يزال متوحشا بحيث لا يؤمن شره ولو طال مكثه في الاسر ومرآى

فقالَ الخنزيرُ للفرَس : لِمَ أراكَ يا أخي دائمًا فرِحًا نشيطًا قويًّا على العمَل ؟ معَ أنَّ صاحِبَنا لايزالُ يشغلُك إمّا في المِحراثِ[١] أو المركَبةِ أو النّاعورةِ[٢] أو غيرِ ذلك من الأمورِ الصَّعبةِ المُهينة ، وأنا معَ دَوامِ راحتي وكثرةِ أكلي ونَومي أراني مُفَكَّكَ الأعضاءِ ضَيِّقَ الصَّدرِ حزينَ القلب ... أصدُقني الجواب ولك عليَّ الفضلُ والثواب

فقال له الفرسُ السَّبَبُ ظاهِر ... ألَمْ تعلَمْ أنَّ الحزنَ وتراكُمَ الأمراضِ يجيئانِ من البطنةِ والفَراغ[٣] وأنَّ السُّرورَ وتمامَ الصّحةِ يجيئانِ من قِلّةِ الأكلِ وكثرةِ الشُّغل ؟ مغزاه :

أَلشغلُ مَنبَعُ السَّعادةِ والهناء * والكسَلُ مَنشأُ الفقرِ والشَّقاء

---

الآدميين فانه يسطو أحيانا على أولاده هو وأولادهم أيضا ويأكلهم ما داموا صغارا . وهو أكثر ذوات الاربع نتاجا فتلد أنثاه من عشرة الى خمسة عشر خنوصا في بطن واحد ، ويعيش الى ثلاثين سنة * والفرس حيوان أهلي معروف وهو أحسن البهائم شكلا وأشدها ذكاء وأكثرها طاعة لصاحبه . ينفعه في كثير من الامور سواء كان للركوب أو حرث الاراضي أو ادارة النواعير أو غير ذلك ، والفرس اسم علم له ويقال للذكر حصان وللانثى حجر وللولد مهر . وقلما يعمر الفرس اكثر من ثلاثين سنة

١ المحراث آلة تقلب بها الارض للزرع ٢ الناعورة آلة لها دولاب معه أوعية يقال لها قواديس تستعمل في رفع الماء لسقي الاراضي وغيرها ٣ البطنة هي الاكثار من الاكل ، والفراغ هو الخلو من العمل

## الارنبان والسلوقيان

رأى كلبانِ أرنباً [1] حقليًّا فجدّا في طلبِهِ ، وأُندفعَ هو في الهُروبِ أُندفاعَ السَّيلِ المنحدِرِ ، حتى إِذا أَصبحَ على مَقرُبَةٍ من جُحرِهِ أُستقبلَه أَحدُ إِخوانِهِ وقال له : ما وراءَكَ يا صاحِ ؟ قال : سَلوقيّانِ [2] يريدانِ أَكلي . فقالَ أنت مُخطئٌ فإِني أَراهما من

---

١ ألارنب حيوان ممتد الرأس جاحظ العينين مفلوج الشفة العليا قصير الذنب واليدين طويل الاذنين والرجلين لطيف الهيئة . وهو ثلاث أقسام أهلي ( lapin domestique ) وحقلي ( lapin sauvage ) وجبلي ( lièvre ) . فالاهلي هو ما يربى في البيوت ويألف الناس ويأكل فضلات أغذيتهم ، يختلف لونه الى بياض وغيره من الالوان ما عدا الخضرة وقد يجمع بين لونين فأكثر . والحقلي صغير الجسم يألف السهول والغيطان المزروعة ويحفر سراديب في الارض يختفي فيها نهارا وينتشر ليلا في طلب قوته من الخضراوات ، ولونه الشهبة . والجبلي يسكن الحرجات والجبال العالية البعيدة عن الناس وهو كبير الجسم طويله خفيف البطن سريع الجري . لونه الصفرة مشربة سمرة ، وتلد أنثاه مرتين او ثلاثا كل سنة في كل بطن الى الثلاثة . واما انثى الاهلي والحقلي فتلدان سبع مرات سنويا في كل مرة الى العشرة . وللارنب خصوصا الوحشي لحم لذيذ فاخر وفروة تنفع نفعا عظيما في صنع القبعات والطرابيش ونحوها ٢ سلوقيان مثنى سلوقي ( chien lévrier ) وهو نوع نفيس من كلاب الصيد سريع الجري . يعرف بدقة راسه وطول انفه وامتداد رقبته وضمور صدره ونحول خصره ، قوائمه دقيقة عالية واذناه صغيرتان تتدليان عند طرفيهما . ويختلف شعره باختلاف موطنه

كلابِ أَرمَنت [١] . فقـالَ اُفتَحْ عينَيك يا أخي ولا تُـكابرْ [٢] في الحقِّ الصَّريح ، أما علِمتَ أنَّ لـكلابِ أرمنتَ شَعراً طويلاً وهـٰـذانِ لا شَعرَ لهما . قال : إِني أراكَ تَهـيمُ في الضَّلال [٣] ولا تفهَمُ شيئاً من حقيقةِ الحالِ حتى كأنك لم تنظُرْ سلوقيًّا قطّ . وفيما هما مشتغلانِ بهـٰـذا الجدَل [٤] لاهيانِ عن حُلولِ الأجَلِ إذِ انقَضَّ عليهمـا الـكلبان وأدخَلاهما في خَـبَرِ كان [٥] . مغزاه : الأحمقُ يهتمُّ بأمورٍ لا طائلَ تحتَها . ويُغفِلُ التي لا بدّ من الاعتناءِ بها

---

١ ارمنت ناحية صغيرة بصعيد مصر من مديرية اسنا على مسافة قريبة من الشاطى الغربي للنيل ، ولا تمتاز من سائر مدن حوض النيل ( bassin du Nil ) الصغيرة الا بكلابها ذات الشعر الطويل والجسم القوي المشهورة في الحراسة وطرد الحيوانات واقتفاء آثارها ولا سيما الارانب والنموس والقطاط وغيـرها حتى الحشرات كالثعابين والضباب والاوزاغ واشباهها ٢ تكابر تعاند ، والمكابرة هي المنازعة في المسألة لا لاظهار الصواب بل لالزام الخصم ٣ تهيم في الضلال اي تذهب في الباطل ٤ الجدل والجدال بمعنى وهما المباحثة في امر لاظهار ما له وما عليه ٥ ادخلاهما في خبر كان اي اكلاهما



## الرجل والأسد والدب في البئر



هرَبَ رجلٌ من أسَد ، فوقعَ في بئر [١] ، ووقعَ الأسدُ عليه ، وكان في البئرِ دُبٌّ . فقال له الأسد : كم لك هٰهُنا ؟ قال : منذُ أيامٍ وقد قتلَني الجوع . فقالَ له : دَعنا نأكُلْ هٰذا الرجُلَ وهو يكفينا شرَّ الجوع . فقالَ له : وإذا عاوَدَنا [٢] الجوع مرّةً أُخرى فماذا نصنَع ؟ . . . وإنما الأولى بنا أن نحلِفَ له ألّا نُؤذيَه فيحتالُ في خلاصِنا لِأنه أقدَرُ منا على الحيلة . فحلَفا له . فاُحتالَ حتى خلَصَ وخلَّصَهما . مغزاه :

---

١ البئر كلمة معروف معناها وهي مؤنثة تجمع على آبار وبئار وأبؤر ٢ عاودنا عاد الينا

من قَبِلَ نُصحَ النُّصَحاء * نجـا من مخالبِ البَلاء

---

## الغراب والقطاة

نازَعَ غُرابٌ ذاتَ يومٍ قَطاةً ١ في حُفرةٍ يجتَمِعُ فيها الماء ،

---

١ الغراب طائر دون حجم الدجاج ، وبسطة جناحيه تبلغ مترا ، وطول جسمه من طرف منقارة الى آخر ذيله يبلغ نصف ذلك ، لونه في الغالب أسود ولكن منه ما هو أبيض أو أبلق ، ورأسه كبير وكذا منقاره . معظم قوته الجيف وما شاكلها وهي أطيب طعام عنده يشم رائحتها من بعيد فيقصدها ولو كان دونها الاهوال واذا استحال عليه تحصيلها اعتصم بالصبر واستبدل بها الحبوب والأثمار ، واذا لم يجد ذا ولا ذاك وقد أجهده الجوع اصطاد الجرذان والضفادع والمناخذ والضباب والطيور الضعيفة كالحجلان والسمانيات وربّما انقض حينئذ على ظهر الحمير أو الجمال أو الجواميس واستخرج من لحمها بمنقاره المحدد القوي قطعا وأكلها ، ومن غريب أمره أنه يدجن ويستأنس بالانسان ويتعلم التكلم ويحسنه ويمكن تدريبه على صيد الطيور حتى من نوعه * والقطاة ( le râle ) طائر يلازم مواضع المياه العذبة وفيه نوعان أحدهما يقال له الكدري ( le râle de terre ) يشبه السمانى المار ذكره صحيفة ٢٤٧ الا أنه أكبر منه بعض الشيء وبه بياض في خديه وأعلى جناحيه ورجليه ، والآخر يقال له الجوني ( le râle d'eau ) يشبه السمانى أيضا في مشيه ولون ظهره وقصر ذنبه وجناحيه . منقاره الطويل الدقيق المحدد أحمر وكذا رجلاه ، وقوادمه سوداء وما بين أعلى خديه وآخر حوصله مشرب زرقة ، وحجم الجوني بحجم الكدري مرتين تقريبا . ثم ان أنثى القطاة تحفر في الارض موضعا بين النباتات المائية كالحلفاء والقصب الفارسي يسمى أفحوصة وتبيض فيه الى عشر بيضات تحضنها وحدها وتخرج الفراخ كخروج فراخ السمانى والعرب يضربون بها المثل في الصدق ، يقولون : أصدق من قطاة ، وذلك أن

وادَّعى كلٌّ واحدٍ منهما أنها مِلكُه ، فتحاكما إلى مَلِكِ الطير فطالبَهما بالبَيِّنة ، فلم تكن لأحَدٍ منهما . فحكَمَ للقطاة . فلما رأتْ أنَّ الحُكمَ لها قالت : أيها الملكُ ما الذي دعاكَ إلى أن حكَمتَ لي دونَ الغراب ؟ قال : ما اشتَهَرَ عنكِ من الصِّدق . فقالت : أمَا واللهِ لئنْ كان الأمرُ على ما ذَكَرتَ فإنَّ الحفرةَ للغرابِ وحدَه وما أنا ممن يبيعون الشُّهرةَ بحفرة . فقال لها : وما حمَلكِ على هذه الدَّعوى الكاذبة ؟ قالت : ثورةُ الغضبِ لمنعهِ إيايَ الوُرودَ ولكنَّ الرُّجوعَ إلى الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطِل . مغزاه :

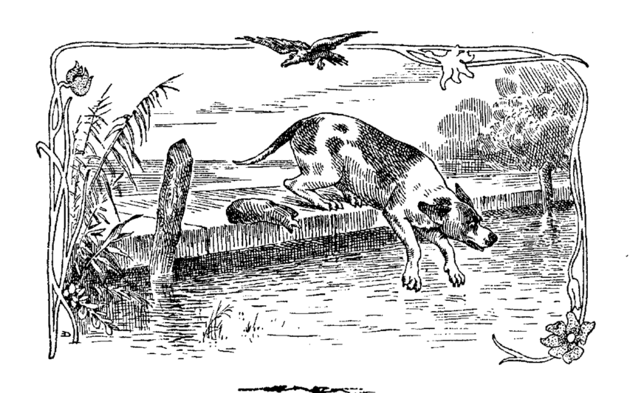
أَلشُّهرةُ الحَسْناء * خيرٌ من الصَّفراءِ والبيضاء [١]

---

وجودها يدل على وجود الماء قريبا منها دلالة صادقة ، وكذا يضربون بها في الهداية لانها تهدي من يتبعها الى الماء لملازمتها اياه في غالب أحوالها كما مر بك ١ الصفراء والبيضاء هما الذهب والفضة ، ومغزى هذه الحكاية أخذت من قول الفرنسيس :
(Bonne renommée vaut mieux que ceinture dorée)



## الكلب وقطعة اللحم



لَقِيَ كلبٌ ١ مرَّةً قِطعةَ لحم . فأخذَها وسارَ بها حتى وقفَ

---

١ الكلب حيوان ألوف يعيش في صحبة الانسان وهو من أشد الحيوانات نباهة وأدمثها أخلاقا وأسهلها انقيادا وأكثرها أمانة لصاحبه وأعظمها محبة له وأظهرها تعلقا به وأوفرها فراسة في الامور وأسرعها شعورا بدقائقها وأوقدها ذاكرة وأحفظها للجميل وأوفاها به . ومن طبعه الميل الى ملازمة الناس فتراه لفرط مودته لهم يتحمل كثيرا من أذى الاولاد في لعبهم معه فتارة يركبونه وأخرى يربطونه بنحو حبل في مركبة صغيرة ويجذبونه من ذنبه آونة ومن أذنيه حينا وهو يبهج ولا يغتاظ ولا يسأم بل ينظر اليهم نظرة الوداد كأنه فرح باساءتهم له . واذا خرج صاحبه الى موضع يسبقه اليه بقليل ليخبر من فيه بقدومه وذلك بما يأتيه من الحركات حتى كأن لسان حاله يقول : ( سيدى قادم فتهيأوا لاستقباله ) ، ويقاسمه الاحزان والمسرات فيعزيه بنظرات الحنو حين يراه حزينا من مصائب الدنيا وينسيه مكر الخليل الخائن بما يبديه

عَلى شاطِئِ نَهرٍ ، فأَبصَرَ ظِلَّها في مائِه ، وإِذا هو أَكبَرُ من التي معه ، فرماها ونزَلَ في الماءِ يطلُبُ الكبيرة ، فلمْ يجِدْ شيئاً ، فرجَعَ إلى ما كانتْ معه ، فلم يجِدْها لأنّ حِدَأَةً كانت قد خطِفتْها

له من الطاعة وشدة الأمانة ، ويتفنن في الاختراعات اللطيفة ليسليه ويطيب خاطره فينبح ويقفز ويذهب ويؤوب ويقوم على رجليه ويحرك ذيله ، وبالجملة فهيئته كلها ناطقة بعبوديته لصاحبه حتى انه اذا تعرض له أحد بأذى يدافع عنه بجميع قواه لنجاته ولا يبالي بالخطر أيا كان يقاتل قتالا عنيفا الى أن يموت أو ينصره على عدوه ، ولا يطلب مكافأة على ذلك كله سوى كسرة خبز وقليل ماء ونظرة محبة أو ملاطفة بامرار اليد على شعره أو ابتسامة تدل على الرضاء عنه . ثم ان ارتكب ذنبا ولو رغما عن أنفه يأتي صاحبه مطاطئا رأسه واضعا ذنبه بين رجليه طالبا بهذه الهيئة العقاب الذي استحقه بفعله أو العفو الكريم عنه ، واذا عوقب يشرب كأس العقاب بكل سكوت ويلحس اليد التي تضربه ولا يقابلها الا بأنينه وصبره وطاعته ولا يغيره ما ناله من التأديب عن حالته السابقة بل يزداد سعيا في ارضاء صاحبه واستمالة عواطفه اليه . ومن منافعه للانسان أنه يحرس بيته ويتأثر صيده ويرعى بهائمه ويرشد العميان ويدل التائهين في الجبال الى طريقهم وينقذ الذين تراكمت عليهم الثلوج في البلاد القارسة البرد ، الى غير ذلك من الاعمال الحسنة التي تدل على مزايا الكلب وفوائده للانسان . هذا واعلم أن الكلب معرض للكلَب ( بفتح اللام ) وهو داء شبيه بالجنون يعتريه وغيره كالثعلب والذئب والقط فتعض الناس وغيرهم فيكلبون بعد العض بأربعين يوما أو قبلها في بعض الاحيان ، وعلامة ذلك الداء في الكلب المصاب به أن تحمر عيناه وتعلوهما غشاوة وتسترخي أذناه ويندلع لسانه ويكثر لعابه وسيلان أنفه ويطاطئ رأسه ويتحدب ظهره ويتعوج الى جانب ولا يزال واضعا ذنبه بين رجليه خائفا هائما ، يجوع فلا يأكل ويعطش فلا يشرب ، وأنجع دواء لذلك الداء القاتل ما ابتكره العلامة بسطور (Pasteur 1822-1895) الطبيب الفرنسي الذي اشتهر في أواخر القرن التاسع عشر باختراعاته التي طارت فوائدها في الآفاق وبلغت السبع الطباق وأورثته فضلا لا يمحوه توالي الدهور وجعلت له لسان شكر ينوه باسمه الى يوم النشور

فتأسَفَ ذلك المغرورُ وقال : آه إنّ طمعي أذهبَ ما كان معي . مغزاه :

مَن غرَّه الطَّمعَ * أضاعَ ما كان جَمع

## القط والثعلب

كان قِطٌّ بَرّيٌّ يعيشُ في غابةٍ بعيداً عن الناسِ خائفاً من بَطشهِم . فأخَذَ يوماً يجولُ في نواحيها حتى وجدَ ثعلباً نائماً تحتَ شجرةٍ مُلتفّةِ الأغصانِ كثيفةِ الأوراقِ وارفةِ الظِّلال ، فاقتَرَبَ منه راجياً أن يستفيدَ منه حيلةً تنفعُه عندَ الحاجة . فتنبَّهَ الثعلبُ لحضوره . فبادَرَه القِطُّ بقوله السلامُ عليكَ يا أبا الحُصَينِ[1] صحَّ نومُك وطابَ صَحوُكَ ولا برِحتَ في رداءٍ من العافية

فنهَضَ الثعلبُ من رَقدَتِهِ قائلا : وعليكَ السلامُ يا أبا غَزوان[2] ما الذي أتى بك إلى هذا المكان ؟ قال : أنتَ سيّدي بحرُ العِلمِ والحِكمةِ ومَهبِطُ جميعِ الحِيَل جئتُكَ يسوقُني إليك الأملُ

١ أبو الحصين كنية الثعلب لانه يتحصن من المضار بكياسته ٢ أبو غزوان كنية القط لانه يغزو الفيران أبدا

عَساكَ أن تُعلّمَني حيلةً أنجو بها من مكايدِ الأعداءِ وأتخلّصُ من مَساقطِ البلاء، ثم أعودُ معترفاً بفضلِك شاكراً جميلَ صُنعِك

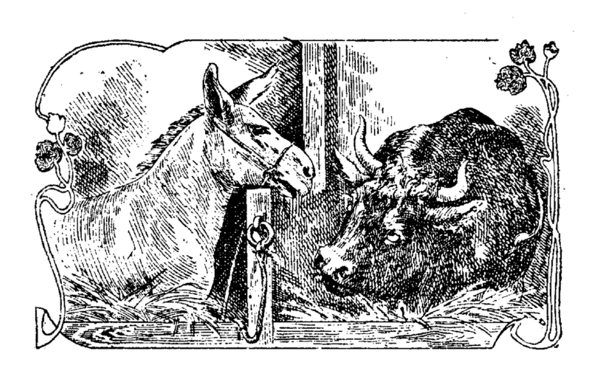
فقال له الثعلب: على الخبيرِ وقعت وإلى العليمِ قَصَدت... إعلَمْ أنّ جَعبةَ مكري لا تَستفرِغُها نوائبُ الزمان ولا تُحيطُ بها أفكارُ بَني الإنسان، وحبلُ حِيَلي لا تقطعُه يدُ الدهرِ مَدى العُمر، فما أُبتُليتُ[1] بداء إلّا قابلتُه بالدَّواء، ولا رُميتُ بمصيبةٍ إلّا كشفَها[2] عني الدَّهاء[3]

وبينما هما في هذا الحديثِ إذ سمِعا صوتَ سَلُوقيٍّ يتبعُه صاحِبُه. فصعِدَ القِطُّ إلى أعلى الشجرةِ وتوارى عن الأبصارِ بينَ أغصانِها وأوراقِها. وأمّا الثعلبُ فدخلَ وِجارَه فشمّه الكلبُ ودخلَ وراءه وأخرجَه. فضرَبَه الصَّيّادُ ضربةً كانت القاضيةَ عليه. فقال القطُّ في نفسه: حِيَلي مع قلّتِها أنفعُ من حيلِه مع كثرتِها. مغزاه:

خيرُ الحِيَل * ما بلَّغَ الأمَل

١ ابتليت بالبناء للمجهول أي أصبت ٢ كشفها أزالها ٣ الدهاء هو جودة الرأي

## الحمار والثور



قِيلَ إِنه كانَ لبعضِ الناسِ حِمارٌ[١] قد أبطرتْه الرّاحة ،

١ من نظر الى الحمار أول مرة يتوهم أنه فرس تغير عن أصله على ممر الزمان ولكن لو أمعن فيه نظره لوجد بينهما بونا بعيدا فان الحمار يمتاز عن الفرس بكبر رأسه وطول أذنيه وعرفه القصير وجسمه الصغير ونهيقه الكريه وذنبه العاري من السبيب الى ثلاثة أرباعه تقريبا وكتفيه الضيقتين المخططتين بخط أسود الى نصفهما في الذكور وبآخر مثله يمر بقفاه وحاركه وفقاره الى طرف ذيله ، وغير ذلك من الامتيازات الظاهرة كالصبح للعيان المغنية عن البيان . وهو من أقل الدواب مؤونة وأكثرها معونة يكتفي بفضلات غيره من الحيوانات ويصبر الصبر الجميل على ضنك العيش واحتمال المشقات . ينفع جلده في أمور كثيرة كالطبول والغرابيل والمناخل ، وحليب الاتان ( الاتان هي الحمارة ) صحي جدا يقرب الشفاء من مرض المعدة وفقر الدم وغيرهما . ومدة الحمل لها أحد عشر شهرا وتضع ولدا واحدا في كل بطن يقال له جحش . ويعيش الحمار من خمس عشرة سنة فما فوقها الى العشرين ويندر أن يتجاوزها

وثورٌ [١] قد أذلَّتْه المشقَّة . فشكا الثورُ يوماً أمرَه إلى الحمارِ قال له : يا أخي قد كثُرتْ عليَّ الأشغالُ حتى أضعفَتْني ، فهل تدلُّني على ما يُريحُني من تعبي هذا الشَّديد ؟ فقال له الحمار : نعم تمارَضْ ولا تأكُلْ علفَك ، فإذا انبلَجَ الصَّباحُ [٢] ورآكَ صاحبُنا على هذه الحالِ تركَك فتستريح . فقبِلَ الثورُ نصيحته وعمِلَ بها . فلما كان الغدُ حضَرَ صاحبُهما فرأى الثورَ غيرَ آكلٍ علفَه ، فتركه وأخذَ الحمارَ بدلَه وحرَثَ عليهِ سَحابةَ ذلكَ النهارِ [٣] حتى كادَ يموتُ من شِدَّةِ ما اعتَراه . فندِمَ الحمارُ على نصيحتِهِ للثورِ وطفِقَ يبحَثُ عن حيلةٍ يتوصَّلُ بها إلى التخلُّصِ مما أوقَعَ نفسه فيه . فأدّاه وهمُه إلى الحيلةِ المطلوبةِ

وذلك أنه حينما رجعَ مَساءً قالَ له الثور : كيف حالُك يا أخي ؟ قال : بخيرٍ غيرَ أني قد سمِعتُ ما أحزَنَني عليك .

---

١ الثور اسم للذكر من البقر وهو شديد القوة عميم المنفعة ، يستخدمه الانسان في أشغال كثيرة شاقة كالحراثة وادارة النواعير وجر العربات ، لحمه طيب مغذ . ولأنثاه لبن لذيذ صحي جدا ٢ انبلج الصباح أي أشرق وأنار ٣ سحابة ذلك النهار أي طوله

فقال : وما ذاك ؟ قال سمِعتُ صاحبَنا يقول : «إِذا بقِيَ الثورُ مريضاً فلا بُدّ من ذَبحِهِ لئلاّ نخسَرَ ثمنَه» فقالَ الثور : وماذا أصنعُ أيها الأخ النَّصوح ؟ قال : ترجِعُ إِلى عادتِكَ وتأكُلُ علفَكَ لئلاّ تحِلَّ بك هذه الدّاهيةُ الدّهياء . فقال : صدَقت . وقامَ في الحالِ إِلى علفِهِ ولم يزلْ به حتى أكَلَه كلَّه . مغزاه :

مَن لم ينظُرْ في العوَاقِبِ * عرَّضَ نفسَه لحُلولِ النَّوائِبِ

## شجرة التين والطيور

كانتْ شجرةُ تينٍ [1] مأوًى للطُّيورِ تُظِلُّها بأوراقِها وتُغذّيها

[1] التين ثمر شجر باسمه كثير الوجود في الاقاليم المعتدلة ، يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار ، خشبه لين وله صبر عظيم على الماء والشمس وقلما يسوس مع طول الزمن ، اوراقه مشرشرة الاطراف تشبه أوراق البطيخ بعض الشبه ، وأزهاره لا تكاد تشاهد تبتدئ بصورة حبات في غاية الصغر وتنتهي بالثمر وهو كروي تقريبا ، لبه حلو المطعم رطبا ويابسا محتو على بزور كثيرة ، وتعظم فائدته لانه بينما يتخذه أهل اليسار فاكهة اذا هو غذاء لبعض الفقراء يقوم مقام الخبز عندهم ، وأشهر أصنافه ثلاثة الابيض والاصفر والبنفسجي ، تتخذ منه أدوية مجربة لعدة أمراض وخل لطيف ونبيذ حاد لا بأس به

بأثمارِها حتى إذا كان بعضُ الأيامِ نزَلتْ عليها صاعِقةٌ [١] أتلفتْها فولَّتْ عنها الطيُّورُ وترَكتْها وحدَها تقاسي شِدّةَ الحرِّ وتراكُمَ العفَر

فتحقَّقتْ حينذاكَ أنَّ الخَلقَ لا يقرَبون من أحدٍ ولا يحتَفِلون به إلّا إذا رجَوا منه المنفعة . مغزاه :

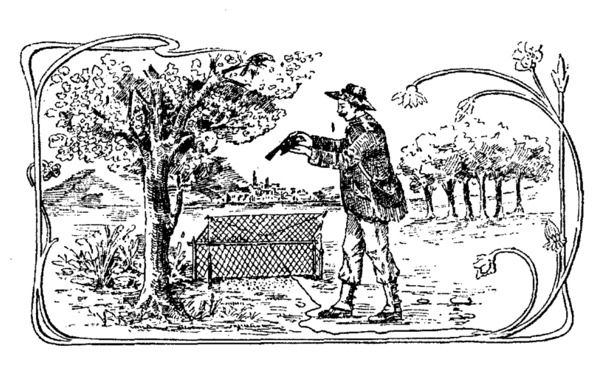
ألمرءُ في زمَنِ الإقبالِ كالشجرهْ * والناسُ من حولها ما دامتِ الثمرهْ
حتى إذا راحَ عنها حَملُها انصرَفوا * وخلَّفوها تقاسي الحرَّ والغَبرهْ [٢]

---

١ الصاعقة ( la foudre ) تفريغ كمية وافرة من الكهرباء بين سحابتين أو بين سحابة والارض ، ويكون في الغالب مصحوبا بنور يقال له برق وصوت يقال له رعد ، وقد يتسبب عنها أضرار جمة فان السيال الكهربائي الذي ينفصل منها بسرعة لا مثيل له في القوة يتلف كل ما يقابله في طريقه فيحطم الاشجار ويهدم أعظم المباني ويقتل أكبر الحيوانات ويحرق كل مادة التهابية ويصهر المعادن وربما يحولها الى بخار ، وغير ذلك من المصائب التي نعوذ بالله من وقوعها ٢ قال بعض الشعراء :

كم من أخ لك لست تنكره * ما دمت من دنياك في يسر
متصنع لك في مودته * يلقاك بالترحيب والبشر
يطري الوفاء وذا الوفاء ويلـــحي الغدر مجتهدا وذا الغدر
فاذا عدا والدهر ذو غير * دهر عليك عدا مع الدهر
فارفض باجمال مودة من * يقلي المقل ويعشق المثري
وعليك من حالاه واحدة * في العسر اما كنت واليسر
لا تخلطنهم بغيرهم * من يخلط العقبان بالصقر

## الصياد والقنبرة



كان رجلٌ صيّادٌ ينصبُ الشَّرَكَ [١] للقَنابرِ [٢] وكلّما ظفرَ بواحدةٍ يقولُ لها : أهلاً بكِ يا حبيبتي وقُرّةَ عيني ، طالمَا تمنَّيتُ أنْ أَلقاكِ وأُشاهِدَ أنوارَ مُحيّاكِ ، ثم يذبحُها . ولم يزلْ هكذا إلى

---

١ الشرك جمع شركة وهي المصيدة ٢ القنابر جمع قنبرة (alouette) وهي طائر من نوع العصافير أغبر اللون مشربا شقرة . له صوت مطرب ويتعلم الالحان بكل سهولة ويجيدها في مدة قليلة . لا يقع على الاشجار أبدا فيلازم الارض وبها يعيش . ومن غريب أمره أنه يرتفع في الهواء ارتفاعا بعيدا يكاد يكون عموديا وفي اثنائه يسمع منه صوت رخيم الى مسافة قاصية . تجتمع القنابر أسرابا في أوائل الشتاء وتسمن كثيرا حينئذ فلذا يبالغ الصيادون في صيدها ويطلبونها بأنواع الحيل

أنِ اُصطادَ واحدةً سَمينةً جدّا . فأخذَ يسرُدُ كَلِماتِهِ المذكورةَ وهي تستجيرُ به

فاتّفقَ أن نزلَ دُوريٌّ [١] على شجرةٍ هناك ورأى الصيّادَ يُكلِّمُ القُنبُرة ، فقال لها : لا بأسَ عليكِ من الرجل ، أما تسمعين كلماتِهِ العَذبةَ الدالّةَ على اللِّينِ والرحمة . فأجابتْه المِسكينةُ بقولها : يا هٰذا قد فتحتَ لِكلماتِهِ أُذنَيك وأغمضتَ عن أفعالِهِ عينَيك . مغزاه :

لا تنظرْ إلى الأَقوال * فإنّما العِبرَةُ بالأَفعال

## العصافير والحسود

رأى بعضُ الفلّاحينَ أنّ العَصافيرَ [٢] تُتلِفُ زَرعَه ، فنصبَ لها

---

١ الدوري ( le moineau ) نوع من العصافير يعيش بين الناس ولكنه غير داجن ، يغلب على جسمه اللون الرمادي مع حمرة دكناء في جناحيه . يتغذى ببذور النباتات الصغيرة وكذا ببعض الأثمار كالكرز والخوخ ولكنه يفضل الحبوب فلذا يكرهه أصحاب المزروعات ذات الحبوب ولا يدخرون وسعا في مطاردته وابادته . تمتاز أنثاه بصغر جسمها وصفاء لونها ٢ العصافير جمع عصفور ( passereau ) وهو اسم يطلق على ما دون اليمام من الطيور قاطبة ، والمقصود من العصافير هنا هو النوع المعروف بالدوري المار بك ذكره لانه مشهور باتلافه المزروعات

المصائد ، وكان كلَّما وقعَ فيها عُصفورٌ ذبَحَهُ حتى أنتهى إلى حَسُّونٍ[1] قد وقع بينهُنّ . فقال له : رُحماك أيها الرحيمُ رُحماكَ ، أعتِقْني فإني لم أضُرَّكَ قطّ ، وطالمَا نفعتُك بأكْلي الحَشَراتِ التي تُفسِدُ زَرعَك وتُضيّعُ تعبَك وسلَّيتُك برخيمِ صَوتي وأزلتُ عنكَ العَناءَ والأحزان ، والإِحسانُ لا يُجازى إلّا بالإِحسان

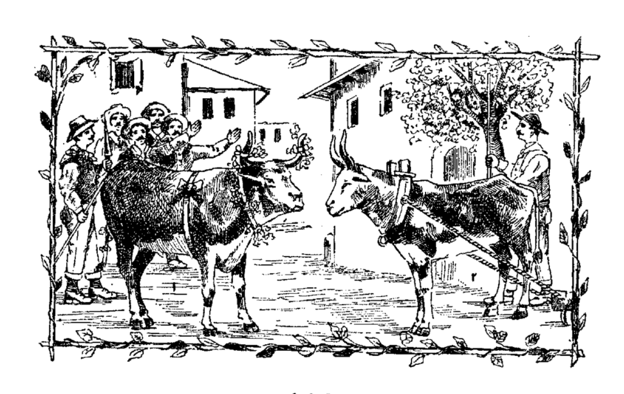
فقال له الفلاح : صدَقتَ ولكِنْ حيثُ وجَدتُك اليومَ صُحبةَ الأشرارِ المُتلِفين فيغلِبُ على ظنّي أنك صِرتَ مثلَهم وحينئذٍ تستحِقُّ جزاءَهم ! . . . ألَمْ تعلَمْ أيها الحكيمُ[2] أنك بعِشرتِك الدونَ تُعَدُّ منهم ، فذُقِ الآنَ ما يذُوقون ولا تلومَنَّ إلّا نفسَك . مغزاه

مَن عاشَرَ الأشرار * وقعَ في الأخطار

---

١ الحسون ( le chardonneret ) طائر من نوع العصافير وهو من أظرف الطيور المغردة . يتخذه الناس في البيوت لجمال صورته ورخامة صوته ورقة طبعه وخفة حركاته وسهولة تعليمه . منقاره قمحي اللون تحيط بأصله دائرة حمراء تصل الى نصف رأسه تقريبا . وباقي رأسه أسود من الوراء أبيض من الامام الى ابتداء حوصله وكذا قفاه وبطنه ، وحوصله الى أعلى ظهره استدارة أسمر وكذا ما بين رجليه ، وجناحاه أسودان في الطرفين أصفران في الوسط وأكثر ريشهما ينتهي بنقطة بيضاء ، وزمكه أسود من فوق أبيض من تحت . ولكن أغلب هذه الصفات مختصة بالذكر وأما الانثى فلا تغرد ولونها كدر وليس به شيء من السواد ٢ ايها الحكيم : استهزاء بالحسون

## الثوران




كان لرجُلٍ ثَوْرانِ أبيضُ وأسود ، يشغَلُهما في الحَرثِ[١] والدَّرسِ[٢] وجَرّ المركَباتِ وإدارةِ النواعيرِ وغيرِ ذلك . ولمّا جاءَ الشتاءُ أعفى الأسودَ من الأعمالِ وأخذ يُقدِّمُ له أنواعَ المآكلِ الطَّيِّبةِ حتى يُسَمِّنَه ويبيعَه . ففي زمنٍ قليلٍ أمتلأَ لحماً وشحماً وصارَ بحُسنِ هيئتهِ يستوقفُ الابصار. فباعَه أحدَ[٣] الجزّارين

١ الحرث هو قلب الارض بالمحراث واصلاحها للزرع ٢ الدرس هو درس نحو الحنطة بالنورج لفصل الحب من التبن ٣ أحد مفعول ثان لباع

فزيَّنَه بالزُّهورِ البهيّة والشُّرُطِ [١] الحمراءِ الحريريّة، ثم خرَجَ به إلى السُّوقِ كي يَطَّلِعَ عليه الناسُ قبلَ ذَبحِهِ ويُقبلوا عليه. فنظَرَه زميلُه الأبيض، فقالَ له: سقياً لك [٢] يا أخي تسيرُ بينَ الملإِ مُعَظَّماً وتترُكُني وحدي أتحمّلُ المشقّاتِ!... يا ليتَني كُنتُ مِثلَك! فقال له الأسود: لا تتمنَّ ذلك فإنَّ وراءه المهالِك. مغزاه:

لا خيرَ في تعظيم * وراءه البلاء العظيم

## الرجل والقنبرة

صادَ رجلٌ قُنبُرة. فقالتْ له: ما تُريدُ أن تصنعَ بي؟ قال: أذبحُكَ وآكلُكَ [٣]. فقالت: واللهِ إني لا أُسمِنُ ولا أُغني من جوعٍ... خلِّ عنّي فأُعلِّمَك ثلاثَ حِكَمٍ [٤] هيَ خيرٌ لك من أكلي

١ الشرط جمع شريط وهو نسيج ضيق يصنع من نحو الحرير أو الصوف ويستعمل زينة في الغالب ٢ سقيا لك أي ياحسن حظك ٣ أذبحك الخ أي أريد أن أذبحك
٤ الحكم جمع حكمة (maxime) وهي الكلام الجامع الصادق على أحوال متعددة الوارد في معنى موافق للحق كقولك لمن تنصحه: لا تأسين على ما فاتك. واذا شاعت الحكمة مع اشتمالها على تشبيه حال المقولة فيه الآن بحال المقولة فيه في الاصل سميت مثلا (proverbe) فيحكى على لفظه من غير تغيير كقول النادم: ندمت ندامة الكسعي فانه شبه الحال التي هو فيها الآن بحال الكسعي التي كان فيها

فقال : وكيف تُعَلِّمينَنِي تلك الحِكَم ؟ قالت : أمّا الأولى فأعلِّمُك إياها وأنا على يدِك ، والثانيةُ إذا صِرتُ على هذه الرّابية [١] ، والثالثة إذا صرتُ على الجبل . فقال : لكِ ذلك . فقالتْ وهي على يدِه : لا تأسَيَنَّ [٢] على ما فاتَك. فخلَّى عنها . فلما صارتْ على الرابيةِ قالت : لا تُصَدِّقْ بما لا يكون . فلما صارت على الجبلِ قالت : يا شقيُّ لو ذَبَحتني لَوجَدتَ في حَوصَلي [٣] دُرَّةً وزنُها رَطلان [٤] . فعضَّ الرجلُ على شَفَتَيهِ وتلهَّفَ [٥] وقال : هاتي الحِكمةَ الثالثة . فقالت : قد نسيتَ الأُولَيَيْن فكيفَ أُعلِّمُك الثالثة . فقال : وكيف ذلك ؟ قالت : أَلَمْ أَقُلْ لك : لا تأسَيَنَّ على ما فاتك وقد أَسَيتَ عليَّ وأنا فُتُّك ، وقلت : لا تُصَدِّقْ بما لا يكونُ وقد صدَّقتَ فإنك لو جَمعتَ عِظامي ولحمي وريشي لم تجِدِ الرطلَين فكيفَ يكونُ في حَوصَلي درّةٌ وزنُها كذلك . مغزاه :

لا تطلُبِ العِلمَ بالمفقود * حتى تعملَ بالموجود

---

اذ رأى الحمر مصرعة وأسهمه مضرجة كما جاء شرحه صحيفة ٣٤ من حواشي هذا الجزء

١ الرابية هي ما ارتفع من الارض وأشرف على ما حوله ٢ تأسين تحزنن ٣ الحوصل للطير بمنزلة المعدة للانسان وهو ما يستقر فيه الطعام بعد ابتلاعه ٤ الرطل من الموازين يساوي ٤٤٩ جراما و ٢٨ سنتيا ٥ تلهف تحسر

# الاسد والثعلب والضبع




إِصطَحَبَ أَسَدٌ وثَعلَبٌ وضَبُعٌ [١] ، فخرَجوا يتصَيَّدُون ،

١ الضبع (l'hyène) حيوان وحشي ضخم الجسم ثخين الجلد كبير الرأس قصير العنق غليظها مرتفع عند الكتفين شديد الانخفاض عند الذيل دائم التحديق بالعينين منتصب الاذنين ، له شعرات طويلة خشنة مزبئرة تقوم على رقبته وعلى ظهره الى طرف ذيله . لونه الشهبة مشربة صفرة مع خطوط سود ، وطوله من الانف الى الذيل يبلغ مترا في ارتفاع خمسين سنتيا عند الكتفين . وهو من أقبح الوحوش هيئة وأقواها بنية ، لا تؤثر فيه حمارة الحر ولا صبارة القر ، يحب المرح في أفسد الهواء ويرغب في أخس الغذاء فيلتهم الجيف وينبش القبور واذا أجهده الجوع هجم على المواشي وربما هجم على الانسان أيضا . يتخذ وجاره في الارض وقد يأوي الى الكهوف وقلما يخرج نهارا

فصادُوا حِماراً وأرنباً وظَبيا ١ . فقالَ الأسدُ للضَّبُعِ أَقسِمْ بيننا . فقالَ الأمرُ بَيِّنٌ الحِمارُ للأسدِ والأرنبُ للثعلبِ والظَّبيُ لي . فلطَمَه الاسَدُ لَطمةً أطارَ بها رأسَه

ثم أقبلَ على الثعلبِ وقال : إنَّ صاحِبَكَ لا يعرِفُ القِسمة فأَقسِمْ أنت . فقال : يا أبا الحارثِ ٢ الأمرُ واضِحٌ الحِمارُ لِغَدائِك والظَّبيُ لِعَشائِكَ وتَخَلَّلْ ٣ بالأرنبِ فيما بينَ ذلك . فقالَ له الأسد : ما أقضاكَ أيها البصير !!! مِن أينَ لكَ هذا العَقلُ الكاملِ والعَدلُ الشامِلِ ؟ قال : من رأسِ الضبعِ الطائرِ عن جثّتِه . مغزاه :

أَلعاقِلُ مَن تبصَّرَ في أمرِه * وأعتَبَرَ بما يحصُلُ لغيرِه

---

## العوسجة والبستان

كان في إحدى الصَّحاري عَوسَجةٌ ٤ كادتْ تموتُ جوعاً

---

١ الظبي (la gazelle) حيوان لطيف جدا له بعض الشبه بالمعز ولكن شتان بينهما فالظبي ذو عينين دعجاوين وقرنين أسودين متساويين يميل طرفاهما الى الامام وجيد مستطيل وقوائم عالية دقيقة وحركات سريعة خفيفة ولون جسمه أشقر من فوقه أبيض من تحته ٢ أبو الحارث كنية الاسد ٣ تخلل أي تفكه ٤ العوسجة واحدة العوسج (la ronce) وهو نبات بري ذو شوك وفروع كثيرة ، له ثمر كما لشجر التوت ، ويكون غالبا في السياجات المحيطة بالمزروعات

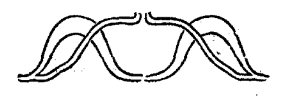
وعطَشا ، فتركتْ محلّها وقصدتْ بُستانًا في بقعةٍ زكيّةٍ[1] . فلما وصلتْ إليه قالتْ له : أيها البُستانُ الزهيُّ الكريمُ لو رضيتَ بأن أجاوِرَكَ لحوّطتُك بفروعي القويّة وحميتُك من تعدّي الاعداءِ برِماحي السَّمهَريّة[2] . فأنزلَها البستانُ في أحد جوانبِهِ على الرَّحبِ والسَّعة

فأخذتِ العوسجةُ تفرُشُ حواليهِ أغصانَها المُشوكةَ وتمُدُّ في باطنهِ عُروقًا سِرّيّة ، ولم تزَلْ تنمو وتقوى وتتفرَّع وتسري[3] في تُربتهِ حتى تمكّنتْ منه وتسلّطتْ عليه . فلم يعُدْ يستطيعُ دفعَها ، فندِمَ على إضافتهِ تلك اللئيمةَ وأخذَ يذبُلُ شيئًا فشيئًا حتى لم يبقَ له من أثَر . مغزاه :

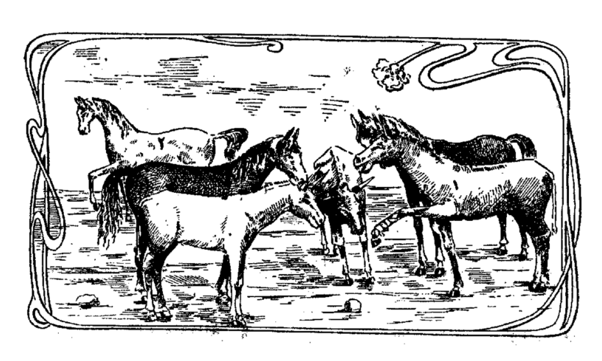
مَن أكرَمَ الأشرار * جلَبَ لنفسهِ المضارّ

---

١ البقعة الزكية هي الطيبة الخصبة ٢ سمهرية صلبة ٣ تسري تمتد في الارض



## الحمار والفرس




إجتمعَ حِمارٌ وفرسٌ في مرعى ، فأخَذَ الحمارُ يفتخِرُ بقوّتِهِ وسُرعةِ جَرْيِهِ والفرسُ يُنكِرُ عليهِ دعواه ، حتى بلغَ بهما الخِلافُ إلى أن اتَّخَذا شُهوداً وتسابقا أمامَهم

فأحرَزَ الفرسُ قصَبَ السَّبقِ [١] وشهِدَ لهُ بذلك الشُّهودُ ولم يشكّوا في أنَّ الحِمارَ لا بدَّ أن يُسَلِّمَ بسبقِ صاحبِهِ ويُقِرَّ

١ أحرز قصب السبق أي خرج الاول في ميدان السباق ، وأصل هذا التركيب أن العرب كانوا اذا تسابقوا بالخيل نصبوا قصبة في حلبة السباق فمن سبق اقتلعها من محلها وأخذها بيده علامة على أنه السابق من غير نزاع ، ثم كثر استعماله حتى أطلق على كل مبرز في أمر ما

له بعُلُوّ المنزِلة . فما كانَ منه إِلّا أن أُدّعى أنه لولا أَلَمٌ في رجلهِ اليُسرى لَكانَ هو السّابِق بلا نِزاع . مغزاه :

لا يَرضى الأحمَق * إِلّا أن يكونَ لنفسهِ الحقّ

### الالماستان

إِستخرَجَ جوهَريٌّ قِطعتَيْ أَلماسٍ من مَنجَمٍ [١] واحد ، ثم عمَدَ إِلى إِحداهما ، فبالغَ في صَقلِها وتهذيبِها حتى صارتْ بديعةَ الشَّكل متقَنةَ الصُّنعِ ، فأبتاعَها [٢] منه أحدُ الملوكِ وأمَرَ بها فرُكِّبتْ في خاتَمٍ ولبسَه . فكان كلٌّ من يراها يدهَشُ من حُسنِها ويتمنّى لو يقتَنيها ، وأمّا الأخرى فتُرِكتْ وحالَها. فكانتْ كبقيّةِ الأحجارِ لا يلتفِتُ إِليها أحد

إلى أن اُتّفقَ أن تقابلَتَا في بعضِ الأيام ، فقالتِ الثانيةُ للأولى : عجباً يا أختي من حالي وحالِك ! . . . إِننا توأمتانِ أصلُنا واحد ، فلماذا وُضِعتُ ورُفِعتِ وتأخّرتُ وتقدّمتِ حتى أصبحتِ

---

١ المنجم هو المحل الذي يستخرج منه المعادن كالرصاص والحديد والفضة والذهب وكذا الحجارة للبناء وغير ذلك ٢ ابتاعها اشتراها

زِينةً للمُلوكِ لا يراكِ أحدٌ إلّا تمنّى أن تكوني في يدهِ فيفتخِرَ بمحاسنِكِ ويُعجبَ بهيئتِكِ . . . أخبريني عن السَّبَب حتى يذهبَ عني العجَب

فقالتِ السببُ واضحٌ وهو أني تهذَّبتُ مُنذُ نَشأتي وأنتِ لا تزالينَ على حالكِ الأُولى . مغزاه :

أَلتهذيبُ في الصِّغَر * يُوجبُ الِاعتبارَ في الكِبَر

## الوز والبجع

قد حطَّ بعضُ الوزِّ معْ جماعةٍ من البَجَعْ [1]

واشتركوا في العيشةِ ببقعةٍ جميلةِ

فمكثَ الجميعُ أيامُهم ربيعُ

حتى أتى صيّادُ نحوَهمُ يصطادُ

فطارَ ذاكَ البجعُ وزالَ عنه الجزَعُ

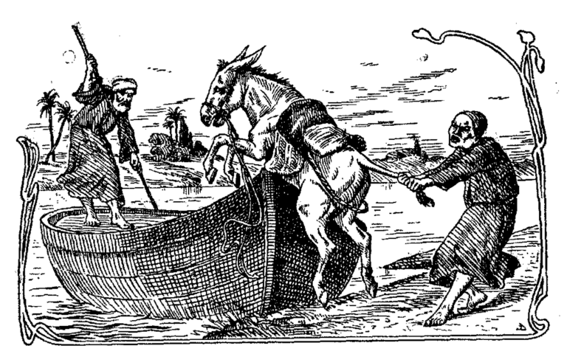
وخلَّفَ الوزَّ لدى مُذيقهِ كأسَ الرَّدى

ومَن يُعاشِرْ غيرَ مَن شاكَلَه يلقَ المِحَن

---

١ الوز لغة في الاوز مفرده وزة ( oie ) وهي طائر أهلي ضخم الجسم ثقيل الطيران

## القروي وحماره



يُقالُ إنَّ رجلاً من القُرى أرادَ في بعضِ الليالي السَّفَرا [١]

فأحضَرَ الحِمارَ صُبحاً ومضى إذا بنهرٍ في الطريقِ اعترَضا [٢]

فنزَلَ الفلاّحُ كَيْمَا يعبُرا بزَوْرَقٍ كان هناكَ مُحضَرا [٣]

---

قليله جدا ، يشبه البط الآتي ذكره غير أنه أكبر منه * والبجع ( le pélican ) طائر مائي أبيض اللون غليظ الجثة . له منقار كبير طويل من تحته جراب مطوي قابل للامتداد يدخر فيه كمية عظيمة من الطعام والشراب ورجلان عريضتان عبلتان في قصر براثنهما متلاصقة بجلدة تجعلهما له بمنزلة المجدافين للسفينة . ينوب الى شواطئ المياه ويتغذى بالسمك . وهو مع مهارته في السباحة قوي الطيران عاليه قلما يعادله فيه غيره

١ القرى جمع قرية (village) ٢ الحمار أي حماره فأل فيه عوض من الضمير المضاف اليه على حد قول جرير :

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

أي طرفك ٣ ما في كيما زائدة ، ويعبر أي يقطع النهر ، والزورق هو السفينة الصغيرة

ورامَ أنْ يستَصحِبَ الحمارا    فلم يُطِعْ وأظهرَ النِّفارا
فصاحَ زاجِرًا له حينَ عصى    ومالَ من غيظٍ عليهِ بالعصا
وجرَّه وزادَ في التهديدِ    فلجَّ في عِصيانهِ الشديدِ [١]
فمُذ رأى الفلاّحُ من حِمارهِ    كثرةَ ما يُبديهِ من نِفارهِ
أتى بعكسِ فعلهِ الذي جرى    فشدَّه من ذَيلهِ إلى الورَا
فأسرَعَ الحمارُ في النُّزولِ    والخُلفُ طبعُ الاحمَقِ الجَهولِ
مَن يبغِ مِن أهلِ العِنادِ طلبَا    فليأتِهِم بالضِّدِّ يلقَ الأرَبا

## التلميذ ودودة الحرير

أُصيبَ تلميذٌ بداءِ الكسَلِ    حتى رأى دُروسَه كالجبَلِ
وظنَّ أنَّ وقتَ كلِّ درسِ    دونَ نَفادهِ نَفادُ النفسِ
فاختارَ يوماً دودةَ الحريرِ    للهوهِ عن شُغلهِ الكثيرِ [٢]

١ لج تمادى ٢ الدودة اسم عام لكل حيوان رخو مستطيل الجسم أسطوانيه خالٍ من السلسلة الفقرية ذي الجهاز الهضمي ممتدا في طول الجسم كالارضة (le termès) والحلمة (la teigne) ودودة الحرير (le bombyx) . وأصل الاخيرة من بلاد الصين جلب بيضها الى أوربا قسيسان أيام يستينيان الاول . وهاك كيفية تدرجها في طريق حياتها : تخرج سوداء من بيضة أصغر من حب ثمر التين ، وفي الحال تسعى الى ورق

أقامَها في رُكنِ دُرجِ الكُتبِ فانقلَبَ الدُّرجُ لبيتِ لَعِبِ [1]
وبعدَ أيامٍ مضتْ معدودهْ أتى أوانُ نَسجِ تلكَ الدُّودهْ

---

التوت الابيض المعد لها وتأكل حتى اذا مضى عليها نحو خمسة أيام يأخذها شبه سبات يلازمها نحوا من ثلاثين ساعة تقف أثناءها عن الاكل والحركة وتنسلخ من جلدها وتبدل غيره ثم تفيق وترجع الى حالها الاولى من نحو الاكل مدة خمسة أيام أخرى فيعاودها السبات كالمرة الآنفة وهكذا الى أربع مرات وكل مرة يبيض لونها قليلا وبعد المرة الاخيرة تأكل أكلا كثيرا ويصير جسمها رائقا ويكاد يكون شفافا بعد مضي نحو عشرة أيام وحينئذ تمتنع من الاكل وتدور يمينا وشمالا قلقة متحيرة فيبادر المنوطون بتربيتها فيضعون حزما من الغصينات قريبا منها فحالما تشعر بوجودها ترقى اليها وتختار محلا يوافقها ثم تستقر فيه وتشرع تخرج من ثقبتين في داخل شفتها السفلى خيطين متبوعين بمادة صمغية يصيران بها خيطا واحدا تلفه على نفسها ولا تزال هكذا حتى تتوارى عن الابصار . ومجموع ما تلفه على نفسها يسمى فيلجة لونها مبيض أو مصفر وتكون في حجم بيضة الحمام مشدودة الوسط . وعند ما تفرغ من عملها الذي يستغرق يومين أو ثلاثة تتحول وهي في الفيلجة الى مايعرف بالكرزلد (la chrysalide) وينبت لها أعضاء كما للفراش حتى اذا مضى عليها نحو عشرين يوما في فيلجتها تبلل احدى طرفيها بسائل مخصوص تستفرغه وتنقبها بفمها وتخرج منها فراشة كاملة بيضاء تطير طيرانا ثقيلا ولا تأكل شيئا ما ، وفي اليوم الثاني أو الثالث تبيض الانثى الى خمسمائة بيضة ثم تموت وقد مات الذكر قبلها . هذه كيفية تدرج دودة الحرير في طريق حياتها اذا أريد حفظ بيضها للسنة المقبلة وأما اذا لم يرد ذلك فتعرض فيلجتها لابخرة الماء المغلى أو تجعل في تنانير مسجورة فيموت كرزلدها اختناقا ثم تنقع في الماء الحار لتحلل مادتها الصمغية وتغزل الخيوط كل ثلاثة أو أربعة مع بعضها على حسب الثخانة المطلوبة وتصبغ بالالوان المختلفة وتنسج منها النسائج النفيسة او تستعمل خيوطا للاشياء الفاخرة .
كان الحرير معروفا في اوربا قبل يستينيان بمدة مديدة ولكنه لم ينتشر بين اهاليها ولم يرخص ثمنه الا بعد ان عني فيها بتربية دوده

[1] اللام في لبيت بمعنى الى

فلم تزَلْ تنسِجُ حوَلَ جسمِها مُفرغةً في ذاك كلَّ عزمِها

لحينَ أن رأى غريبَ حالِها سدَّدَ سهمَ النَّقدِ في أفعالِها [١]

وقالَ يا دودةُ ما ذا الحُمقُ في عمَلٍ يضحكُ منه الخَلقُ [٢]

قالتْ له دعْ عنيَ الكلاما ولا تُطِلْ يا سيّدي الملاما

واُعلم بأني ما فَعَلتُ فَعلتي إلّا لكي تنبُتَ لي أجنِحتي

إني قدِ انتهزتُ فُرصةَ العمَلْ في أوّلِ العُمرِ وجانبتُ الكسَلْ

لأنَّ خيرَ ما يُرى من أثَري ما صنَعتْ يداي وقتَ الصِّغَرِ

ومَن أراحَ نفسَه صغيرا لا يرتقي إلى العُلا كبيرا

فاُعتبرَ التلميذُ باُشتغالِها وسُرَّ بالذي رأى من حالِها

وسارَ في دُروسهِ بجِدِّهِ فكانتِ الدُّودةُ سِرَّ سَعدِهِ [٣]

١ الفاعل في سدد يرجع الى التلميذ ٢ ذا اسم اشارة ٣ سر أي سبب



## القرد والنجار




إني رأيتُ قِردا أيّامَ زُرتُ الهِندا

أبصرَ نجّاراً ذهبْ ينشُرُ لوحاً من خشبْ

وحينَ بُوشِرَ العَمَلْ كادَ يطيرُ من جذَلْ

فقالَ في فؤادهِ لا بدَّ من تقليدهِ

حتى إذا ما قد مضى للبيتِ يقضي غرَضا

نزا على اللّوحِ كما كان يرى المعلّما ٥

١ الرجل ٢ القرد ٣ اللوح ٤ الوتد ، وبالصورة ادوات أخرى من لوازم صناعة النجارة ٥ نزا وثب

ولم يزلْ مُجتهِـدا في نَشرهِ مقَـلِّدا
فاْندسَّ معُظمُ الذَّنبْ في شقِّ قطعةِ الخشبْ
ومدَّ من بعدُ اليَـدا واْستلَّ منهـا الوَتِدا [1]
فاْنطبَقتْ على عجَلْ فـلأَ القِردَ الوَجلْ [2]
اذ أمسكتْ بذَيلهِ فـذاقَ غِبَّ فِعلهِ
واْشتَدَّ في الصِّياحِ واْزدادَ في النِّياحِ
وجدَّ في التّقلُّبِ من جانبٍ لجانبِ
وهكذا المِسكينُ لَمْ يبرَحْ يُجاهِدُ الألَمْ
حتى أتى النَّجّارُ في سُرعةِ بَرقٍ خاطِفِ
وحينَ أنْ رآهُ مالَ إلى عصاهُ
وراحَ توًّا يضرِبُهْ لعـلَّه يُؤدِّبُهْ
وهوَ يقولُ قولَ مَنْ جربَ أحوالَ الزَّمنْ
إيّاكَ والدُّخولَ فيـما كُنهَهُ لَمْ تعرِفِ
ولا تُحاوِلْ صُنعَ ما جهِلتَـه فتنـدَما

---

١ استلّ نزع واخرج . والوتد خشبة توضع بين القطعتين اللتين يفصلهما المنشار وتسميها العامة في مصر بالخابور ٢ الوجل الخوف

## العنكبوت ودودة الحرير

قد قِيلَ إِنَّ عَنكَبوتاً جائِرَهْ ۞ كانت بنَسجها الكثيرِ فاخِرَهْ [١]

فاستهزأتْ بدُودةِ الحريرِ ۞ تَنسُبُها في الشُّغلِ للتقصيرِ

فخاطَبَتْهــا ذاتَ يومٍ قائلهْ ۞ يا جارتي أَمِنتِ كلَّ غائلهْ [٢]

إِني أراكِ تُبطئينَ العمَلا ۞ ورُبما قضيتِ فيه الأَجَــلا

لٰــكنَّني في ساعةٍ لا تُذْكَرُ ۞ أَنسِجُ نَسجاً لا يكادُ يُحصَرُ

فقالتِ الدودةُ عني قَصِّري ۞ وفكِّري إِن كنتِ لم تُفكِّري

إِذ نسجُكِ الكثيرُ لا يُستَحسَنُ ۞ ونسجيَ القليلُ غالٍ مُتقَنُ

والشيءُ لا يُسأَلُ عن مــدّتهِ ۞ وإِنما يُسأَلُ عن جودتِهِ [٣]

---

١ العنكبوت دويبة بقدر السلامى الاولى من الابهــام مسودة اللون كروية الجسم في طول . لها ثماني أرجل وفي مقدمة رأسها كابتان تفرزان السم تستعملها للقبض على فريستها وقتلها . تنسج في زمن قليل شبه شباك كثيرة ولـكن خيوطها ضعيفة لا يمكن استعمالها في شيء ما . ومن أمثالهم في الشيء الضعيف : أوهن من بيت العنكبوت . والجائرة هي المائلة عن الطريق السوي ولا يخفى أن العنكبوت مالت عن الصواب اذ استهزأت بدودة الحرير ٢ الغائلة هي المصيبة والفساد والشر والتهلـكة ٣ أخذت هذا المعنى من قول أفلاطون الحكيم وهو : لا تطلب سرعــة العمل واطلب تجويده فان الناس لا يسألون في كم فرغ وانما ينظرون الى اتقانه وجودة صنعه

## عظة الأب لأولاده



| | |
|---|---|
| إنْ رُمتَ أسنى مَثَلِ | فاُسمَعْ وصايا رجُلِ [١] |
| لمّا وهتْ عزيمتُهْ | واُقتربتْ منيّتُهْ [٢] |
| أرادَ وعظَ وُلدهِ | بحكمةٍ من عندهِ |
| فقالَ يا أولادي | يا مُنتهى مُرادي |
| النُّصحُ شأنُ الوالدِ | والغِشُّ دأبُ الحاسدِ |
| وقد أردتُ نصحَكم | فأحضِروا عِصيَّكم [٣] |
| مربوطةً معْ بعضِها | توصُّلاً لقبضِها |

١ المثل هنا بمعنى العبرة ٢ وهت عزيمته أي ضعفت ٣ العصي بتشديد الياء جمع عصا

فاستمَعوا كلامَهْ وأدركوا مَرامَهْ

وأقبَلوا بالقُضُبِ مربوطةً كالطّلَبِ[1]

فقالَ هل يُمكِنُكم أن تَكسِروها كلُّكم

فأسرَعوا في الحالِ بهِمَّةِ الأبطالِ

ليجعَلوها قِطَعا فحاوَلوا مُمتَنِعا

حتى إِذا ما تعِبوا قامَ لهم ذاكَ الأبُ

وحلَّ تلك الحُزمهْ لكي يُبِينَ حزمهْ

وخصَّ كلَّ ولَدِ منهم بعُودٍ مُفرَدِ

فكسَّروها بالعَجَلْ كي يُدرِكوا ذاكَ الأمَلْ

فقالَ بعدَها الأبُ خيرَ كلامٍ يُكتَبُ

إني أرَدتُ رُشدَكم لِلاتّحادِ عُمرَكم

كَيْ تُصبِحوا في العِصمةِ من الأذى كالحُزمةِ

فما افتراقُ النّاسِ إلّا نذيرُ البَاسِ[2]

---

[1] القضب جمع قضيب بمعنى العصا [2] الباس أصله بأس خففت همزته ومعناه الشدة والعذاب

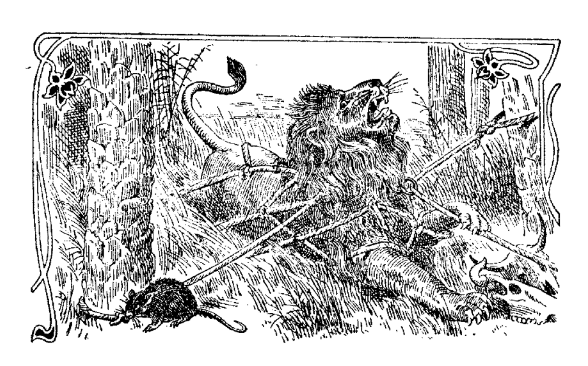
## اليمامة والصياد

مضى على يمامةٍ زمانُ | في وكرِها يحفُّها الأمانُ
تسكُنُ فوقَ دوحةٍ عتيقهْ | عاليةٍ أغصانُها وريقهْ [١]
فمرَّ يوماً نحوها صيّادُ | فلم يجدْ هناك ما يُصادُ
لكنَّه ظلَّ مُقيماً صابرا | لعلَّه ينظرُ فيها طائرا
وحينَ طالتْ مدَّةُ انتظارهِ | وهمَّ أن يرجعَ نحوَ دارهِ
أرادتِ اليمامةُ الظُّهورا | ولم تُراعِ المثَلَ المشهورا
إنَّ الظهورَ يقصِمُ الظهورا | ويخرِبُ البُيوتَ والقصورا [٢]
فنظَرتْ من وكرِها إليهِ | وسلَّمتْ من جهلِها عليهِ
فما تلاهى حينَ أن رآها | بل مُسرِعاً بسهمِهِ رماها
فسقطَتْ من حِصنِها المكينِ | وهُيِّئتْ للذبحِ بالسِّكّينِ
وهْيَ تقولُ حكمةَ المُحقّقِ | ملَكتُ نفسي لو ملكتُ منطِقي [٣]

---

١ الدوحة هي الشجرة العالية ، ووريقة أي ذات أوراق ٢ يقصم يكسر والظهور الاول مصدر ظهر ضد خفي والثاني جمع ظهر خلاف البطن ٣ ملكت نفسي الخ أخذته من قولهم : سلامة الانسان في حفظ اللسان

## الفأر والليث



قابَلَ فأرٌ مـرَّةً ضِرغاما　　فخافَ أنْ يُذيقَه الحِماما [١]

فحينما رآه خائفاً عفـا　　عنه وكان الفأرُ من ذوي الوَفا

فسُرَّ واُطمأنَّ بعدَ الذُّعرِ　　وأسمعَ الليثَ جميلَ الشُّكرِ [٢]

وقد جرى من بعدِ تلكَ الحالِ　　أن وقعَ الضَّيغمُ في الأحبالِ [٣]

فأُذَّكَّرَ الفأرُ جزيلَ فضلِهْ　　وما رآهُ من حَميدِ فِعلِهْ [٤]

---

١ ضرغاما أسدا ، والحمام بكسر الحاء هو الموت ٢ الفاعل في سر واطمأن يرجع الى الفأر ، والليث الاسد ٣ الضيغم الاسد والمراد بالاحبال هي الشباك لانها مصنوعة منها غالبا ٤ ما رآه من حميد فعله أي حين عفا عنه كما جاء في البيت الثاني

فجاءه إذ ذاك يعدو قائلا    جئتك كي أقطع الحبائلا [1]

فقال يا صديق حسبي قوّتي    فإنني أنجو بها من ورطتي

فقال لا تفيدك الفتوّه    وإنما تفيدك الأخوّه

ثم غدا يقرض في أحبولته    لأجل أن ينقذه بفعلته [2]

ولم يزل يبذل فيه جهده    حتى أتمّ بالسرور قصده

ففرّ ذاك الليث بعد القطع    يشكر للفأر جميل الصنع

وقال إنّ الصبر والمداومه    تنفع ما لا تنفع المقاومه

فربما نال الفتى بحيلته    ما لم ينل ببأسه وقوّته

وإنّ من كان لخير فاعلا    يلقى جزاه عاجلاً أو آجلا

## الحية والثعلب

قد حدّث الثقات أنّ حيّه    لم ترتدع يوماً عن الأذيّه [3]

باتت على جرزة شوك عاليه [4]    آمنة من شرّ كلّ عاديه

---

١ الحبائل جمع حبالة وهي المصيدة ٢ غدا شرع ، والاحبولة هي المصيدة أيضاً ٣ الثقات جمع ثقة وهو الموثوق به ، وترتدع ترجع ٤ الجرزة الحزمة

فانحطَّ من شواهقِ الجبالِ  سَيلٌ أزاحَ شجرَ الأغيالِ [١]

وسارَ بالجرزةِ نحوَ البحرِ  فخاقَ بالحيّةِ جندُ الشرِّ

وودَّعتْ مواردَ الحياةِ  ويمَّمتْ مَصادِرَ المماتِ [٢]

وبينما تُساقُ بالتيّارِ  غنيمةً لسمكِ البحارِ

إذ أبصرتْ أبا الحُصَينِ واقفا  يرنو إلى هذا المسيلِ خائفا [٣]

قالتْ له ناشدتُك الرَّحمانا  مَن خلقَ الرَّأفةَ والحَنانا

إلّا رميتَ قطعةً من الخشبْ  لأجلِ أن تُنجينى من العطَبْ [٤]

فذكَّرَ الثعلبُ أنها التي  قد لدغتْ أباه ذاتَ مرَّةِ

فقالَ سيري صُحبةَ السَّلامهْ  لا حسرةٌ بعدُ ولا نَدامهْ

إنَّ السَّفينةَ التي ركبتِ  ليسَ لها نُوتيٌّ الّا أنتِ [٥]

فكلُّ من يُسيءُ في النَّعماءِ  لا يجدُ المُعينَ في البأساءِ

---

١ شواهق جمع شاهق وهو العالي ، والسيل هو الماء الكثير المنحدر ، وأزاح قلع . والاغيال جمع غيل وهو الشجر الكثير الملتف ٢ يممت قصدت ٣ المسيل هو السيل ٤ العطب الهلاك ٥ النوتي هو قائد السفينة ووصلت همزة الا لضرورة الشعر



## معاهدة القرد للأسد

عاهَـدَ قِردٌ مرّةً ضِرغاما لأجلِ أن يكفيَه الحِماما [1]
فاجتَهَدَ الضّرغامُ أن يحميَهُ مِن كلِّ مَن يرومُ أن يؤذيَهُ
حتى رأى القردُ عُقاباً كاسِرا يجولُ في جَوفِ الفَضاءِ طائرا [2]

---

١ يكفيه الحمام يمنعه عنه ٢ كاسرا أي شديد الفتك بصيده . والعقاب (l'orfraie) طائر عظيم من الجوارح ، طوله متر في عرض مترين باسط الجناحين . وهو شبيه بالنسر الا أن لونه رمادي مشوب بنكت سود ، ويبيض اذا طال عمره . ينوب الى الآجام القريبة من البحار والانهار الغزيرة المياه ، يتغذى بالسمك والثعالب والجديان وغيرها مما يقدر على حمله حتى الاطفال ، ولكن قلما يعاني الصيد بنفسه بل يفوض أتعابه الى غيره من الطيور الصائدة فيتربص لها من أعالي طبقات الجو فاذا رأى جارحة قد قنصت شيئا انقض عليها انقضاض البرق وسلبها اياه . تبيض أنثاه الى خمس بيضات وتفرخ اثنين فقط والباقي ترميه لقساوة قلبها وسوء خلقها لانها نهمة لا تتفرغ لتربية الاولاد الكثيرة . طيران العقاب في غاية الخفة والسرعة فاذا ألف ودرب على الصيد اقتنص صغار الحيوانات وقلما يطيش له سهم . ومن غريب الاخبار أن ملك الروم أهدى في بعض السنين عقابا الى ملك الفرس وكتب اليه : ( قد بعثت اليك بما يصطاد صغار الحيوان ) ثم جوعه يوما ليصيد به فوثب على طفل له وقتله . فقال كسرى : لقد غزانا قيصر في بلادنا . ثم اهدى كسرى اليه نمرا وكتب اليه : ( قد بعثت اليك بما يصطاد كبار الحيوان ) وكتم عليه ما صنعه العقاب حتى اذا كان بعض الايام فر من قفصه فافترس ولي العهد وهو في العشرين من عمره . فقال قيصر : لقد قتلنا كسرى . وتوهم بعضهم أن في صياح الطيور حكما فسروها بالكلا. لاتفاق مقاطعها بين الطير والانسان فتوهموا : ( البعد عن الناس راحة ) للعقاب و : ( من لا يرحم لا يرحم )

| | |
|---|---|
| فأرتاعَ كلَّ الرَّوعِ حينَ ذاكا | كأنَّ في رؤيتـهِ الهلاكا [1] |
| فشبَّ ذا المسكينُ فوقَ الأسَدِ | وقد وهى منـه جميعُ الجلَدِ [2] |
| فانقضَّ فوقَه العُقـابُ توّا | وأظهرَ القسوةَ والعتُوّا [3] |
| وحينَ أنشبَ العقابُ بُرثُنَهْ | أنشأَ يستنجِدُ ذا مؤمِّنَهْ [4] |
| فقالَ هذا الأسـدُ الغضوبُ | وقلبُـه ممـا جرى يذوبُ |
| يا قردُ إِني دافِـعُ البلاءِ | إِذا أتى من ساكني الغبراءِ [5] |
| أمّا نوازِلُ السَّماءِ فيَدي | تقصُرُ عنهـا ويكِلُّ عضُدي |
| مغزاه ما مِن الحِمامِ بُدٌّ | وحِكمـةُ الإلهِ لا تُرَدُّ |

---

للهدهد (la huppe) و : ( قدموا خيرا تجدوه عند الله ) للخطاف (le martinet) و : ( لدوا للموت وابنوا للخراب ) للورشان (le ramier) و : ( كما تدين تدان ) للطاووس (la paon) و : ( سبحان ربي المذكور بكل لسان ) للحمام (le pigeon) و : ( الرحمن على العرش استوى ) للدراج (le francolin) و : ( كل شيء هالك الا الله ) للحدأة (le milan) و : ( من سكت سلم ) للقطاة (le râle) و : ( ويل لمن كانت الدنيا أكبر همه ) للببغاء (le perroquet) و : ( اللهم اني أسألك رزق يوم بيوم ) للزرزور (l'étourneau) و: ( اذكروا الله يا غافلين) للديك (le coq) و : (يا ابن آدم عش ما شئت فانك ميت) للنسر (l'aigle) ١ ارتاع خاف ٢ شب وثب ، وهى الجلد أي ذهب الصبر ٣ العتو الجبروت أى التكبر ٤ أنشب أدخل ، ويستنجد يستغيث ، وذا أي القرد ٥ الغبراء الارض

## الأسد والذئب

أقامَ ذئبٌ مـعَ ليثِ غابِ    واتَّفقا في الأكلِ والشَّرابِ [١]
فلم يزالا بعدَ الاتّفاقِ    على أتمِّ الحُبِّ والوفاقِ
حتى اعتدى الليثُ على السِّرحانِ    وكادَ يُفضي الأمرُ للطِّعانِ [٢]
فأقبلَ السِّرحانُ نحوَ النِّمْرِ    يسألُه إطفـــاءَ نارِ الشرِّ
أو أنه ينصُرُه على الأسَدْ    فلم يُجبْه النِمْرُ للذي قصَدْ

---

١ الغاب جمع غابة وهي الاجمة (la forêt) ٢ السرحان اسم للذئب ، والطعان اسم مصدر لتطاعن ٣ النمر (le tigre) نوع قوي من السباع شديد الشبه بالقط الا أنه أوفر منه قوة وأعظم جثة فقد يبلغ طوله مترين وخمسين سنتيا مع خروج الذيل في ارتفاع نصف ذلك . له شعر خفيف فاقع الصفرة الا في عارضتيه وحنجرته وتحت بطنه فانه يضرب الى البياض ، وجميع جسمه مصدوع بخطوط حالكة السواد تزيده جمالا على جماله . من طبعه حب العزلة في صحن الاجمات ذات المستنقعات قريبا من الانهار الجارية ، وعند ما يضرب الليل خيامه يكمن هو بين الاشجار على حافة موارد الماء وحالما يسنح له وارد يثب عليه ويصرعه ثم ينشب فيه أنيابه ويحمله الى خلوته كما يحمل القط الفار . وهو أخبث السباع قاطبة وأشرسها وأجرأها وأسرعها وهو أقواها أيضا بعد الاسد فـلذا كان صيده محفوفا بالاخطار وقلما يسلم من شره الطامعون فيه خصوصا أنه لا يقتل للحصول على الاكل بل للذة القتل بخلاف الاسد فانه لا يتعرض الا في حالة الجوع . اذا أخذ النمر صغيرا ربما ألف الاسر واستأنس بمؤدبه واكتسب بعض عادات حميـدة وأما الكبير فيصعب تأديبه جدا لان طبعه حينئذ يكون في غاية الضيق . يطول عمره الى نحو الاربعين وقلما يتجاوزها

فراحَ يشكو أمرَه للفهدِ ... قالَ أغثني يا حليفَ الودِّ [١]
فقالَ لا أقوى على ليثِ الشَّرى ... فلا تلمْ يا صاحِ مَن تأخّرا [٢]
ولستَ تُلفي في الوُجودِ واحدا ... يكونُ فيما تبتغي مُساعِدا
فالعُودُ لا يعملُ في الحُسامِ ... والهرُّ لا يقوى على الضّرغامِ [٣]
فينبغي يا ذئبُ أن تُبادِرا ... لصُلحهِ كيلا تكونَ خاسِرا
وإنْ تجدْ في الصُّلحِ بعضَ الذُّلِّ ... فإنه لا شكَّ عينُ الفضلِ
وهل جهِلتَ أنَّ بالتواضُعِ ... تنالُ ما شئتَ من المنافعِ
ومَن يُغالِبْ كلَّ مَن لا يقوى ... لحَربهِ جرَّ عليه البلوى [٤]

---

١ الفهد (la panthère) نوع آخر من السباع يشبه القط أيضا . طوله متران من غير الذيل وارتفاعه متر . لونه مبيض تشوبه نكت سود كثيرة تكاد تغطي بياضه . وهو ذو شجاعة صادقة وخفة غريبة وقوة تفيض على أعضائه في مشيه ووثباته . يتعدى على كل ما دونه من الحيوانات ولا يهاب الانسان لو انفرد به . ينمل في الاشجار ويكمن بين أغصانها يترصد صيده مستترا فيها . طبعه شديد المراس لا يستأنس ولو أخذ صغيرا وطال عليه الأمد في الاسر بل يستمر عبوسا ضيق الخلق سريع الغضب لا يؤمن شره أبدا ٢ الشرى مأسدة على الفرات بها غياض وآجام اشتهرت أسودها بالشجاعة حتى ضرب بها المثل فقيل : كأسد الشرى ، وله نظير في لغة الفرنسيس وهو قولهم : (comme un lion de Numidie) فان له قوته في المعنى فتأمل ٣ الحسام هو السيف القاطع ، والهر القط ٤ عليه أي على نفسه ، والبلوى المصيبة

## البرتقال والأب والولد



يُقالُ إنّ رجلاً غنيّا | قد وهَبَ اللهُ له صَبيّا
فبالغَ الأبُ الرّصينُ العقلِ | في فِعلِ ما به صَلاحُ النجلِ
حتى نشا ابنُه على الآدابِ | لكنْ نبا يوماً عن الصّوابِ[1]
إذ صاحبَ الحمقَ ذوي المفاسِدِ | مَن يبتغون أقبحَ المقاصِدِ
فخافَ ذاكَ الأبُ سوءَ العاقبهْ | وصارَ ينهاه عن المُصاحبهْ
فاحتجَّ ذلك الصّبيُّ قالا | لاتخشَ منهم يا أبي تَضلالا[2]

---

[1] نبا ابتعد [2] التضلال هو التضليل أي الخروج عن الطريق المستقيم

كلُّ امرئٍ يفعَلُ ما تعوَّدا وأنت قدعوَّدتَ نفسي الرَّشَدا

فحينما رأى الأبُ المُفكِّرُ أنَّ الكلامَ فيهِ لا يُؤثِّرُ [1]

أرادَ تبيينَ الرَّشادِ لِابنهِ في مَثَلٍ يُحِسُّهُ بعَينهِ [2]

فجاءهُ ببُرتُقالٍ قد حوى واحدةً فاسِدةً كما نوى [3]

وحطه في مِنجَفٍ صغيرِ بين يديْ ذاكَ الفتى الغَريرِ [4]

فمُذ رأى الفاسدةَ ابنُه انذهلْ وصاحَ أخرِجْ يا أبي ذي بالعَجَلْ

لأنهـــا كما ترى سَقيمهْ أخافُ من أن تفسِدَ السَّليمهْ [5]

فقـال ذاكَ الوالدُ الحَنونُ ما تدَّعي بُنَيَّ لا يكونُ

فإنْ تكُنْ في رِيبةٍ مما أرى فلنُبقِهِ الأُسبوعَ ثم ننظُرا

فأبقياه مـــدَّةً وأقبَلا فألفيـاه باليًا شرَّ بِلى [6]

---

١ فيه أي النجل ٢ الفاعل في يحسه يرجع الى النجل ٣ البرتقال ثمر شجر باسمه مستمر الخضرة . يزهو في البلاد الحارة ويبلغ ارتفاعه خمسة أمتار ، وهو بهي الهيئة مستدير القمة أعجر الاغصان مستطيل الاوراق حادها أبيض الازهار ذكي الرائحة . يؤتي ثمرا كرويا في داخله بزور تزرع ولب لذيذ صحي كثير العصير ، تتجزأ كل ثمرة الى نحو عشرة أجزاء كل منها مستقل عن باقيها بحيث ينفصل وحده بدون أن تسقط منه قطرة ماء . يكون قشره اخضر في بدء أمره ثم يصفر ثم يميل لونه الى لون الذهب عند تمام نضجه . وكما نوى اي كما نواه الاب ٤ المنجف هو الزنبيل المسمى بالسلة والغرير هو الحديث السن العادم التجربة ٥ سقيمة اي فاسدة ٦ باليا اي متغير الحال فاسدها

فقالَ عندَ ذلك الأبُ الأجَلْ　　أما فهمتَ القصدَ من هذا المَثلْ
مَن يختلِطْ بمَعشَرِ الأشرارِ　　حلَّ به ما حلَّ بالثِّمارِ

## الحمار في جلد الأسد

لما تولَّتْ دَولةُ الكِرامِ　　وأعقَبتْها دولةُ اللِّئامِ [١]
رأى حِمارٌ مرَّةً جِلدَ أسَدْ　　فاجتابَه وراحَ سادلَ اللِّبَدْ [٢]
وتاهَ بالزِّيِّ على القرينِ　　يزأرُ زأرَ الليثِ في العرينِ [٣]
فمذ رآه قومُه في هيئتِهْ　　خافوا شديدَ بأسِهِ وسَطوتِهْ
بل عظَّم الخَلقُ جميعاً شانَهْ　　وأبلَغوا إلى السُّهى مكانَهْ [٤]

---

١ تولت ذهبت ، والدولة هي القوة والحكومة ، وأعقبتها أي أتت بعدها وعوضها ٢ اجتابه لبسه . واللبد هو شعر رقبة الاسد ، وسادل مأخوذ من سدل الشعر اذا أرخاه وأرسله من غير أن يضفره ٣ تاه افتخر وتكبر ، والزي الهيئة وربما اختص بهيئة الملابس ، وأل في القرين استغراقية أي كل قرين ويزأر يصوت فان الزأر أو الزئير هو صوت الاسد ، والعرين هو مأوى الاسد ٤ أبلغوا الى السهى مكانه أي مدحوه ورفعوا ذكره بما وصفوه به من الخصال الحميدة كما هي عادة الناس مع من أقبلت عليه الدنيا فانهم يعيرونه محاسن غيره توددا اليه وأما اذا أدبرت عنه فانهم يسلبونه محاسن نفسه وينسبون اليه جميع المساوئ ، والسهى نجمة خفية من بنات نعش الصغري ( la constellation de la petite Ourse ) يختبر الناس بها قوة أبصارهم

ولم يرَوْا من حُكمِهِ مفرّا ولا لمُلكِ غــيرِهِ مقرّا
إذا أتى منــه كلامٌ صدّقوا وإن أرادَ حاجــةً تسـابقَوا
وبينما همُ على ذي الحالِ بدا لهم ما لم يكن في البالِ
إذ عثُرتْ يوما به يداهُ فظهرَتْ طويــلةً أذْناهُ
فحقّروه بعدَ ٱلاحـترامِ وأسمعوهُ قارصَ الكلامِ [١]
وكلُّ مدّعي الكمالِ باطِلا يلقى الهوانَ عاجِلاً أو آجلا [٢]

## الحمامة والباز

فرّتْ من الأعادي حمامةُ البوادي [٣]
وبينما تطـيرُ لِوكرِها تسيرُ
إذ وقَعتْ في شرَكِ واضطرَبتْ كالسَّمكِ
فانقضَّ كالبلاءِ بازٌ من السماءِ [٤]

١ قارص الكلام هو ما كان شديدا مؤلما ٢ باطلا أي بلا استحقاق
٣ الاعادي جمع عدو ، والبوادي جمع بادية ، وأضيفت الحمامة الى البوادي للدلالة على أنها لم تكن أهلية بل برية ٤ الباز (le faucon) وفيه لغتان أخريان البازي بتخفيف الياء والبازي بتشديدها نوع من جوارح الطير يختلف بين حجم الدجاج وحجم اليمام . منقاره ضخم أعقف الطرف ، وبراثنه مدججة بمخالب صالحة للنشوب

فدخلَ الحبائلا ... وراءَ تلك عاجلا
يقودُه حبُّ الطَّمَعْ ... لأكلِها أين تقَعْ
إذا هما بالصائدِ ... مُشَمِّراً للساعدِ
فصاحَ ذاكَ البازُ يا ... مَن أحرزَ المعاليا
بل يا أخا الفُتُوَّةِ ... وصاحبَ المُروءَةِ
هل لك أن ترحَمني ... وأن تُزيلَ شَجَني [1]
لأنَّ لي صِغارا ... أودَعتُها القِفارا
ليسَ لها مُرَبّي ... إلاّ أنا وربّي
أخافُ أن تموتا ... إن لم تُصادِفْ قوتا
أجابَه الصيّادُ لا ... دعْ عنك هذا الأمَلا
كم جرَّعتْ يداكا ... حمامَنا الهلاكا
وكم خطِفتَ أرنبا ... فذاقَ منك العطَبا
وجملةُ الكلامِ ما ... رحمتَ حتى تُرحَما

بها ، ولون ظهره وقفاه أسمر ، وجناحاه أربدان ، وحنجرته وحوصله وبطنه بيض مع دكنة ، وهو سريع الطيران قويه يأنس بسهولة ويدرب على الصيد ١ الشجن الحزن

## الضبعانة والكلبة

أتتْ وِجارَ كلبةٍ كريمهْ ضِبعانةٌ طِباعُها لئيمهْ [١]

تقولُ يا ابنةَ الكِرامِ حالي تُغني لدى اللبيبِ عن سُؤالي

أخلي إذا ما شئتِ ذا الوِجارا آوِ به أولاديَ الصِّغارا [٢]

حتى إذا ما درجَ الأبناءُ نبعُدُ عنه ولكِ الثَّناءُ [٣]

فقابَلتْها تلك بالإيجابِ وأسمعَتْها أطيبَ التَّرحابِ [٤]

فطابتِ السُّكنى لأمِّ نوفلِ واستأثَرتْ بكلِّ ما في المنزلِ [٥]

ولم تزلْ كذاك في سُرورِ حتى مضى بعضٌ من الشُّهورِ

ثم أتتْها ربةُ المكانِ لتُخليَ البيتَ من السُّكانِ [٦]

فقالتِ الضبعانةُ الثقيلَهْ أرجو اصطِبارا مدةً قليلهْ

إذ لو شددتُ اليومَ رحلَ السَّفرِ يلحقُ أولاديَ كلُّ الضَّررِ [٧]

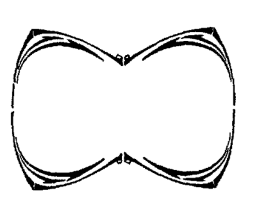
---

١ الوجار مأوى الضبع وغيرها ، والضبعانة هي أنثى الضبع ٢ أخلي ذا المكان أي اجعليه خاليا من السكان ، وآو فعل مضارع مجزوم لوقوعه في جواب أخلي وماضيه أوى بمعنى أنزل ٣ درج مشى ٤ تلك اسم اشارة الى الكلبة ٥ أم نوفل من كنى الضبعانة ، واستأثرت اختصت ٦ ربة المكان صاحبته وهي الكلبة هنا ٧ شددت رحل السفر أي سافرت ، والرحل هو شبه خيمه تشد على البعير للناس وغيرهم . وقد يراد به لوازم السفر كما أنه يطلق على الوعاء وعلى هذا قول القرآن : اجعلوا بضاعتهم في رحالهم

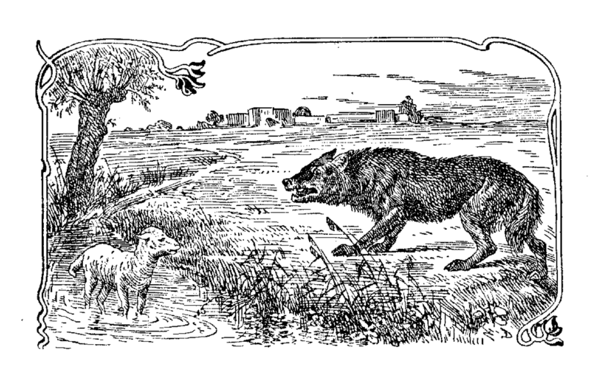
فأثَّرتْ فيها بهذا المَكرِ فأمهلَتْها نحوَ نِصفِ شهرِ
حتى إذا ترَعرَعَ الاولادُ وعاوَدوا المشيَ كما أرادوا [١]
آبتْ لها ربَّةُ تلك الأيدي وأمَّلتْ منها وفاءَ الوعدِ [٢]
فجاوبتْها هاتهِ الشريرهْ إني أراكِ كلبةً حقيرهْ
فلْتعلمي أنيَ لا أزالُ في الدارِ أو يُخرِجَني القِتالُ [٣]
فابتعَدتْ عن دارِها المسكينُ وقلبُها مما جرى حزينُ [٤]
قائلةً إنّ اللئيمَ الظالِما قوَّتُه فوقَ الحُقوقِ دائما
لا تُقرِضِ اللئيمَ ما يُريدُ فليسَ ما يأخُذُه يعودُ

---

١ عاودوا المشي اعتادوه ٢ آبت رجعت ، والايدي هنا بمعنى النعم ٣ أو بمعنى الى فلذا نصب المضارع بعدها بأن مضمرة وجوبا ٤ المسكين صفة للكلبة محذوفة ولم تدخلها التاء لان وزن مفعيل يستوي فيه المذكر والمؤنث



# الذئب والحمل



| | |
|---|---|
| قد جاءَ يوماً حَمَلٌ صغيرُ | شاطِئَ نهرٍ ماؤهُ نميرُ [١] |
| يُريدُ أن يُطفِئَ منه غُلّتَهْ | وما درى أَنَّ به منيّتَهْ |
| فلاحَه ذئبٌ خبيثُ النفسِ | محدَّدُ النابِ شديدُ البأسِ [٢] |
| فحدَّثته نفسُه الأمّارهْ | بالسوءِ أَنْ شُنَّ عليه الغارهْ [٣] |
| فصاحَ قائلاً له في الحالِ | عكَّرتَ صفوَ مائيَ الزُّلالِ |

---

١ الحمل (l'agneau) هو ولد النعجة ٢ لاحه نظره ٣ فحدثته الخ أي قالت له نفسه السيئة : اهجم عليه ، وأن تفسيرية وشن فعل أمر فاعله أنت والجملة في محل نصب لانها مفسرة لمفعول محذوف تقديره شيئا أي حدثته شيئا هو شن الغارة

فقالَ كيف كان ذا يا جاري ❊ والماءُ من عندِكَ نحوي جاري

فقامَ بالسِّرحانِ قائمُ الغضبْ ❊ وقالَ قد أسأتَ في حقّي الأدبْ

أما كفاكَ الشتمُ عاماً ماضيا ❊ حتى اقترفتَ الآنَ ذنباً ثانيا

فقالَ في جوابهِ ذا الحَمَلُ ❊ قد افتريتَ فِريةً لا تُقبَلُ [١]

ويستحيلُ صِدقُ هٰذا القولِ ❊ لأنني مولودُ هٰذا الحَولِ [٢]

فقالَ إنْ لم تكُ أنتَ الشاتِما ❊ كان أبوكَ أو أخوكَ الآثِما

فإنكم لنا من الأعداءِ ❊ قاطِبةً من غيرِ ما استثناءِ

وبعدَ ذا قارَبَه فجندَلَهْ ❊ ومتّعَ النفسَ بهِ إذ أكلَهْ [٣]

وهٰكذا قُوّةُ أهلِ الظُّلمِ ❊ تحمِلُهم على ارتكابِ الجُرمِ [٤]

## الطاووس وفرخا البط والخطاف

روى الرُّواةُ أنَّ طاوُوساً زُهي ❊ على جميعِ الطيرِ بالشكلِ البهي [٥]

---

١ ذا أي هذا ، وافتريت فرية أي كذبت كذبة ٢ الحول السنة ٣ قاربه أي اقترب منه ، وجندله أي رماه على الارض ٤ الجرم الذنب وربما اختص بالعظيم فقط ٥ الطاووس زينة الطيور ونقطة دائرة جمالها ، وهو نوعان وحشي لا يألف الدور وأهلي يربيه الناس لمجرد الفرجة والزينة والتفكه بمرآه البديع لان لحمه جاف صلب عسر الهضم . في رأسه قنبرة مؤلفة من أربع وعشرين ريشة صغيرة قائمة خضراء أطرافها ذهبية اللون ، ولونه الى حيث بطنه يريك حمرة وردية وخضرة

فبينما يمشي على اختيالِ مؤتزراً بمئزرِ الدَّلالِ [١]
رآه فرخا بطّةٍ فصارا ينتقدانِ حالَه احتقارا [٢]

---

زبرجدية في صفرة عسجدية ذات بريق يكاد يذهب بنور العين ويخيل أنها حريرة على حسناء من الحور العين ، وجناحاه قصيران لا يساعدانه على الطيران الا قليلا ، وذيله طويل كبير جدا يتألف من ريشات جمالها لا يتناوله أقلام الواصفين ، فترى في وسط كل ريشة منه دائرة ذات شبه أشعة يتخللها الالوان السبعة . وهو مطبوع على الزهو بنفسه والاعجاب بلبسه ولا سيما اذا كانت أنثاه أو الناس تنظر اليه فانه اذ ذاك ينشر ذيلة كمروحة بهيجة وراء رأسه ويسدل ثوب خيلائه أمامهم ذاهبا وآئبا حتى كانما هو الملك يختال بين رعيته ، ولا يزال كذلك ساعات متوالية ولسان حاله يقول لمن حوله : انظروا الي وافتتنوا بمحاسني الغراء ان صانعي أحسن الخالقين فقد قدر هذه النقوش الغريبة والالوان العجيبة التي تأخذ بمجامع قلوبكم في بيضة صغيرة وأخرجها في حينها على صورة تعجز كل صانع سواه فسبحانه ما أعظم سلطانه وأوضح برهانه *
وزهي تكبر وأعجب بنفسه وهو على صورة المبني للمجهول ومع ذلك يأخذ فاعلا لا نائبا ، والشكل الهيئة وأل فيه عوض من ضمير الغائب المضاف اليه ١ على اختيال أي مع تكبر ، ومؤتزرا لابسا ، والدلال الترفع ٢ البطة واحدة البط وهو طير داجن مائي . رأسه مطول متوسط الحجم ، ومنقاره طويل مفرطح ، عنقه طويل ، وجناحاه صغيران لا يفيدانه كبير فائدة للطيران ، وذيله قصير ورجلاه واطئتان ، وقدماه كفية أصابعهما الامامية متصلة بغشاء رقيق ، ولونه يميل الى البياض غير أنه قد يختلف بعض الشيء باختلاف مواطنه ، ولكن الذكر أحسن من الانثى منظرا وأكثر منها ألوانا وأعظم جسما ، حجمه كحجم الدجاج أو أكبر قليلا . والبط مغرم بالسباحة يحب المكث في الماء حبا مفرطا حتى لا يكاد يستطيع أن يتركه . وتخرج أولاده يوم الثلاثين وتنزل في الماء مسوقة اليه بطبيعتها وتعوم من غير تعليم . ولا يخفى ما للبط من النفع للانسان بلحمه اللذيذ الصحي وبيضه الكثير الذي هو في غاية الجودة مع أنه سهل التربية قليل النفقة يكتفي بما يلتقطه على شواطئ الانهار والغدران مما لا خير فيه

هٰــذا يقولُ ريشُه لا ينفعُ　　وفي الغِناءِ صوتُه لا يُسمعُ
وذا يقولُ أصلُه دنيءُ　　وكلٌّ ما يفعَـــلُه رديءُ
وكان يُصغي لهما خُطّافُ　　فقالَ أينَ منكما الإنصافُ[١]
إنَّ الـكريمَ مَن يقولُ الحقّا　　ولا يقولُ الزُّورَ إلّا الحَمِق
فإنه أجَــلٌّ قَدراً منـــكما　　وإنمـا مِن حسَدٍ ذَمَمتُما
كم تبعثُ الإنسانَ نارُ الحسَدِ　　على معيبِ كلِّ شيءٍ جيِّدِ

---

من البزور والديدان وصغار الضفادع وأنواع الحشرات والخضراوات . وهناك صنف بري يقال له الخضيري وهو أصغر من الاهلي ولـكنه أجمل ١ الخطاف طير ضعيف الجسم مبطوط الرأس مثلث المنقار قصيره طويل القوادم وطيء الساقين يعـلوهما ريش نازل الى كفيه . طرف ذنبه يتشعب عنـد طيرانه الى شعبتين بينتين كالاصابع المبتعدة عن بعضهـا . ظهره وقوادمه حالـكة السواد ويختلف لون خوافيه باختلاف البلاد التي يتردد اليها ، يألف الجبال والقرى والمدن ، غير أنه لا يزال حذرا من الآدميين . ويعشش مستخفيا في النقوب المنيعة بحيث يتعسر القرب منه ومن أفراخه اللاتي يحرص على حفظهن جهده حتى اذا كبرن يخرجهن من وكرهن ويعلمهن الطيران ويزقهن بحركة سريعة وهن طائرات . قلما يطأ الارض لقصر ساقيه وعدم مناسبتهما للمشي عليهما حتى انه عند ما يكون عليها لا ينهض منهـا الا بمشقة . يتغذى بالحشيرات خصوصا الذباب فانه يبتلعــه طائرا في الهواء فاغرا فاه على الدوام توصلا الى جمــع قوته . وهو من القواطع فـلذا ينتقل في الشتاء الى الاقطار الحارة هربا من البرد ثم يعود الى وطنه في فصل الربيع ، ومــع ذلك فلا صبر له على احتمال القيظ فيلزم وكـره من الضحى الى العصر غالبا

## البلوطة والنجمة

تناظرتْ بَلُّوطةٌ كبيرهْ ونَجمةٌ إزاءها صغيرهْ [١]
قالتْ أيا جارةُ إنَّ حالَكِ أظلَمُ من سَوادِ ليلٍ حالِكِ
إني أراكِ نبتةً نحيفهْ عن حَملِ أيِّ حادثٍ ضعيفهْ
إذا الرِّياحُ لَعِبتْ بِعِطفِكِ إخالُها تُزيلُ عنكِ رأسَكِ [٢]
وإنْ علتْكِ ذرّةٌ ضئيلهْ كانتْ عليكِ حَملةً ثقيلهْ [٣]
أمّا أنا فإنني قَــويّهْ غليظةٌ مِن الرّدى مَحميّهْ [٤]
أصليَ ثابتٌ وفرعي في السما أُناطِحُ النَّجمَ برأسٍ قد سما [٥]
بقوّتي أُقاوِمُ الصَّواعِقا وأدفَعُ الآفاتِ والطَّوارِقا

---

١ البلوطة واحدة البلوط (le chêne) وهو شجر كبير من الجبال طويل العمر كثير المنافع لحسن خشبه ومتانته وصلاحه للنجارة . أوراقه صغيرة وثمره مستطيل في حجم الكرز يأكله بعض البهائم كالخنازير ، وقشره مرغوب فيه لدبغ الجلود . والنجمة واحدة النجم وهو كل نبت ليس له ساق صلبة خشبية كالقمح والبطاطس وما أشبه ٢ اخالها أظنها وتكسر همزته شذوذا ٣ ذرة واحدة الذر وهو الهباء (un atome) أو هو نوع صغير من النمل ، وكلا المعنيين صادقان هنا ٤ الردى الهلاك ٥ المراد بالنجم الثريا (les Pléiades) وهي برج (une constellation) في الفلك يتركب من سبعة أنجم صغيرة شديدة القرب من بعضها

فاُقتَربي يا أُختُ مِن مكاني　　لتأمَني طوارِق الحِدثانِ

فقالتِ النَّجمةُ يا بَلُّوطهْ　　لستِ بشأنِ حيطتي مَنوطهْ [١]

فطَيِّبي النفسَ وقَرِّي نظَرا　　فلستُ أخشى في انفرادي ضرَرا

أنا إِذا ما الرِّيحُ هبّتْ أنثني　　للينِ أعضائي فلا تضُرُّني

حتى إِذا ما سكَنتْ أقومُ　　مِن حيثُ لا تلحَقُني غمومُ

أمّا الذي تغُرُّه الضَّخامهْ　　فإِنه لا شكَّ في ندامهْ

وبينما هما على ذي الحالِ　　إِذ هبّتِ الريحُ من الشمالِ

فانحنتِ النجمةُ إِذعانًا لَها　　فلم يُصِبْها ما أصابَ غيرَها

وعارَضتْ تلك الرياحَ الشجرهْ　　وأظهرَتْ قوّتَها المدَّخَرهْ [٢]

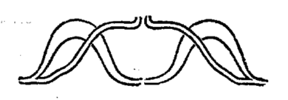
فاقتَلَعتْ جُذورَها مِن أصلِها　　وذا مصيرُ كلِّ عاتٍ مِثلِها [٣]

وقد هوتْ إِلى الحضيضِ من علَ　　ومَن يُفاخِرْ بعُلاه يُخذَلِ [٤]

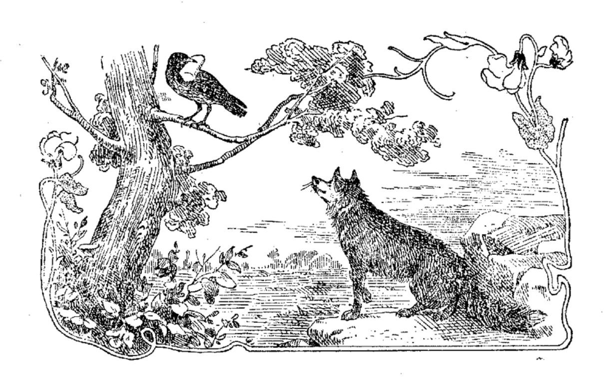
ومَن ألانَ الطَّبعَ للإِخوانِ　　يعيشُ طولَ الدهرِ في أمانِ

---

١ حيطتي حفظي ٢ الشجرة فاعل لعارضت ، والرياح مفعول به مقدم ٣ المصير العاقبة ٤ عل فوق وهو المحل المرتفع



## الغراب والثعلب



أتى غرابٌ ذاتَ يومٍ مأدَبهْ | فشامَ قُرصَ جُبنةٍ فأعجبَهْ [١]

فأُبتزَّه وطارَ فوقَ شجَرَهْ | عاليـةٍ أغصانُهـا مُنتَشِرهْ [٢]

ومذ أرادَ أكلَها محـاذِرا | ممَّن يخافُ أن يكونَ ناظِرا

استروح الثعلبُ ريحَ جُبنَتِهْ | فجـاءه مبـادِراً بحيلتِهْ [٣]

يقولُ يا غرابُ يا مِفضالُ | وجهُك ما أراه أم هِلالُ [٤]

---

١ شام نظر ٢ ابتزه سرقه ٣ استروح شم ، والريح هنا بمعنى الرائحة وهي ما يدرك بحاسة الشم ٤ المفضال هو كثير الفضل

لِلّهِ ما أحلاكَ إِذ تَصيحُ  يُطرِبُني غِناؤُكَ المليحُ
أَوَدُّ من فضلِك لو تُغَنّي  عسى همومي أن تَزولَ عنّي
فانخدَعَ الغرابُ من كلامِهِ  ومكَّنَ الثعلبَ من مَرامِهِ
وقالَ يا ليلُ ومدَّ فيهِ  فسقَطتْ جبنتُه من فيهِ [1]
فالتَهَمَ الثعلبُ تلك قائلا  أنعِمْ بشَهمٍ لا يرُدُّ سائلا [2]
يا أيها الغرابُ بل يا ذا الشّقي  إِيّاكَ أن تغتَرَّ بالتملُّق [3]
فإِنه حِبالةُ المُحتالِ  ينصبُها للغَدرِ بالجُهّالِ [4]
وَمَن يُطِعْ مقالةَ الأعادي  يُرَدَّ بالخُسرانِ والفَسادِ
فخُذْ مكانَ القرصِ مني مثَلا  واحفَظْه عني سنَدًا متّصِلا [5]
كلُّ امرئٍ يملَقُ لِابنِ جنسِهِ  لا يبتغي غيرَ انتفاعِ نفسِهِ

١ يا ليل كلمة يفتتح بها أغلب المغنين الشرقيين ليالي السرور الحافلة ويضيفون اليها كلمة عين ويتفننون فيهما بالالحان المطربة يذهبون بها كل مذهب ، والمعنى : يا ليل طل ويا عين قري بما نحن فيه من المسرات ٢ فالتهم الثعلب تلك أي ابتلعها مرة واحدة ٣ يا ذا أي يا هذا ، والتملق هو أن تعطي من الوداد بلسانك ما ليس في قلبك قصد التقرب والانتفاع ٤ الحبالة المصيدة ٥ السند هو ما يعتمد عليه

## الموت يطلب وزيرا

| | |
|---|---|
| لقد دعا الموتُ دُهاةَ أُمَّتِهْ | لينتقيْ منهم وزيرَ دَولتِهْ [١] |
| فيستعينُ بسَدادِ فِكرهِ | على انتظامِ مُلكهِ وأمرهِ |
| فأَمَّهُ كتائبُ الأدواءِ | تقدمُها نوازِلُ السماءِ [٢] |
| وكانَ في جُملتِها الطاعونُ | تصحبُهُ البطنةُ والجُنونُ [٣] |
| والحربُ أقبلتْ إليهِ تسعى | بشَرِّها المنكرِ مثلَ الأفعى |
| وانتظمتْ مَصائبُ الإنسانِ | في محفلٍ بحضرةِ السُّلطانِ [٤] |
| والكلُّ يدَّعي لديهِ الحَزما | وأنه الأشدُّ فيهم عَزما |
| واستمع الجميعُ للنِّهايهْ | حتى يرَوْا مَن فازَ بالوِلايهْ |
| فاشتَبهَ الموتُ بهمْ وحارا | فيمَن يراه منهمُ مختارا |
| لِعلمِهِ بأنَّ كلَّ واحدِ | في الفَتكِ بالحيِّ طويلُ الساعِدِ |

---

١ الدهاء جمع الداهي وهو الجيد الرأي ، ولينتقي سكنت الياء للضرورة ٢ الكتائب جمع كتيبة وهي الجيش . وتقدمها تسبقها . والنوازل جمع نازلة وهي المصيبة . والمراد بنوازل السماء الصواعق والزوابع والامطار الجارفة وغير ذلك ٣ الطاعون (la peste) الوباء وهو كل مرض عام معد يذهب بأرواح كثيرة اذا نزل ببلد كالخناق (le typhus) والهيضة (le choléra) والجمرة (le charbon) ٤ كنى بالسلطان هنا عن الموت

ثم أجالَ فيهمُ أنظارَهْ　　فاستخلصَ البطنةَ للوزارهْ[١]
وقالَ يا قاطعةَ الاعمارِ　　أنتِ تُعمّرينَ لي دياري[٢]

## اليدان

قد نقلوا عن اليدَينِ مثَلا　　يُذهِبُ عن كلِّ القلوبِ الكسَلا[٣]
قالتْ يدُ اليمينِ ذاتُ العمَلِ　　لأُختِها اليُسرى التي لم تعمَلِ
مالي أراكِ تترُكيني وحدي　　أبذُلُ في الأشغالِ كلَّ جهدي
أما تُشاركيذني في الخيرِ　　فكيف تترُكيذني في الضَّيرِ
وإِنني أطلُبُ منك العدلا　　فلا أزيدُ عنكِ شيئاً أصلا

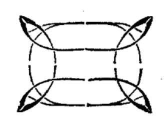
---

١ استخلص اختار ٢ تعمرين دياري أي تكثرين فيها السكان . وقد أجمع الاطباء على أن البطنة أصل غالب الامراض ودواءها الصيام . وقرروا أن عدد الناس الذين يموتون بها أكثر ممن يموتون بغيرها كالحرب والطاعون . قال طبيب : ان الدواء الذي لا داء معه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنه وأنت تشتهيه . وخطب عمر بن الخطاب يوما قال : أيها الناس اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسم مجلبة للسقم مدعاة للموت ٣ مثلا أي حكاية مثلية وهي في الغالب غير واقعية وواردة عن ألسنة الحيوانات تشتمل على عبرة يقصد منها موعظة الناس وارشادهم الى واجباتهم بطريقة فكاهية من حيث لا يدرون

فأغضَبتْ بذا الكلامِ أختَها فلم تُجِبْها بجوابٍ وقتَها
بل بقيتْ معُرِضةً عن العَمَلْ وهكذا قد عزَمتْ حتى الأَجَلْ
لكنها بعدَ التأنّي والنَّظَرْ أتتْ بما لم يكُ منها مُنتَظَرْ
إذ باشَرتْ بنفسِها الأعمالا بهمّةٍ لا تعرِفُ المَلالا
فتارةً في عمَلٍ تُصيبُ وتارةً في غيرِهِ تَخيبُ
وابتدأتْ في أوّلِ الشُّغلِ بما رأته هيّناً لكيلا تسأما
وكلَّما قدِ انتهتْ من مطلَبِ انتَقَلتْ إلى سِواه أصعَبِ
ثم أجادتْ بعدُ كلَّ صَعبِ فسبقتْ تلك بغيرِ رَيبِ
مغزاه كلُّ حاجةٍ مُستَصعَبَهْ تسهلُ عند الجِدِّ والمُواظَبَهْ [١]

---

١ لا يخفى أن كثيرا منا حاله أشبه بحال اليد اليسرى في الاخلاد الى الراحة والركون الى الكسل فيحرم فوائد مهمة في أمور عامة لجهله أن الحركة بركة وتوهمه العجز في نفسه عن مباشرتها وعدم أهليته لها . الى أن تضطره اليها الحاجة فيبدأ فيها ويعيد عليها الكرة مرة بعد مرة . فما هو الا أن يجدها أسهل الاعمال قريبة المنال ويأتي من اجادة صنعها واتقان وضعها بالعجب العجيب والشيء الغريب فينسى عند ذاك صعوبة الافتتاح ويحمد الله على تمام النجاح



# فهرس

## الجزء الثاني من كتاب بحر الآداب

## الباب الأول

### في ذكر بعض الحقوق والواجبات





### في مواضيع تهذيبية



## الباب الثالث

## في المراسلات





## في الحكايات المثلية

# فهرس آخر لبعض الحواشى

( تنبيــه ) لم نكن لنزيد هــذا الفهرس الا لما تشتمل عليه الحواشي من الفوائد الجمة والحكم البالغة التي يهم كل امرئ الاطلاع عليها ولا سيما طالب العلم فانه يجد فيها ماتمس اليه حاجته من طرائف لغوية ونحوية وتاريخية وجغرافية واجتماعية ، الى غير ذلك مما يندر العثور عليه في كتاب واحد مع الايجاز والوفاء بالغرض ورقة الاساليب ومتانة التراكيب . فلنا وطيد الامل أن يستحسن عملنا هذا من يطلع عليه من الادباء ويجزينا الله به ما نستحقه من الجزاء

